

المجلد الثانى

■■

ألف ليلة وليلة

وإعداد:

الحسينى الحسينى معدى

الإشراف العام

وائل سمير

الناشــر

دار الخلود للنشر والتوزيع

تليفون: 01281607185

dar_alkholoud@yahoo.com

الإخراج والتنفيذ الفنى

رواق

01065086008

رقم الإيداع: 2012/19988

الترقيم الدولي:978-977-5313-21-8



ذات الحوادث العجيبة.. والقصص المطربة الغريبة لياليها غرام فى غرام وتفاصيل حب وعشق وهيام وحكايات ونوادر فكاهية.. ولطائف وظرائف أدبية بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان

المجلد الثانى





الليلة (١٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن كان ما كان قال لابد أن أشرد نفسى عن بلادها حتى تموت أو تحظى بمرادها ثم أضمر هذه العزمات وأنشد هذه الأبيات :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها	ليس التذلل فى الورى من شأنها
واعذر فإن حشيشتى كصحيفة	لا شك أن الدمع من عنوانها
ها بنت عمى قد بدت حورية	نزلت إلينا عن رضا رضوانها
من رام لحاظ العيون فى مفارضا	فتكاتها لم ينج من عنوانها
سأسير فى الأرض الوسيعة منقذا	نفسى وأمنحها سوى حرمانها
وأعود مسرور الفؤاد بمطلبى	وأقاتل الأبطال فى ميدانها
ولسوف أشتاق الغنائم عائدًا	وأصول مقتدرًا على أقرانها

ثم إن كان ما كان خرج من القصر حافيا فى قميص قصير الأكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام وصحبته رغيف له ثلاثة أيام ثم صار فى حندس الظلام حتى وصل إلى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحوا باب المدينة كان أول هو خارج منه ثم صار يقطع الأودية والقفار فى ذلك النهار ولما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشىء من متاعها ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم إلى أن مضى عشرة أيام فلم تر له خبرًا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة : يا مؤانسنى قد هيجت أحزانى حيث فارقتنى وتركت أوطانى يا ولدى من أى الجهات أناديك ويا هل ترى أى بلد يؤويك ثم صعدت الزافرات وأنشدت هذه الأبيات :

علمنا بأن بعد غيبتكم نبلى	ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شد رحالهم	أعالج كرب الموت إذ قطعوا الرملا
لقد هتف بى حنين ليل حمامة	مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لوكانت كمثلى حزينة	لما لبثت طوقا ولاخضبت رجلا
وفارقنى إلفى فألقيت بعده	دواعى الهم لا تفارقنى أصلا



ثم إنها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤوس الأشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون : أين عينيك ياضوء المكان وترى ماجرى على كان ماكان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان أبوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والإحسان ووصل خبر كان ما كان إلى الملك سلسان من الأمراء الكبار وقالوا إنه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الأوطان فلما سمع الملك سلسان هذا الكلام اغتاظ غيظًا شديدًا وتذكر إحسان أبيه إليه وأنه أوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الأمير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال له ما أطلعت له على خبر ولا وقعت له على أثر فحزن عليه الملك سلسان حزنًا شديدًا وأما أمه فإنها صارت لايقر لها قرار ولايطاوعها اصطبار وقد مضى له عشرون يومًا هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر كان ما كان فإنه لما خرج من بغداد صار متحيرًا فى أمره ولم يدر إلى أين يتوجه ثم إنه سافر فى البر ثلاثة أيام وحده ولم يرى راجلا ولا فارسًا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر أهله وبلاده وصار يتقوت من نبات الأرض ويشرب من أنهارها ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق إلى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرف على أرض مشعبة الفلوات مليحة النبات وهذه الأرض قد شربت من كؤوس الغمام على أصوات القمرى والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد أبيه فأنشد من فرط ماهو فيه .

خرجت وفى أملى عودة ... ولكـن لســت أدرى متى

وشـردنى أننى لـم أجـد ... سبيلا إلى دفع ماقد أتى

فلما فرغ من شعره أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم فى ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائمًا إلى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت إنسان ينشد هذه الأبيات :

مـا العيش إلا أن يـرى لك بـارق ... من ثغر من تهوى ووجه رائق

والمـوت أسهل من صدود حبيبة ... لـم يغشنى منها خيال طارق

يا فرحة الندماء حيث تجمعوا وأقام معشوق هناك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره طاب الزمان بما إليه تسابق
يا شاربَ الصهباء دونك ما ترى أرض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ماكان هذه الأشعار من صاحب ذلك الصوت ثانى مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع من الوصول إلى من يحبه فقال فى نفسه لعلى أجتمع بهذا فيشكوا كل واحد لصاحبه واجعله أنيسى فى غربتى ثم تنحنح ونادى قائلاً أيها السائر فى الليل العاكر تقرب منى وقص قصتك على لعلك تجدنى معيناً لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت ذلك الكلام أجابه قائلاً : أيها المنادى السامع لانشادى مَنْ تكون من الفرسان وهل أنت من الأنس أو من الجان فعجل على بكلامك قبل دنو حمامك وامش فقال كان ماكان لاتفعل يا أخا العرب لأن أهلى لايشترونى بفضة ولا ذهب فضحك صباح وقال يالله العجب إنك فى سن الغلام ولكنك كبير الكلام لأن هذا القول لايصدر إلا عن البطل المصدام فقال كان ماكان الإنصاف أنك إذا شئت أخذى أسيرًا خادمًا لك أن ترمى سلاحك وتخفف لباسك وتصارعنى وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما أظن كثرة كلامك إلا لدنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر أذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوى يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر إلى ثبات رجليه فى الأرض فوجدهما كالمئذنتين المؤسستين أو الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال فى نفسه ليتنى قاتلته بسلاحى ثم إن كان ماكان قبضه وتمكن منه وهزه فأحس أن أمعاءه تقطعت فى بطنه فصاح أمسك يدك ياغلام فلم يلتفت إلى ما أبداه من الكلام بل حمله من الأرض وقصد به النهر فصاح صباح ونادى يافارس البطاح لاتفعل الفعال القباح أطلقنى بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان فى الأرض فلما رأى نفسه خالصًا ذهب إلى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ماكان مايشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت مافى قلبك حيث أخذت سيفك وترسك فإنه قد خطر ببالى أنه ليس لك يد فى الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها أنا أبلغك ما



تختار حتى لايبقى فى قلبك إنكار فأعطنى الترس واهجم على بسيفك فإما أن تقتلنى وإما أن أقتلك فرمى الترس وجرد سيفه وهجم به على كان مكان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول مابقى إلا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ماكان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ماكان شىء يضرب به ولم يزل صباح يضرب بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ماكان ضعف قوته وانحلال عزيمته فهجم عليه وهزه وألقاه فى الأرض وكتفه بحبائل سيفه وجره من رجليه إلى جهة النهر فقال صباح ماتريد أن تصنع بى يا فارس الزمان وبطل الميدان قال ألم أقل لك إننى أرسلك إلى قومك فى النهرحتى لايشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لاتفعل يافارس الزمان واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين :

تغربت عن أهلى فيا طول غربتى ... ويا ليت شعرى هل أموت غريبا

أموت وأهلى ليس تعرف مقتلى ... وأودى غـــريبا لا أزور حبيبا

فرحمه كان ماكان وأطلقه بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أنه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم إن صباحًا أراد أن يقبل يد كان ماكان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى إلى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما ألقياه من صروف هذا الزمان فقال كان ماكان للبدوى أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقنى الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد وأقام كان ماكان وقال فى نفسه يانفسى أى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا أرجع خائبًا ولا بد لى من الفرج إن شاء الله تعالى ثم تقدم إلى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب ونادى ربه قائلاً : اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر أسألك أن ترزقنى بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينًا وشمالاً وإذا بفارس أقبل على جواد وقد اقتعد ضهره وأرخى عنانه فاستوى كان ماكان جالسًا وبعد ساعة وصل إليه الفارس وهو فى آخر نفس لأنه كان به جرح بالغ فقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال

الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال إنى رجل سلال عيار طول دهرى أسل الخيل واختلسها فى الليل والنهار وأسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك أفريدون وقد سماه بالقانون ولقبه بالجنون وقد سافرت إلى القسطنطينية من أجله وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك إذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى ذات الدواهى ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيدة لا غير برسم خدمة هذا الحصان وهى تقصد بغداد تريد الدخول على الملك سلسان لتطلب منه الصلح والأمان فخرجت فى أثرهم طمعاً فى الحصان ومازلت تابعهم ولا أتمكن من الوصول إليه لأن العبيد شداد الحرس عليه إلى أن أتوا إلى تلك البلاد وخفت أن يدخلوا مدينة بغداد فبينما أنا أشاور نفسى فى سرقة الحصان إذ طلع عليهم غبار حتى سد الأقطار ثم انكشف الغبار عن خمسين فارسًا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداشن ولكنه فى الحرب كأسد يجعل الأبطال كالفراش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

***

الليلة (١٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح قال لكان ماكان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز فلما رأت العجوز روحها فى الأسر بكت وقالت ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ماتريد وخادعته بلين الكلام وحلفت أنها تسوق له الخيل والأنعام فأطلقها هى والعبيد ثم سار هو والعبيد وأصحابه وتبعتهم حتى وصلت هذه الديار وأنا ألاحظه فلما وجدت إليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتى سوطًا فضربته فلما أحسوا بى لحقونى وأحاطوا بى من كل مكان ورمونى بالسهام والسنان وأنا ثابت عليه وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه إلى أن خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح أصابنى بعض الجراح وقد مضى لى على ظهره ثلاثة أيام ولم استطعم بطعام وقد ضعفت منى القوى وهانت على الدنيا



وأنت أحسنت إلى وشفقت على وأراك عارى الجسد ظاهر عليك الكمد ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لى كان ما كان بن الملك ضوء المكان بن الملك عمر النعمان قد مات والدى وربيت يتيمًا وتولى رجل لئيم وصار ملكًا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره فقال الرجل السلال وقد رق له إنك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكن لك شأن وتصير أفرس أهل هذا الزمان فإن قدرت أن تحملنى وتركب إلى ورائى وتودينى إلى بلادى يكن لك الشرف فى الدنيا والأجر فى يوم التناد فقال له كان ماكان والله لو قدرت أن أحملك على أكتافى لفعلت ولو كان عمرى بيدى لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لأنى من أهل المعروف وإغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على أن يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ﷺ وتهيأ للممات وأنشد هذه الأبيات :

ظلمت العباد وطفت البلاد وأمضيت عمرى بشرب الخمور
وأملـت أنــى أنـال المنــى بذاك الحصـان فاعيا مسـيرى
وآخـر أمـرى أنــى تعبت لـرزق الغـريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ماكان حفرة وواراه فى التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لايوجد فى حوزة الملك سلسان ثم أتته الأخبار من التجار بجميع ماجرى فى غيبته بين الملك سلمان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج عن طاعة الملك سلسان هو ونصف العسكر وحلفوا أن ما لهم سلطان إلا كان ماكان واستوثق منهم كان ماكان لما بلغه ذلك الخبر من التجار ورجع مسرعًا إلى بغداد على ظهر تلك الجواد فبينما الملك سلسان فى ربكته حيران إذ سمع بقدوم كان ما كان فأخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من فى بغداد ولاقوه ومشوا قدامه إلى القصر ودخلت الطواشية بالأخبار إلى أمه فجاءت إليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعينى أمضى إلى السلطان سلسان الذى غمرنى بالنعمة والاحسان ثم إن أرباب الدولة تحيروا فى وصف ذلك الحصان وفى وصف

صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك سلسان أيها الملك إننا مارأينا مثل هذا الإنسان ثم ذهب الملك سلسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام إليه وقبل يديه ورجليه وقدم إليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلاً بولدى كان ما كان والله لقد ضاقت بى الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك سلسان قال أهلا وسهلا بولدى كان ماكان والله لقد ضاقت بى الأرض لأجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان إلى هذا الحصان المسمى بالقانون فعرف أنه الحصان الذى رآه سنة كذا وكذا فى حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حتى قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العزالى إلى أهله وقد قبلناه ومنا لك وهبناه وأنت أحق به من كل إنسان لأنك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضر لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وأفرد له فى القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالاً جزيلاً وأكرمه غاية الإكرام لأنه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ماكان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أمه وقال يا أمى ماحال ابنة عمى فقالت والله يا ولدى إنه كان عندى من غيبتك ماشغلنى عن محبوبتك فقال يا أمى اذهبى إليها وأقبلى عليها لعلها تجود على بنظرة فقالت له إن المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يقضى بك إلى الوبال فأنا أذهب إليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهى طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هى التى قتلت عمى وجدى ولابد أن أكشف العار وآخذ الثار ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة اسمها سعدانة وشكا إليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه العجوز إليها وتستعطفها عليه فقالت العجوز سمعًا وطاعة ثم فارقته ومضت إلى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت إليه وأعلمته



بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدتها أنها فى نصف الليل تجىء إليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٧٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لكان ماكان بأنها ستجىء إليك فى نصف الليل ففرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل أتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعى أنك تحبنى وأنت خلى البال نائم على أحسن حال فانتبه وقال والله يامنية القلب إنى ما نمت إلا طمعًا فى أن يزورنى منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطيف الكلمات وأنشدت هذه الأبيات :

لو كنت تصدق فى المحبة	ما جنحت إلى المنام
يا مدعى طرق المحبة	فى المودة والغرام
والله يا ابن العم ما	رقدت عيون المستهام

فاستحيا منها كان ماكان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك إلى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدًا وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

فيا زائرى من بعد فرط صدوده	وفى الثغر منه الدر فى نظم عقده
فقبلته ألفًا وعانقت قده	وبث وخدى لاصق تحت خده
إلى أن بدا نور الصباح فراعنا	كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت إلى خدرها وأظهرت بعض الجوارى على سرها فذهبت جارية منهن إلى الملك سلسان وأعلمته بالخبر فتوجه إلى قضى فكان وجرد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لاتفعل بها ضررًا فإنك إن فعلت بها ضررًا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان وإن كان ما كان

صاحب عرض ومروءة ولا يفعل أمراً يعاب عليه فاصبر ولاتعجل هذا ما كان من أمر الملك سلسان (وأما) ماكان من أمر كان ماكان فإنه أقبل على أمه فى ثانى يوم وقال لها يا أمى إنى عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك وإذا كثر مالى وحسن حالى خطبت قضى فكان من عمى سلسان فقالت يا ولدى إن أموال الناس غير سائبة لأن دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجالا تقتنص الأسود وتصيد الفهود فقال لها كان ماكان هيهات أن أرجع عن عزيمتى إلا إذا بلغت منيتى ثم أرسل العجوز إلى قضى فكان ليعلمها أنه يريد السير حتى يحصل لها مهراً ورجعت له بالجواب وقالت له إنها فى نصف الليل تكون عندك فأقام سهران إلى نصف الليل من قلقه فلم يشعر إلا وهى داخلة عليه وتقول له روحى فداك ثم أعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لاتبكى يابنت العم فأنا أسأل الذى حكم علينا بالفراق أن يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم إن كان ماكان أخذ فى السفر ودخل على أمه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القانونى ومشى فى شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل إلى باب بغداد وإذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا أخى كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفى فقال له كان ماكان مايرجع الصياد بصيد إلا على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لى السعادة وهل لك أن تأتى معى وتخلص النية فى صحبتى ونسافر فى تلك البرية فقال ورب الكعبة مابقيت أدعوك إلا مولاى ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين فى البر أربعة أيام يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس أشرفا على تل عال تحته مراتع فيها إبل وبقر وخيل قد ملأت الروابى والبطاح وأولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ماكان زادت به الأفراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال وأخذ النياق والجمال فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذى عن أهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا فى أخذه نصيب ثم حمل ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الإبل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت إليه العبيد بالسيوف الثقال والرماح الطوال وفى أولهم فارس تركى إلا أنه شديد الحرب



والكفاح عارف بأعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال مافعلت هذه الفعال اعلم أن هذه الأموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم إلا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا بأن لايرجعوا من هنا إلا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلاً : هذا هو الحصان الذى تعنون وأنتم له طالبون وفى قتالى من أجله راغبون فبارزونى كلكم أجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين أذنى القانون فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فأخرج كلاه ومال على ثانى وثالث ورابع فأعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يابنى الزوانى سوقوا المال والخيول وإلا خضبت من دمائكم سنانى فساقوا المال وأخذوا فى الانطلاق وأنحدر إليه صباح وأعلن بالصياح وزادت الأفراح به وإذا بغبار قد علا وطار حتى سد الاقطار بان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر إلى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا فارس إلا فى اللعب والمزاح ثم إن المائة فارس داروا حول كان ما كان واحتاطوا به من كل مكان فتقدم إليه فارس منهم وقال أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال وأعلم أن من دونه أسد أروع وبطل صميدع وسيفه أينما مال قطع فلما سمع الفارس الكلام ذلك التفت إليه فرآه كالأسد الضرغام إلا أن وجهه كبدر التمام فلما رأى كان ما كان كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجها قد أعطاها الله من الحسن والجمال الخصال مايعجز عن وصفه اللسان ويشعل قلب كل إنسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف من هيبتها وحلفت أنها لا تتزوج إلا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لأبيها مايقربنى إلا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش ذلك القول اختشى أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال بعض خواصه أنت كامل الخصال فى الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فإنك تغلبها إلا أنها إذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك حتى تملكها لأن النساء لهن غرض من الرجال ولايخفى عنك هذا الحال فأبى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه عن القتال إلى أن جرت له مع كان ما كان هذه الأفعال

فظن أنه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم إلى كان ما كان وقال ويلك يافاتن قد أتيت لتريني شجاعتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الأعجام دع فاتنا وما بها ترتاب وتقدم إلى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم صال وجال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش إليه عرف أنه فارس همام وبطل مصدام وتبين خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل منكم عليه فعند ذلك حمل فارس تحته جواد أدهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر :

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى ... جذلان يخلط أرضه بسمائه
وكأنما لطم الصباح جبينه ... واقتص منه فغاب في أحشائه

ثم إن ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربًا يحير الأفكار ويغشى الأبصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير إذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالأول ثم مال عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كانت إلا ساعة حتى التقتهم بسنان رمحه فنظر كهرداش إلى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان واعتقد أنه أوحد الأبطال والفرسان فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام في حومة الزحام فاسأل عني فأنا الأسد البطاش المعروف بكهرداش الذي نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار وأخذ أموال التجار فقال له كان ما كان أنا والله ما أوقرك يامهان فاغتاظ البدوي ثم حمل كل منهما على صاحبه فشدت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا ككباش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه وطعنه في صدره فاطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والأسلاب وصاح في العبيد دونكم وللسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء إلى كان ما كان وقال له



أحسنت يا فارس الزمان إنى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم إن صباح قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك ياصباح إنى كنت أظن أنك فارس الحرب والكفاح فقال لاتنس عبدك من هذه الغنيمة لعل أصل بسببها إلى زواج بنت عمى نجمة فقال له لا بد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظًا على الغنيمة والعبيد ثم إن كان ما كان سار متوجهًا إلى الديار ولم يزل سائرًا بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الأجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والأموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لأنه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله وأتت أهل بغداد إلى كان ما كان وعرفوه بما جرى من الأخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والأبطال وساق ما معه إلى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش إلى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت إليه القلوب ثم صاح وأنزله فى بعض الأماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى فى سفره وقد وصل إلى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا أنى أريد أن أبوح لكم بسرى وأبدى لكم مكنون أمرى اعلموا أن كان ما كان هو الذى يكون سببًا لانقلاعنا من هذه الأوطان لأنه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الأكراد والأتراك وأمرنا معه آيل إلى الهلاك فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك إنه أقل من ذلك ولولا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك إن شئت قتله قتلناه وإن شئت إبعاده بعدناه فلما سمع كلامهم قال إن قتله هو الصواب ولكن لابد من أخذ الميثاق فتحالفوا على أنهم لا بد أن يقتلوا كان ما كان فإذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الأكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لأنهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم إن الخبر وصل إلى قضى فكان فحصل عندها غم زائد وأرسلت العجوز التى عادتها أن تأتيها من عند ابن عمها بالأخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب إليه وتخبره بالخبر فلما وصلت إليه

العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها إن الأرض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل :

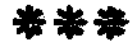
الملك لله ومن يظفر بنيل منـى يردده قهر ويضمـن عنه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قـدر أنملة من التراب لكان الأمر مشتركا

فرجعت العجوز إلى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام فى المدينة ثم إن الملك سلسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج إلى الصيد والقنص وخرج صباح معه لأنه كان لايفارقه ليلا ولا نهاراً فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينًا وشمالاً فأطلقها فقال له صباح لأى شىء أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلق الباقى وقال إن من المروءة إطلاق الغزالات التى لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة إلا لأن لها أولاداً فأطلقتها وأطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح أطلقنى حتى أروح إلى أهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الأرض يتلوى كالثعبان فبينما هما كذلك وإذا بغبرة سائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك أن الملك سلسان أخبره جماعة أن كان ما كان خرج إلى الصيد والقنص فأرسل أمير من الديلم يقال له جامع ومعه عشرين فارسًا ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم وإذا بالملك سلسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع وإذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم إن كان ماكان توجه بعد ذلك من المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر إذ رأى فى طريقه شابًا على باب داره فألقى كان ماكان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان إحداهما فيها لبن والثانية ثريد والسمن فى جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالأكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الأكل فقال له الشاب مالك أيها الإنسان لا تأكل فقال له كان ما كان إنى على نذر فقال الشاب وماسبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم أن الملك سلسان غصب ملكى ظلما وعدوانًا فنذرت



أننى لا آكل لأحد زادًا حتى أشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب أبشر فقد وفى الله نذرك واعلم أنه مسجون فى مكان وأظنه يموت قريبًا فقال له كان ما كان فى أى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان إلى قبة عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون على سلسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل إلى تلك القبة وعاين مافيها ثم عاد إلى موضعه وقعد على الأكل وأكل ما تيسر ووضع مابقى من اللحم فى زوده ثم جلس مكانه ولم يزل جالسًا إلى أن أظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان إلى القبة التى فيها سلسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب عليه كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب لحمًا حتى وصل إلى القبة و توصل إلى أن صار عند الملك سلسان ووضع يده على رأسه فقال بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فأوقعك الله فى سوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكى وملك أبى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف سلسان الأيمان الباطلة أنه لم يسع فى قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اتبعنى فقال لا أقدر أن أخطو خطوة واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان إذا كان الأمر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب وهو وسلسان فقال صباح البدوى أنا أسبقكما لأبشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت إليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهى مثل البدر بهى الأنوار فى دياجى الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الأرواح للأرواح واشتاقت الأشباح للأشباح ولم يبق لأهل العصر حديث إلا فى كان ما كان وأما سلسان فإنه دخل على نزهة الزمان فقالت له إنى أرى الناس ليس لهم حديث إلا فى كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فإنى رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضًا فى مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت إليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان قد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذى يكون صاحب الأقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ما له مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال عولت على قتله فقالت له نزهة الزمان الغدر

قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان فلما سمع سلسان هذا الكلام قام مغضباً من عندها وقال لولا أنى أعرف أنك تمزحين لعلوت رأسك بالسيف وأخمدت أنفاسك فقالت حيث غضبت منى فأنا أمزح معك ثم وثبت إليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ماتراه وسوف أتدبر أنا وأنت فى حيلة تقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها بأى شىء فقالت بجاريتنا التى اسمها باكون فإنها فى المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من أنجس العجائز وعدم الخبث فى مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ماكان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل إليها كثيراً ومن فرط ميله إليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك سلسان من زوجته هذا الكلام قال إن هذا الرأى هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى فى قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يامولاى أن تعطينى خنجراً قد سقى بماء الهلاك لأعجل لك بإتلافه فقال لها سلسان مرحبًا بك ثم أحضر لها خنجراً يكاد أن يسبق القضاء فأخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار وأتت إلى كان ماكان وهو قاعد ينتظر وعد السيد قضى فكان فبينما هو كذلك وإذا بالجارية باكون داخلة عليه وهى تقول آن أوان الوصال ومضت أيام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان إليها وخلع أثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أننى أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام ثم جلست إلى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم أن أعذب ما سمعت أذنى أن رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لايملك شيئاً وبينما هو ماش وإذا بقطعة مسمار شكته فى أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه إلى أن تعب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (١٧٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ثم خرج إلى الحوض البارد فلم يجد أحدًا فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت فى مخه وانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتارًا كبيرًا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام ومايحتاج إليه البلان فلما رأى تلك قال فى نفسه كأن هؤلاء غلطوا فى أو من طائفتنا الحشاشين ثم إنه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال ياسيدى قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال فى نفسه ما شاء الله ياحشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأدار على وسطه مئزرًا من الحرير الأسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوائج ولم يزالا به حتى أدخلاه الخلوة وأطلقا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقا له بطيخة وأجلساه على كرسى من الأبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكًا جيدًا وقالوا له يامولانا الصاحب نعيم دائم وكل ذلك حصل وهو يضحك إلى أن خرج وطلع الليوان فوجد فراشًا عظيمًا لايصلح إلا للملوك وتبادرت إليه الغلمان وأجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى فى حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها وعصرها تحته وإذا بواحد يقول انتبه يازليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينيه ونظر إلى الذى نبهه وقال كنت أصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحى ياحشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو فى المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يادادتى إن هذا حديث عجيب فإنى ما سمعت مثل هذه الحكاية هل عندك غيرها فقالت له نعم إن الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخاوف وحكايات ونوادر ومضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه وإذ بأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها

باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كأنها أخذتها الحمى لما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب فى حياته مجيئها وسبب مجىء أمه إليه أن قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لأمه يازوجة العم الحقى ولدك قبل أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله إلى آخره فخرجت وهى لاتعقل شيئًا حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لأمه لقد جئت يا أمى فى وقت طيب ودادتى باكون حاضرة عندى فى تلك الليلة ثم التفت إلى باكون وقال لها بحياتى عليك هل تعرفين حكاية أحسن من هذه الحكاية التى حدثتينى بها فقالت له الجارية وأين ماحدثتك به سابقًا مما أحدثك به الآن فإنه أعذب وأغرب ولكن أحكيه لك فى غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهى لاتصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولمحت بمكرها أن أمه عندها خبر بما حصل فذهبت إلى حالها فعند ذلك قالت له والدته ياولدى هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله من الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالأمر من أوله إلى آخره فقال لها ياوالدتى الحى ماله قاتل وإن قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا أننا نرحل عن هؤلاء الأعداء والله يفعل مايريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك سلسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة الزمان أيضًا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك سلسان الذين يميلون إليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجتمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثأر فلما توجهوا إلى غزو الروم وقعوا فى أسر الملك رومزان بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما أصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه وأجلسهم بجانبه ، وأمر بإحضار الموائد فأحضرت وأكلوا وشربوا واطمأنوا وبعد أن أطمأنوا قال لهم إنى رأيت منامًا وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك إلا الوزير دندان فقال له الوزير دندان خير ما رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أنى فى حفرة على صفة بئر أسود ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدى لآخذها فلما رفعتها من الأرض رأيتها منطقتين فشددت وسطى بهما فإذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا



أيها الوزير منامى والذى رأيته فى لذيذ أحلامى فقال له الوزير دندان اعلم يامولانا السلطان أن رؤياك تدل على أن ذلك أخا أو ابن أخ وابن عم أو أحد يكون من أهلك من دمك ولحمك على كل حال هو من العصب فلما سمع الملك الكلام نظر إلى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الأسارى وقال فى نفسه إذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت إلى بلادى عن قريب لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب كان ما كان من وقته وساعته فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الإفرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أخيك وأختك وابنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام إغتاظ غيظًا شديدًا وقال لها يا ملعونة ألم تعلمى أن أمى قد قتلت وأن أبى قد مات مسمومًا وأعطيتينى خرزة وقلت لى إن هذه الخرزة كانت لأبيك فلم تصدقينى فى الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شأنى وشأنك عجيب وأمرى وأمرك غريب فإننى أنا أسمى مرجانة واسم أمك إبريزة وأما أبوك فإنه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولاريب ولارجم بالغيب وكان قد أرسل ولده شركان إلى بعض غزوات صحبه هذا الوزير دندان وكان منهم الذى قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحدة عن عسكرة فوقع عند أمك الملكة ابريزة فى قصرها ونزلنا إياها فى خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمك فغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام فى قصرها فبلغ أباها ذلك الخبر من العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها إلى مدينة بغداد سرًا وكنت أنا وريحانة وعشرون جارية معها كنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة إبريزة وقع فى قلب محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها لأبيك فأعطى خرزة لابنته نزهة الزمان وأعطى الثانية لأخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لأخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة إبريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك إلى أهلها وأطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سرًا

ورغبته فى أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلع بنا على المدينة وهرب بنا وكانت أمك قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا فى مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدث العبد نفسه بالخنا فأتى أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع علينا فى البر من ناحية بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الأقطار فخشى العبد على نفسه من الهلاك فضرب الملكة إبريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه إلى حال سبيله وبعدما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك فى ذلك المكانة قتيلة وعلى الأرض جديلة فصعب ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عن سبب خروجها من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الأول إلى الآخر وهذا ما عندى من الخبر وأنت برأيك أخبر وكان الأسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخى من أبى عمر النعمان وأمه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيراً فى أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحدثتهم بتلك الحديث والوزير دندان ومن معها من الأسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا من الملكة إبريزة فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك ياولدى اعلم أنه قد زاد فى ذلك صدق يقينى لأن هذه الخرزة التى فى رقبة الأسير نظير الخرزة التى وضعتها فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الأسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم إن الجارية مرجانة التفتت إلى كان ما كان وقالت له أرنى هذه الخرزة ياملك الزمان فنزعها عن عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك رومزان فأخذ تها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق أنه عم السلطان كان ما كان وأن أباه الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته إلى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما

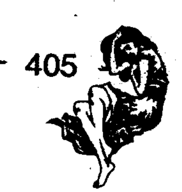


كان وعلا الصياح بكثرة الأفراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالأفراح فركبوا وركب الملك الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ماسبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الإفرنج والروم؟ أما عساكر العراق فإنهم قد أقبلوا وعلى القتال عولو وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان فرأى العساكر مقبلين للحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضى فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها وساعتها إلى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والأحزان حتى وصلت إلى الملك الزبلكان وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وأن الملك رومزان ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكى العين خائفاً على الأمراء والأعيان فشرحت له القصة من أولها إلى آخرها فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الأكابر والأعيان وسارت قدامهم الملكة قضى فكان حتى أوصلتهم إلى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسًا مع ابن أخيه السلطان كان ما كان وقد استشار هو والوزير دندان فى أمر الملك الزبلكان اتفقوا على أنهم يسلمون إليه مدينة دمشق والشام ويتركونه ملكًا عليها كماكان مثل العادة وهم يدخلون إلى العراق والملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه إليها فتوجه بعساكره إليها ومشوا معه ساعة لأجل الوداع وبعد تلك رجعوا إلى مكانهم ونادوا فى العسكر بالرحيل إلى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى أرضهم فسمع الحاجب الكبير سلسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه الملك رومزان ثم إنه جلس وأجلس ابن أخيه السلطان كان ما كان إلى جانبه فقال كان ما كان لعمه الملك رومزان ياعم مايصلح هذا الملك إلا لك فقال له معاذ الله أن أعارضك فى ملكك فعند ذلك أشار إليهما الوزير دندان أن يكون الاثنان فى الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد إنهما اتفقا على أن كل واحد يحكم يومًا ثم أولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الأفراح وأقاموا على ذلك مدة من الزمان بينما هم قاعدون فرحون بهذا الأمر وانصلاح الشأن إذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى سد الأقطار وقد أتى إليهم من التجار يستغيث وهو يصيح ويقول ياملوك الزمان كيف أسلم فى بلاد الكفر وأنهب فى بلادكم وهى بلاد العدل والأمان فأقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولى غائب عن الأوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت فى البلاد عشرين سنة من الأعوام وإن معى كتابًا من مدينة دمشق كان قد كتبه إلى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أننى قد أهديت إليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معى مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها إلى بغداد التى هى حرمكم ومحل أمنكم وعدلكم خرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالى ونهبوا أموالى وهذا شرح حالى ثم إن التاجر بكى بين يدى الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق إليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ما كان وحلفوا إنهم يخرجون إليه فخرجوا إليه فى مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بالوف وذلك التاجر سار أمامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل إلى السحر حتى أشرفوا على واد غزير الأنهار كثير الأشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا فى ذلك الوادى وقسموا بينهم أحمال ذلك التاجر وبقى البعض فأطبق عليه المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن أخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم إلى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجمع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن كبارهم فقالوا ما لنا غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر الأقطار فقالا لهما ميزوهم لها بأعيانهم فميزوهم لها فأمر بالقبض عليهم وإطلاق بقية أصحابهم بعد أخذ جميع ما معهم من الأموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجوده قد هلك ربعه فوعدوه أنهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند



ذلك أخرج التاجر كتابين أحدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوى وهى بكر وقدمها لأخيها شركان وجرى بينها وبين أخيها ماجرى وأرسلت إليه تطلبه فلما حضر طلعت وسلمت عليه وأعلمته أنها بنت الملك عمر النعمان وأن أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحًا شديدًا وهناها بسلامتها واجتماعها بأخيها وابن أخيها وقبّل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ماضاع الجميل معك ثم دخلت إلى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودعهم ورحل إلى الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أنى رجل بدوى أقف فى الطريق لأخطف الصغار والبنات فقال لهم أعجب ماجرى لى ياملوك الزمان أننى من مدة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتًا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الأيام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة من تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان فى أملى أننى أذهب بها إلى أهلى فى البرية وأجعلها عندى ترعى الجمال وتجمع البعير من الوادى فبكت بكاء شديدًا فدنوت منها وضربتها ضربًا وجيعًا وأخذتها إلى مدينة دمشق فرآها معى تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد شراؤها منى ولم يزل يزيدنى فى ثمنها حتى بعتها له بمائة ألف درهم فعندما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغنى أن التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها إلى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذى دفعه إلى مرتين وهذا ياملوك الزمان أعجب ما جرى ولعمرى أن ذلك الثمن قليل فى تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوى ماحكاه صار الضيافى وجهها ظلامًا وصاحت وقالت لأخيها رومزان أن هذا البدوى الذى كان خطفنى من بيت المقدس بعينه من غيرشك ثم إن نزهة الزمان حكت لهم جميع ماجرى لها معه فى غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لى قتله ثم جذبت السيف وقامت إلى البدوى لقتله وإذا هو صاح وقال ياملوك الزمان لاتدعوها تقتلنى حتى أحكى لكم ماجرى لى من العجائب فابتدأ البدوى يحدثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا أنى من مدة

يسيرة أرقت ليلة أرقًا شديدًا وما صدقت أن الصباح صبح فلما أصبح الصباح قمت من وقتى وساعتى وتقلدت بسيفى وركبت جوادى واعتقلت رمحى وخرجت أريد الصيد والقنص فواجهنى جماعة فى الطريق فسألونى عن قصدى فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون وإذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين أيدينا وهى فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها إلى الظهر حتى رمتنا فى برية لا نبات فيها ولاماء وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشًا شديدًا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك إذا نظر من بعيد مرجا أفيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفى جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رءوس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتنى حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابًا لا نبات بعارضية وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت إليها وقعت محبتها فى قلبى فسلمت على ذلك الشاب فرد على السلام فقلت يا أخا العرب أخبرنى من أنت وماتكون ذلك الجارية التى عندك فأطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرنى من أنت وما الخيل التى معك فقلت أنا حماد بن الفزارى الفارس الموصوف الذى أعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنانريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلى أجد عندكم شربة ماء فلماسمع منى ذلك الكلام التفت إلى جارية مليحة وقال آتى إلى هذا الرجل بالماء وماحصل من الطعام فقامت الجارية قليلا ثم أقبلت وفى يدها اليمين إناء من فضة مملوء ماء باردًا وفى يدها اليسرى قدح ملآن تمرًا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعامًا ولا شرابًا من شدة محبتى لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت :

كأن الخضاب على كفها غراب على لجة واقف
ترى الشمس والبدر من وجهها قريبين خاف وإذا خائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت : يا وجه العرب اعلم أنى أوقفك على حقيقة خبرى وأريد أن تخبرنى بحالك وتوقفنى على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهى أختى



فقلت أريد أن تزوجنى بها طوعًا وإلا أقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك أطرق الشاب رأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع بصره إلى وقال لقد صدقت فى دعواك إنك فارس معروف وبطل موصوف وإنك أسد البيداء ولكن إنْ هجمتم علىّ غدرًا وقتلتمونى قهرًا وأخذتم أختى فإن هذا يكون عارًا عليكن وإن كنتم على ماذكرتم من أنكم فرسان تعدون من الأبطال ولا تبالون بالحرب والنزال فأمهلونى قليلاً حتى ألبس آلة حربى وأتقلد بسيفى وأعتقل برمحى وأركب فرسى وأصير أنا وإياكم فى ميدان الحرب إن ظفرت بكم أقتلكم عن آخركن وإن ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية أختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له أن هذاهو الأنصاف وما عندنا خلاف ثم إن أصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجوده قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت إليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من خوفها على أخيها وتنشد هذه الأبيات :

إلى الله أشكو محنة وكآبة ... لعل إله العرش يرهقهم رعبا
يريدون قتلا يا أخى تعمدا ... ولا شىء من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرف الأبطال أنك فارس ... وأشجع من حل المشارق والمغاربا
تحامى من الأخت التى قل عزمها ... فأنت أخوها وهى تدعو لك الربا
فلا تترك الأعداء تملك مهجتى ... وتأخذنى قهرًا وتأسرنى غصبا
ولست حق الله أبقى ببلدة ... إذا لم تسكن فيها وإن ملئت غصبا
وأقتل نفسى فى هواك محبة ... وأسكن لحدًا فيه أفترش التربا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديدًا ورد رأس جواده إلى أخته وأجابها على شعرها بقوله :

قفى وانظرى منى وقوع عجائب ... إذا ما التقينا حين أمنحهم ضربًا
وإن برز الليث المقدم فيهم ... وأشجعهم قلبا وأثبتهم لبا
سأسقيه منى ضربة ثعلبية ... وأترك الرمح يستغرق الكعبا
وإن لم أقاتل عنك أختى فليتنى ... قتيل وليت الطير تنهبنى نهبا
أقاتل عنك ما استطعت تكرما ... وهذا حديث بعدنا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا أختى اسمعى ما أقول لك وما أوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها إن هلكت فلا تمكنى أحدًا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخى أن أراك صريعًا وأمكن الأعداء منى فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت وقال لنا يافرسان هل أنتم ضيفان أو تريدون الضرب والطعان فإن كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وإن كنتم تريدون القمر الزاهر فليبارزنى منكم فارس بعد فارس فى هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز إليه شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم أبيك فإنى حالف أنى ما أقتل من اسمه موافق لاسمى واسم أبيه موافق لاسم أبى فإن كنت بهذا الوصف فقد سلمت إليه الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فأجابه الشاب بقوله :

كذبت فى قولك من بلال	وجئت بالزور وبالمحال
إن كنت شهمًا فاستمع مقالى	مجندل الأبطال فى الجال
وصارمى ماض كما الهلال	فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب فى صدره فخرج المنان يلمع من ظهره ثم برز إليه واحد فقال الشاب :

يا أيها الكلب وخيم الرجس	فأين عال سعره من بخس
وإنما الليث الكريم الجنس	من لم يبال فى الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن تركه غريقًا فى دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز إليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول :

إليك أقبلت وفى قلبى لهب	منه أنادى عند صحبى بالجرب
لما قتلت اليوم سادات العرب	فاليوم لاتلقى فكاكا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله :

كذبت بئس أنت من الشيطان	قد جئت بالزور والبهتان
اليوم تلقى فاتك السنان	فى موقف الحرب وفى الطعان



ثم طعنه فى صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارزة فخرج إليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمى هلال فأنشد يقول :

أخطأت إذا أردت خوض بحرى   وجئت بالزور وكل الأمر
أنا الذى تسمع منى شعرى   أختلس النفس ولست تدرى

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هى السابقة إلى الفارس فقتله وصار كل من نزل إليه يقتله فلما نظرت أصحابى قد قتلوا قلت فى نفسى إن نزلت إليه فى الحرب لم أطقه وإن هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلنى الشاب دون أن أنقض على وجذبنى بيده فأطاحنى من سرجى فوقعت مغشيا على ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقى فتعلقت بأذياله فحملنى بكتفه فصرت معه كالعصفورثم إنه سلمنى إلى أخته فقبضت الجارية على أطواق درعى وصارت تقودنى كما تقود الكلب وفكت عن أخيها لأمة الحرب وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الأبيات :

تقول وقد رأت فى الحرب أختى   لوامع غرتى مثل الشعاع
ألا لله درك من شجاع   تذل لحربه أسد البقاع
فقلت لها سلى الأبطال عنى   إذا ما فر أرباب القراع
أنا المعروف فى سعيى وجدى   وعزمى قد علا أى ارتفاع
أيا حماد قد نازلت ليثا   يريك الموت يسعى كالأفاعى

فلما سمعت شعره حرت فى أمرى ونظرت إلى حالتى وما صرت إليه من الأسر وتصاغرت إلى نفسى ثم إن الجارية أحضرت لأخيها الطعام فدعانى إلى الأكل معه ففرحت وأمنت على نفسى من القتل ولما فرغ أخوها من الأكل أحضرت له آنية المدام ثم إن الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع المدام فى رأسه وأحمر وجهه فالتفت إلى وقال ياحماد أنا عابد ابن تميم بن ثعلبة أن الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

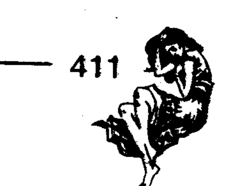
***

الليلة (١٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البدوى حماد قال ثم إن عابد بن تميم بن ثعلبة قال لى إن الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك وحيانى بقدح شربته وحيانى بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمنى وحلفنى إنى لا أخونه فخلقت له ألفا وخمسمائة يمين إنى لا أخونه قط بل أكون له معيناً فعند ذلك أمر أخته أن تأتينى بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدى بناقة من أحسن النياق فأتتنى بناقة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لى الحصان الأشقر فأحضرته لى ثم وهب لى جميع ذلك وأقمت عندهم ثلاثة أيام فى أكل وشرب والذى قد أعطاه لى موجود عندى إلى الآن وبعد ثلاثة أيام قال لى يا أخى باحماد أريد أن أنام قليلا لأريح نفسى وقد استأمنت على نفسى وإن رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع واعلم أنهم من ثعلبة يطالبون حربى ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق فى النوم وسوس إلى إبليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة أطاحت رأسه عن جثته فعلمت بى أخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الأبيات :

إلى الأهل بلغ إن ذا أشأم الخبر	وما لامرئ مما الحكيم قضى مفر
وأنت صريع يا أخى متجندل	ووجهك يحكى حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيته	ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لايرتاح للخيل راكب	ولا تلد الأنثى نظيرك من ذكر
وأصبح حماد لك اليوم قاتلا	وقد خان إيمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا أن ينال مراده	لقد كذب الشيطان فى كل ما أمر

فلما فرغت من شعرها قالت ياملعون الجدين لماذا قتلت أخى وخنته ثم جذبت سيفا عندها وجعلت قائمه فى الأرض وطرفه فى صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الأرض ميتة فحزنت أنا عليها وندمت حيث لاينفعنى الندم وهذه الحكاية أعجب من حكايتى الأولى مع البنت التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوى



هذا الكلام تبدل النور وفى عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوى حمما على عاتقه فأطلعته من علائقه فقال لها الحاضرون لأى شىء استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى مد فى أجلى حتى أخذت ثارى بيدى ثم إنها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه ويرمود للكلاب وبعد ذلك أقبلوا على الاثنين الباقين من الثلاثة وكان أحدهم عبدًا أسود فقالوا له ما اسمك أنت فاصدقنا فى حديثك قال إن اسمى الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة إبريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذى أحيانى وأخذت ثأر أمى بيدى وأخبره أن دايته مرجانة حكت على هذا العبد الذى اسمه الغضبان وبعد ذلك أقبلوا على الثالث وقالوا له أخبرنا أنت بخبرك وأصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ماوقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس بالدراهم وهو ضعيف على أنه يوصله إلى الشام ويرميه فى المارستان وكيف جاء من بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد أن رماه مستوقد الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد الله الذى أحيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبى فقال الملوك لبعضهم ما بقى علينا إلا العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فإنها سبب هذه البلايا حيث أوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثأر ونكشف العار فقال لهم الملك رومزان عم كان ماكان لابد من حضور هاثم أن الملك رومزان كتب كتابًا من وقته وساعته وأرسله إلى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وذكر لها فيه أنه غلب على مملكته دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين وأسر ملوكهم فلما وصل الكتاب إليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحًا شديدًا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبتهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان أن المصلحة تقتضى أن نلبس اللبس الإفرنجى ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعًا وطاعة ثم إنهم لبسوا البس الإفرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أنى أعرفكم لقلت أنكم إفرنج ثم إن الملك رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى ألف فارس فلما وقعت العين على

العين ترجل رومزان عن جواده وسعى إليها فلما رأته عرفته ترجلت إليه وعانقته فقرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ماهذا فلم تتم كلامها حتى نزل إليها كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوارى والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا إلى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها طرطور أحمر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادى هذا جزء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى أصحابها ماجرى لها أسلموا كلهم جميعاً ثم إن كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتاب أن يؤرخوها فى الكتب حتى تقرأ من بعدهم وأقاموا بقية الزمان فى ألذ عيش وأهناه إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى إلينا من تصاريف الزمان كان ماكان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم إن الملك قال لشهرزاد أشتهى أن تحكى شيئًا من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غير فى هذه الليلة وأرجو أن تكون عاقبتك معه محمودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

(حكاية تتعلق بالطيور)

الليلـة (١٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان طاووس يأوى إلى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من الوحوش غير أنه كثير الأشجار والأنهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان إلى شجرة من تلك الأشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان فى طلب الرزق ليلا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسار يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان إليه فبينما هما يفتشان على موضع إذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فنزلا فى تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما

كذلك وإذا ببطة أقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت إلى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس فى أن تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت البطة اعلم أيها الطاووس أنى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لا أرى مكروهاً فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم وهو يخاطبنى وأخاطبه وسمعت قائلا يقول أيتها البطة احذرى من ابن آدم ولاتغترى بكلامه ولابما يدخله عليك فإنه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فإنه مخادع ماكر كما قال الشاعر :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمى الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولاينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ماسمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة وأنا إلى الآن ما انشرح صدرى خوفاً على نفسى من ابن آدم لئلا يدهمنى بحيلة ويصيدنى بحبائله ولم يأت على آخر النهار إلا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى ثم إنى اشتقت إلى الأكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض فلما وصلت إلى ذلك الجبل وجدت على باب مغاره شبلا أصفر اللون فلما رآنى ذلك الشبل فرح بى فرحًا شديداً وأعجبه لونى وكونى لطيفة بالذات فصاح علىّ وقال اقربى منى فلما قربت منه قا لى ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمى بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك إلى هذا الوقت فى هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدى الأسد له أيام وهو يحذرنى من ابن آدم فاتفق وأننى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم ثم إن الشبل حكى لى نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له ياأسد إنى قد لجأت إليك فى أن تقتل ابن آدم وأوصيته بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه وتمشيت وراءه فرفع بذنبه على ظهره ولم يزل يمشى وأنا أمشى وراء إلى مرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص ويجرى وتارة يتمرغ

فلما رآه الأسد صاح عليه فأتى إليه خاضعًا فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ماجنسك وماسبب قدومك إلى هذا المكان فقال يا ابن السلطان أنا جنسى حمار وسبب قدومى إلى هذا المكان هروبى من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال الحمار لا يا ابن السلطان وإنما خوفى فى أن يعمل حيلة على ويركبنى لأن عنده شيئًا يسميه البردعة فيجعلها على ظهرى وشيئًا يسميه الحزام فيشده على بطنى وشيئًا يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى وشيئًا يسمى اللجام فيجعله فى فمى ويعمل منخاسًا ينخسنى به ويكلفنى مالا أطيق من الجرى فلما سمعت أيتها الطاووسة كلام الحمار اقشعر جسدى من ابن آدم وقلت للشبل ياسيدى الحمار معذور وقد زادنى كلامه رعبًا على رعبى فقال الشبل للحمار إلى أين أنت سائر فقال له الحمار إنى نظرت ابن آدم قبل إشراق الشمس من بعيد ففرت هربًا منه فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل ذلك الكلام وهو يريد أن يودعنا ويروح إذ ظهر لنا غبرة فنهق الحمار ونظر بعينه إلى ناحية الغبرة وضرط ضراطًا عالية وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم ذلك الفرس ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل بن الأسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ماجنسك أيها الوحش الجليل وماسبب شرودك فى هذا البر العريض الطويل فقال ياسيد الوحوش أنا فرس من جنسى الخيل وسبب شرودى من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لاتقل هذا الكلام فإنه عيب عليك وأنت طويل غليظ وكيف تخاف مع عظم جثتك وسرع جريك وأنا مع صغر جسمى قد عزمت على أن ألتقى مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة وأقرها فى وطنها وها أنت لما أتيت فى هذه الساعة قطعت قلبى بكلامك وأرجعتنى عما أردت أن أفعله فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل وقال هيهات أن أغلبه يا ابن السلطان فلا يغرك طولى ولا عرضى ولاضخامتى مع ابن آدم لأنه من شدة حيله ومكره يصنع لى شيئًا يقال له الشكال ويضع فى أربعة قوائمى شكالين من حبال الليف الملفوفة باللباد ويصلبنى من رأس فى وتد عال وأبقى واقفا وأنا مصلوب لا أقدر أن أقعد ولا أنام وإذا أراد أن يركبنى يعمل لى شيئًا فى رجلى من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهرى شيئًا يسميه السرج ويشده



بحزامين من تحت إبطى ويضع فى فمى شيئًا من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيئًا من الجلد يسميه السرج فإذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك السرج بيده ويقودنى ويهمزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فإذا كربت وانتحل ظهرى ولم أقدر على سرعة الجرى يبيعنى للطحان ليدورنى فى الطاحون فلا أزال دائرًا فيها ليلا ونهاراً إلى أن أهرم فيبيعنى للجزار فيذبحنى ويسلخ جلدى وينتف أذنبى ويبيعها للغرابلى والمناخلى ويسلى شحمى فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظًا وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو فى أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام وإذا بغبرة قد ارتفعت وبان من تحتها جمل هائج فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام وإذا بالجمل تقدم بين أيادى الشبل وسلم عليه السلام وقال له ماسبب مجيئك إلى هذا المكان قال جئت هارباً من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفسته برجلك رفسه لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواهى لاتطاق وما يغلبه إلا الموت لأنه يضع فى أنفى خيطًا يسميه خزامًا ويجعل فى رأسى مقودا ويسلمنى إلى أصغر أولاده فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى ويحملوننى أثقل الأحمال ويسافرون بى الأسفار الطوال ويستعملوننى فى الأشغال الشاقة آناء الليل وأطراف النهار وإذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتى بل يبيعنى للجزار فيذبحنى ويبيع جلدى للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل عما أقاسى من ابن آدم فقال له الشبل أى وقت فارقت بن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتى عند انصرافى فلم يجدنى فيسعى فى طلبى فدعنى يا ابن السلطان حتى أهيج فى البرارى والقفار فقال الشبل تمهل قليلا ياجمل حتى تنظر كيف افترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام وإذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية ألواح وبيده أطفال صغار وهو يهرول فى مشيه ومازال يمشى حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختى وقعت من شدة الخوف وأما الشبل فإنه قام وتمشى إليه ولاقاه فلما وصل إليه ضحك النجار فى وجهه وقال

بلسان فصيح أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومسعاك وزاد فى شجاعتك وقواك أجرنى مما دهانى وبشره رمانى فلما سمع الشبل شكواه قال له أجرتك مما تخشاه فما شأنك فقال له النجار ياسيد الوحوش أما أنا فنجار وأما الذى ظلمنى فإنه ابن آدم فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضيافى وجهه بالظلام ثم إن الشبل التفت إلى النجار وقال له أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لأنى ذو مروءة وأظن أنك لاتقدر أن تماشى الوحوش فأخبرنى إلى أين تذهب فقال له النجار اعلم أننى رائح إلى وزير والدك الفهد لأنه لما بلغه أن ابن آدم داس هذه الأرض خاف على نفسه وأرسل إلى رسولا من الوحوش لأصنع له بيتاً يسكن فيه ويأوى إليه فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الألواح وتوجهت إليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لا بد أن تصنع لى هذه الألواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته قال ياسيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيئًا إلا إذا صنعت للفهد ما يريد فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الألواح بيتًا ثم إن الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشياً عليه فضحك الشبل عليه وقال له ويلك يانجار إنك ضعيف ومالك قوة أنت معذور إذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظًا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجاروضحك فى وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم إن النجار تناول الألواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب قياس الشبل وقال للشبل ادخل من هذه الطاقة لأقبيه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خار جائم أراد الشبل أن يتأخر ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجاثم أراد الشبل أن يتأخر إلى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم إن النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعًا وسمر فصاح الشبل قائلاً يانجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى أخرج منه فقال له النجار اعلم ياكلب البر إنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم



ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم أنه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفًا عظيمًا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٧٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا أختى إنك أمنت من بنى آدم لأننا فى جزيرة من جزائرالبحر وليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا إلى أن يسهل الله أمرك وأمرنا فبيما هو فى هذا الكلام إذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وإن لم يكن من مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى فاطمأنت البطة والطاووسة ثم قالت البطة يا أختى إن الذى تفزعين منه ظبى وهاهو قد أقبل نحو نافلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبى إليها يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما إنى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصبًا ولا أحسن منها مسكنًا ثم دعاهما لمرافقته ومصادقته فلما رأت البطة والطاووسة تودده إليهما أقبلنا عليه ورغبتنا فى عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدًا مأكلهم سواه ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة فى البحر فأرست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأو الظبى والطاووسة والبطة مجتمعين وأقبلوا عليهم فشرد الظبى فى البرية وطارت الطاووسة فى الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بهاحتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعنى الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها إلى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة واجتمعت بالظبى فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت فى المقام تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة فاغتم الظبى غمًا شديدًا ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فأقام معها فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير أنهما لم تزالا

حزينين على فراق البطة فقال الظبى للطاووسة يا أختى قد علمت أن الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببًا لفراقنا وهلاك البطة فاحذريهم واحترسى منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قال علمت يقينا أن ماقتلها غير تركها التسبيح فلما سمع الظبى كلام الطاووسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لايفتر ساعة وقد قيل إن الظبى يقول فى تسبيحه سبحان أن الملك الديان ذى الجبروت والسلطان وورد أن بعض العباد كان يتعبد فى الجبال وكان يأوى فى ذلك الجبل . زوج من الحمام وكان ذلك العابد يقسم قوته نصفين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلاح المباح .

***

الليلة (١٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلها ولم يزل ذلك الزوج الحمام فى أرغد عيش هو ونسله حتى مات ذلك العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق فى المدن والقرى والجبال وقيل إنه كان فى الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها وكان ذلك الجبل الذى يأوى إليه الراعى كثير الأشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعى ويختبره فى طاعته وصبره فبعث ملكًا فدخل عليه فى صورة امرأة حسناء وجلست بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده أقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذى دعاك إلى المجئ هنا وليس لك حاجة معى ولا بيني وبينك مايوجب دخولك عندى فقالت له أيها الإنسان أما ترى حسنى وجمالي وطيب رائحتى أما تعلم حاجة الرجال إلى النساء فما الذى يمنعك منى فقال الراعى إن الذى تقولينه كرهته وجميع ماتبدينه زهدته لأنك خداعة غدارة لاعهد لك ولا وفاء فارجعى عنى أيتها المصالحة نفسها لفساد غيرها ثم ألقى عباءته على وجهه حتى لايرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج إلى السماء وكان بالقرب من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى فى منامه كأن قائلا يقول



له بالقرب منك فى مكان كذا وكذا رجل صالح فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائراً فلما اشتد عليه الحر انتهى إلى شجرة عندها عين جارية فجلس فى ظل الشجرة ليستريح فبينما هو جالس وإذا بوحوش وطيور أتوا إلى العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسًا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد فى نفسه أنا ما استرحت هنا إلا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتباً لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان فواخجلى من ربى يوم يقتص للشاه الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات وأنشد هذه الأبيات :

أما والله لـو علم الأنام ... لما خلقـوا لما غفلـوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر ... وتوبيـخ وأهـوال عظـام
ونحـن إذا نهينا أوامـرنا ... كأهل الكهف أكثرنا نياما

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائمًا على وجهه حتى أتى إلى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعى ما الذى أقدمك إلى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على فقال العابد إنى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى بالمسير إليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلاً لما أمرت فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجاس معه فى الجبل يعبدان الله تعالى فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما إلى أن أتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتينى ياشهرزاد فى ملكى وندمتينى على ما فرط فى قتل النساء والبنات فهل عندك شىء من حديث الطيور وقالت نعم زعموا أيها الملك أن طيراً طار وعلا إلى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريًا فبينما الطائر واقف على الصخرة وإذا برمة إنسان جرها الماء حتى أسندها إلى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه إن هذا المقتول كان شريراً فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجيب من تلك الرمامة حتى رأى نسورًا وعقبانًا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما

رأى ذلك طير الماء جزع جزعًا شديدًا وقال لاصبر لى على الإقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطيرمنها ولم يزل طائرًا حتى وجد نهرًا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبًا حزينًا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الأحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحًا شديدًا وقلت هذا رزق ساقه الله إلى فصار فرحى غما وسرورى حزنًا وهما وافترستها سباع الطير منى وحال بينها وبينى فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا واطمئن إليها فبينما هو فى فكرته وإذا بذكر من السلاحف أقبل منحدراً فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدى ما الذى أبعدك عن موضعك قال حلول الأعداء فيه ولاصبر للعاقل على مجاورة عدوه فقال له السلحف إذا كان الأمركما وصفته والحال مثل ما ذكرته فأنا لا أزال بين يديك ولا أفارقك لأقضى حاجتك وأوفى بخدمتك فإنه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قبل أن فرقة الصالحين لايعد لها شىء من المصائب ومما يسمى العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وأرجو أن تحمد صحبتى لك وأكون لك خادمًا ومعينًا ومازالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للسحلف أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف فى مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم إن طير الماء طار إلى مكان الجيفة فلما وصل إليها لم ير من سباع الطير شيئًا ولا من تلك الجيفة إلا عظامًا فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل إلى السلحف أخبره بما رأى وقال له إنى أحب الرجوع إلى مكانى وأتملى بخلانى لأنه لاصبر للعاقل عن وطنه فذهب معه إلى تلك المكان فلم يجد شيئًا مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين ثم سكنا تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى أمن وسرور وفرح وحبور إذ ساق القضاء إليه بازا جائعًا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل إنه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر هذا كان من حديث الطير فقال الملك يا شهر زاد لقد زدتينى بحكايتك مواعظ واعتبار فهل عندك شىء من حكايات الوحوش .



فقالت : اعلم أيها الملك أن ثعلبًا وذئبًا ألفا وكرا فكانا يأويان إليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهر فاتفق أن الثعلب أشار على الذئب يوما بالرفق وترك الفساد فلم يقبل الذئب قوله وأغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الأمور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما أفاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر إليه من الكلام الشين فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه أشراره وقال لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لاتتكلم فيما لايعنيك تسمع مالا يرضيك فقال الثعلب سمعًا وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لاتخبر عما لا تسئل عنه أولا تجب إلى ما لا تدعى إليه وذر الذى لا يعنيك إلى مالا يعنيك ولاتبذل النصيحة للأشرار فإنهم يجزونك عليها شرًا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه أضمر له مكرًا وقال لابد أن أسعى فى هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فإنه صبر على أذى الذئب وقال فى نفسه إن البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والإنصاف من شيم الأشراف والآداب أشرف الاكتساب ومن الرأى مداراة هذا الباغى ولا بد له مصرع ثم إن الثعلب قال للذئب إن الرب يعفو ويتوب على عبده إن اقترف الذنوب فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر وأعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولازلت قاهرًا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفًا من الذئب مصانعًا ثم أن الثعلب ذهب يومًا إلى كرم فرأى فى حائطه ثلمة فأنكرها وقال فى نفسه أن هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الأرض فلم يجتنبه ويتوق عن الأقدام عليه كان بنفسه مغرورًا وللهلاك

متعرضًا وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم ويقدم إليه العنب فى الأطباق لأجل أن يرى ذلك ثعلب آخر فيقدم إليه فيقع فى الهلاك وأنى أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل إن الحذر نصف الشطارة ولا يحملنى الطمع على أن ألقى نفسى فى الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فإذا هى حفرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد الوحش الذى يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقًا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وأرجو أن يقع فيها عدوى الذئب الذى نغص عيشى فاستقل بالكرم وحدى وأعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكًا عاليا وانطلق مسرعًا حتى وصل إلى الذئب وقال إن الله سهل لك الأمور إلى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئًا لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال إنى انتهيت إلى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الأثمار زاهية على الأشجار فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وأدركه الشر فقام حتى انتهى إلى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتًا كالميت وتمثل بهذا البيت :

أتطمع من ليلى بوصلى وإنما تضر بأعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب إلى الثلمة قال له الثعلب ادخل إلى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الإحسان فأقبل الذئب ماشيا يريد الدخول إلى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابًا شديدًا من السرور والفرح وزوال الهم والترح ثم إنه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندمًا وحزنًا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه إلى الثعلب وقال له أيها الثعلب رح أيها المسىء فى فعله لوالدتى وأخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل أن صاحب المثل يقول من لم يفكرفى العواقب لم يأمن من المعاطب فقال الذئب للثعلب يا أبا الحصين إنما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى وتخاف من شدة قوتى فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفا



وكان أجره على الله فقال له الثعلب يا أجهل السباع وأحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وأنت لم ترع المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر :

لاتظلمن إذا ما كنت مقتدرًا إن الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب : يا أبا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من حسن الذخائر وما أحسن قول الشاعر :

بادر بخير إذا ما كنت مقتدر فليس فى كل حين أنت مقتدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الفظ الغليظ إنى أشبهك فى حسن علانيتك وقبح نيتك بالباز مع الحجل قال الذئب وماحديث الباز والحجل قال الثعلب دخلت يومًا كرما لآكل من عنبه فبينما أنا فيه إذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتتبعه الباز وناداه أيها الجاهل أنى رأيتك فى البرية جائعًا فرحمتك والتقطت لك حبا وأمسكتك لتأكل فهربت منى ولم أعرف لهروبك وجهًا إلا الحرمان فأظهر وخذ ما أتيتك من الحب فكله هنيئًا مريئًا فلما سمع الحجل قول الباز صدقه وخرج إليه فأنشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل أهذا الذى ذكرت أنك أتيتنى به من البرية وقلت لى كله هنيئًا مريئًا فكذبت على جعل ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلاً فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم أيها الذئب إن من حفر لأخيه قليبًا وقع فيه قريبا وأنت غدرت بى أولاً فقال الذئب للثعلب دعنى من هذا المقال وضرب الأمثال ولأتذكر لى ماسلف منى من قبيح الفعال يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لى حيلة أتخلص بها وكن فيها غيائى وإن كان عليك ذلك مشقة فقد يتحمل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسى فيما فيه نجاته العطب وقد قبل أن الصديق الشفيق خير من الأخ الشقيق وإن تسببت فى نجاتى لأجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك

من الحيل الغريبة ماتفتح به الكروم الخصيبة وتجنى الأشجار المثمرة قطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن ما قالته العلماء فى كثير من الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن غليظ الجثة غليظ الطبع يكون بعيداً من العقل قريبًا من الجهل لأن قولك أيها الماكر الأحمق قد يحتمل الصديق المشقة فى تخليص صديقة صحيح كما ذكرت ولكن عرفتنى بجهلك وقلة عقلك كيف أصادقك من خيانتك أحسبتنى لك صديقاً وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد من رشق السهام فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال كنت فى غفلة من أمرى فإن خلصنى الله من الكرب لأتوبن من تجبرى على من هو أضعف منى ولألبسن الصوف ولأصعدن الجبل ذاكرًا الله تعالى خائفاً من عقابه واعتزل سائر الوحوش ولاطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكان لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفير ثم جلس على رجليه وأدلى ذنبه فى الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده إلى ذنب الثعلب وجذبه إليه فصار فى الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وكنت صاحبى وتحت قهرى ووقعت معى فى الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها ثم قال الذئب للثعلب فلابد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب فى نفسه إنى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج إلى المكر والخداع وقد قيل إن المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفى المثل ما ادخرتك يا دمعتى إلا لشدتى وما أحسن قول الشاعر:

عش بالخداع فأنت فى ... زمــن كأســد بيشــه
وأدر قناة المكر حتى ... تستدير رحى المعيشه
واجن الثمار فإن تفتك ... فرض نفسك بالحشيشه

ثم إن الثعلب قال للذئب لاتعجل على بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وإن تمهلت ومنعت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وأن عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه ونموت جميعًا ههنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذى



ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك فأخبرنى قصدك الذى قصدته فقال له الثعلب أما قصدى الذى قصدته فما ينبغى أن تحسن عليه مجازاتى لأنى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على مافاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الأذى عن الأصحاب وغيرهم فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك أن نجاك الله لزمنى خلاصك مما أنت فيه فأدليت إليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل وجذبتنى جذبة ظننت منها أن روحى قد خرجت فصرت أنا وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى أنا وأنت إلا شىء أن قبلت منى خلصت أنا وأنت بعد ذلك يجب عليك أن تفى بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائمًا ثم أعلوا أنا فوق رأسك حتى أكون قريبا من ظاهر الأرض فإنى حين أصير فوقها وأخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقًا لأن الحكام قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئًا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورًا ومن جرب بالمجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل أحمل الأشياء كلها على واحدة ومن قل حظه كثرت مصائبه فقال له الثعلب أن سوء الظن ليس محمود كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الأهوال وينبغى لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعًا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لأنك أن أحسنت الظن بى لا أخلو من أحد أمرين أما أن آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه وأما أن أغدر بك فأخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فإنى لا آمن من أن ابتلى بشىء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الأمثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى أن تثق بى فإنى لم أكن جاهلاً بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالأمر اضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب إنى مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من أنك أردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى أن كان حقا فيما زعم فإنه يستدرك ما أفسدوا أن كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فإن غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم

إن الذئب انتصب قائمًا فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الأرض فوثب الثعلب على أكتاف الذئب حتى صار على وجه الأرض ووقع مغشيًا عليه فقال له الذئب ياخليلى لاتغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه أيها المغرور لم يوقعنى فى يدك إلا المزح معك والسخرية بك وذلك أنى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فدليت لك ذنبى فى الحفرة فجُذبتنى فوقعت عندك ثم إنقذنىّ الله تعالى من يدك فكيف تطمع بقلة عقلك فى انقاذى إياك ما سمعت من غلظ كلامك وكيف أسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء فى موت الفاجر راحة للناس فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كتفه ندما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كتفه ندمًا ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت أنكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانًا وألطفها مزاجًا ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاج فقال الثعلب أيها الجاهل أن للمزاح حد لايجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك منى بعد أن انقذنى من يديك فقال له الذئب أنك الجدير أن ترغب فى خلاصى لما بيننا من سابق المؤاخاة والصحبة وإن خلصتنى لابد أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قال الحكماء لاتؤاخ الجاهل الفاجر فإنه يشينك ولا يزينك ولا تؤاخ الكذاب فإنه أن بدا منك خير خفاه وأن بدا منك شرا افشاه وقال الحكماء لكل شىء حيلة إلا الموت وقد يصلح كل شىء إلا فساد الجواهر وقد يدفع كل شىء إلا القدر فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالى وخوف الناس منى وقد علمت أنى أهجم على الحصون وأقلع الكروم فافعل ما أمرتك به وقم بى قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الأحمق الجاهل المحال بالباطل أنى تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فبما تأمرنى به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأننى عبدك ولكن سوف ترى مايحل به من شدخ رأسك بالحجارة وكسر أنيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل



يصيح لأهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربًا فنظر أصحاب الكرم فى الحفر فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة والثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب إلى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتًا فحرك رأسه من شدة الفرح وأنشد هذه الأبيات :

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت	بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت أبا سرحان فى تلفى	فاليوم حلت بك الآفات والتهبت
وقعد فى حفرة ما حلها أحد	إلا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم إن الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنًا لايخاف ضررًا وهذا ما كان من حديث الثعلب (ومما حكى) أن فأرة وبنت عرس كانتا ينزلان منزلاً لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرًا وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدرًا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشر له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها بإصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحت فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت إليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم إلى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحًا فجلست ترصد من يأتى إليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت إنها ترصدها فقالت فى نفسها أن لهذا الفعل عواقب ذميمة وأنى أخشى من تلك المرأة أن تكون لى بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولابد لى أن أعمل عملا حسنًا أظهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها فرأتها المرأة وهى تفعل ذلك فقالت فى نفسها ماهذا سبب نقصه فإنها تأتى به من جحر الذى اختلسته وتضعه على بعضه وقد أحسنت إلينا فى رد السمسم وما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إلينا وليست هذه آخذة السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو ففهمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فأنطلقت إلى الفأرفقالت لها يا أختى إنه لا خير فيمن لايرعى المجاورة ولايثبت على المودة فقالت الفأرة نعم ياخليلتى وأنعم بك وجوارك فما

سبب هذا الكلام فقالت بنت عرس إن رب البيت أتى بسمسم فأكل منه وهو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد أخذ منه كل ذى روح فلوا أخذت أنت الأخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفأر ذلك فلم تتمالك الفارة نفسها حتى دخلت فى السمسم وعانت فيه وسارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها من عواقب الأمور فقال الملك ياشهرزاد والله إن هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث فى حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعم بلغنى أن غرابًا وسنوراً كانا متآخين فبينما هما تحت الشجرة على تلك الحالة إذ رأيا نمراً مقبلا حتى سار قريبًا من الشجرة فطار الغراب إلى أعلى الشجرة وبقا السنو متحيراً فقال للغراب ياخليلى هل عندك حيلة فى خلاصى كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب إنما تلتمس الأخوان عند الحاجة إليهم فى الحيلة عند نزول المكروه بهم وكان قريبًا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الأرض ونعق وصاح ثم تقدم إليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلاً فتبعته الكلاب وسارت فى أثره ورفع الراعى رأسه فرأى طائراً يطير قريبًا من الأرض ويقع فتبعه وسار الغراب لايطير إلا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها فى أن تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعه الكلاب حتى انتهى إلى الشجرة التى تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليها فولى هاربًا وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور وبحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة إخوان الصفى تنجى من الهلكات (وحكى) أن ثعلبًا سكن فى بيت الجبل وكان كلما ولد ولداً واشتد ولده أكله من الجوع وإن لم يأكل ولده يضر به الجوع وكان يأوى إلى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب فى نفسه أريد أن أعقد بينى وبين الغراب مودة وأجعله مؤنسًا على الوحدة معاونًا على طلب الرزق لأنه يقدر من ذلك مالا أقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبًا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جارى إن للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الإسلام وأعلم بأنك جارى ولك على حق فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب أعلم أن خير القول أصدقه وربما تتحدث بلسانك بما ليس فى قلبك وأخشى أن تكون نخوتك باللسان ظاهراً وعداوتك فى القلب لأنك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولايمكن مواصلتنا فقال له الثعلب إن



من علم موضع الأخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ربما يصل إلى منافع الإخوان وقد أحببت قربك واخترت الأنس بك وعندى حكايات فى حسن الصداقة فإن أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك فى أن تبثها فحدثنى بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفأرة كانت فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة إلى فراش التاجر فرأى بدنا ناعمًا وكان البرغوث عطشانًا فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألمًا فاستيقظ من النوم وأستوى قاعدًا ونادى بعض أتباعه فأسرعوا إليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربًا فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذى أدخلك علىّ ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بأمن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث إنى هربت إلى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيراً بك ولاطمع فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك إلى الخروج من منزلك وإنى أرجو أن أكافئك على إحسانك إلا بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت إذ كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولاتجد إلا مايسرك ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الأبيات :

سلكت القناعة والانفراد ... وقضيت دهرى بماذا أتفق
بكسرة خبز وشربة ماء ... وملح جريش وثوب خلق
فإن يسر الله لى عيشتى ... وإلا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا أختى قد سمعت وصيتك وانقدت إلى طاعتك ولاقوة لى على مخالفتك إلى أن ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق

المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى إلى فراش التاجر ولايتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفأرة فى مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة إلى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقبلها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظرإليها وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفأرة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا إلى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال لها البرغوث قد التزمت لك بإخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث إلى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث إلى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر فانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيئاً فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الأولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج إلى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه إلى الصباح ثم إن الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيئًا فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير العاقل الخبير إلا ليصل إليك جزاء إحسانك إلى كما وصل للفأرة جزاء إحسانها إلى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن المجازاة وكافأها أحسن المكافأة فقال الغراب زعموا أن صقرًا كان جبارًا عنيدًا . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

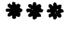
الليلة (١٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقرًا كان جبارًا عنيدًا أيام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الأذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صارت قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت أيها الثعلب إن عدمت قوتك ماعدمت خداعك فى أن ما تطلبه من صحبتى حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده فى يدك لأن الله أعطانى قوة فى جناحى وحذرًا فى نفسى وبصرا فى عينى وأعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك هذا ماعندى من الكلام واذهب عنى بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من



حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه ورأى كآبته وحزنه قال أيها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب إنما قرعت سنى لأنى رأيتك أخدع منى ثم إنه ولى هاربًا ورجع إلى جحره طالبًا النجاة وهذا ما كان حديثهما أيها الملك فقال لها الملك شهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شيء مثلها من الخرافات (قالت) بلغنى أيها الملك السعيد أن رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقًا لايدخل سوقًا من أسواق المدينة التى هو فيها إلا ويرجع يكسب عظيم فاتفق أن رجلا حمل أثوابًا مقطعة ليبيعها فذهب بها إلى السوق وصار ينادى عليها فلا يسومها أحد وكان لايعرضها على أحد إلا امتنع من شرائها فاتفق أن السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة وكان وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب إلى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها إلى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لاتفتح ورغب الناس فيها القلة الثمن فرآها رجل وأعجبته نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها إلى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ماهذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأبيعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته إلا إذا كان مسروقًا أما تعلم أن من اشترى شيئًا ولم يعاينه كان مخطئًا وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف ذلك فقالت بلغنى أن حائكا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت إلا بجهده فاتفق أن رجلا من الأغنياء كان ساكنًا قريبا منه قد أولم وليمة ودعا الناس إليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الأطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال فى نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيرًا واشتريت ثيابًا فاخرة وارتفع شأنى وعظمت فى أعين الناس ثم نظر إلى بعض الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سورًا شاهقًا رمى بنفسه إلى الأرض ونهض قائمًا فقال فى نفسه لابد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد إلى السور ورمى نفسه فلما وصل إلى الأرض اندقت رقبته فمات وإنما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشر فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت

الحاوى الخبير بالأفاعى العالم بها وربما نهشته الحية فقتلته وقد يظهر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده بأحوالها الهائم ثم خالف زوجته واشترى المتاع وأخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة إلى أن وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم إلى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديًا ورائحًا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال فقال بعضهم لبعض إنا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولابد لنا من ملك ينظر فى أمورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الأختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذى يتردد إليه فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكًا فاحسن إليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الأمور ثم إن العصفور غاب يومًا عن الطاووس فقلق قلقًا عظيمًا فبينما هو كذلك دخل عليه العصفور فقال ما الذى أخرك وأنت أقرب أتباعى إلى فقال العصفور ورأيت أمرًا واشتبه على فتخوفت منه فقال له الطاووس ما الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت أوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدًا عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك وإذا بلكركى وهو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجنى ذلك وهو سبب غيابى عنك ياملك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذرًا من الشبكة فقال له الطاووس لاترحل من مكانك لأنه لاينفع الحذر من القدر فبينما هو فى بعض الأيام شاخصًا وإذا بعصفورين يقتتلان فى الأرض فقال فى نفسه كيف أن أكون وزير الملك والعصافير تقتل فى جوارى والله لا أصلحن بينهما ثم ذهب إليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور وفى وسطها فقام إليه الصياد وأخذه ودفعه إلى صاحبه وقال استوثق به فإنه سمين لم أر أحسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا إلا الطاووس ولم ينفعنى الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر فقال الملك ياشهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة إن أبقانى الملك أعزه الله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





(حكاية على بن بكار مع شمس النهار)

الليلة (١٨٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان فى خلافة هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى أبا الحسن على بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبًا عند كل من يراه وكان يدخل فى دار الخلافة من غير إذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادمه وينشد عنده الأشعار ويحدثه بنوادر الأخبار إلا أنه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من أولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان وإذا بعشر جوار كأنهن الأقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغله بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها إزار رفيع وفى وسطها نار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر :

لها بشر مثل الحرير ومنطق   رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونى فكانتا   فعولان بالألباب ما تفعل الخمر
فياحبها زدنى جوا كل ليلة   ويا سلوة الأحباب موعدك الحشر

فلما وصلوا إلى دكان أبى الحسن نزلت عن البغلة وجلست غلى دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها على بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب إذا حضرنا هذا ما هو إنصاف فقال والله ياسيدتى إنى هارب مما رأيت فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لأبى الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه على بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب إكرامه فقالت له إذا جاءتك جاريتى فائت به عندى هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر على بن بكار صار لايعرف مايقول وبعد ساعة جاءت الجارية إلى أبى الحسن وقالت إن سيدتى تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه على بن بكار وتوجها إلى دار هارون الرشيد فادخلتهما فى مقصورة وأجلستهما وإذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما

مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهى مفروشة بأنواع الفرش مزينة بأحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما يتفرجان على هذه الغرائب وإذا بعشر جوار أقبلن وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهى متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس أزرق وأزار من الحرير بطراز من الذهب وفى وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الأشعار :

إن هذى هى ابتداء سقامى	وتمادى وجدى وطول غرامى
عندها قد رأيت نفسى ذابت	من ولوعى بها وبرى عظامى

فلما فرغ من شعره قال لأبى الحسن لو عملت معى خيراً كنت أخبرتنى بهذه الأمور قبل الدخول هنا لأجل أن أوطن نفسى وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال على بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له أبو الحسن تسمى شمس النهار وهى من محاظى أمير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم إن شمس النهار جلست وتأملت محاسن على بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد أمرت الجوارى أن تجلس كل واحدة منهن فى مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول :

أعد الرسالة ثانية	وخذ الجواب علانية
وإليك يا ملك الملاح	وقفت أشكو حاليه
مولاى ياقلبى العزيز	ويا حياتى الغالية
أنعم علـى بقبلة	هبة وإلا عارية
وأردها لك لاعدمت	بعينها وكما هى
وإذا أردت زيادة	خذها ونفسى راضية
يا ملبسى ثوب الضنى	يهنيك ثوب العافيه

فطرب على بن بكار وقال زيدينى من مثل هذا الشعر فحركت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار :

من كثرة البعد يا حبيبى	علمت طول البكا جفونى
يا حظ عينى ومناها	ومنتهى غايتى ودينى
أرث لمن طرفه غريق	فى عبرة الواله الحزين



فلما سمعت شمس النهار إنشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغنى فأنشدت هذه الأبيات :

وجـه لمصباح السماء مباهى   يبدو الشباب عليه رشح مياه
رقـم العذار غلالتيه بأحرف   معنى الهوى فى طيبها متناهى
نادى عليه الحسن حين لقيته   هـذا المنمنـم فـى طـراز الله

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وأن واشتكى أحرقها الوجد والغرام وأتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت إلى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا وقعا مغشياً عليهما فى باب القبة فقام الجوارى إليهما وحملنهما وأدخلنهما القبة ورششن عليهما الورد فلما أفاقا لم يجدا أبا الحسن وكان قد اختفا فى جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله أن يقدرنى على مكافأتك يا صاحب المعروف ثم أقبلت على على بن بكار وقالت له ياسيدى ما بلغ الهوى إلى غاية إلا وعندى أمثالها وليس لنا إلا بالصبر على ما أصابنا فقال على بن بكار والله يا سيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ولاينطفى إليك ما عندى من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى إلا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله إنى عجبت من أمركما واحترت فى شأنكما فإن حالكما عجيب وأمركما غريب فى هذا البكاء وأنتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار إلى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامها وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكارحتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاحتارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهن عندها وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى إلى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجوارى أن يضربن بالعود ففعلن ما أمرت به وأنشدت واحدة منهن :

بنفسـى مـن رد التحية ضاحـكاً   فجدد بعيد اليأس فى الوصل مطمعى

لقد أبرزت سر الغرام سرائرى وأظهرت للعزال ما بين أضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكأس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلى ابن بكار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكأس وأعطته لعلى بن بكار ثم أمرت جارية أن تغنى فأنشدت هذين البيتين :

تشابه دمعى إن جرى ومدامتى فمن مثل الكأس عين تسكب
فوالله لا أدرى أبا الخمر أسبلت جفونى أم من أدمعى كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كأسه ورده إلى شمس النهار فملأته وناولته لأبى الحسن فشربه ثم أخذت العود وقالت لايغنى على قدحى غيرى ثم شدت الأوتار وأنشدت هذه الأشعار :

غرائب الدمع فى خديه تضطرب وجدا ونار الهوى فى صدره تتقد
يبكى من القرب خوفا من تباعدهم فالدمع إن قربوا جار وإن بعدوا

فلما سمع على بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال وإذا بجارية قد أتت وهى ترتعد من الخوف وقالت ياسيدتى قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لاتخافوا ثم قالت للجارية ردى عليهم الجواب بقدر ماننتحول من هذا المكان ثم إنها أمرت بغلق باب القبة وإرخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت إلى البستان جلست على السرير وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجوارى أن يمضين إلى أماكنهن وأمرت الجارية أن



تدع الباب مفتوحًا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لأى شىء جئتم فقالوا إن أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واجب أن يكون ختام السرور بوجودك فى هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتى عندك فقامت وقبلت الأرض وقالت سمعا وطاعة لأمير المؤمنين ثم أمرت بإحضار القهرمانات والجوارى فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملاً فى جميع أموره ثم قالت للخدم أمضوا إلى أمير المؤمين وأخبروه إننى فى انتظاره بعد قليل إلى أن أهيئ له مكانًا بالفرش والأمتعة فمضى الخدم مسرعين إلى أمير المؤمنين ثم إن شمس النهار قلعت ودخلت إلى معشوقها على بن بكار وضمته إلى صدرها وودعته فبكى بكاء شديداً وقال ياسيدتى هذا الوداع فمتعينى به لعله يكون على تلف نفسى وهلاك روحى فى هواك ولكن أسأل الله تعالى أن يرزقنى الصبر على مابلانى به من محبتى فبينما هما فى الكلام وإذا بجارية قدمت وقالت ياسيدتى جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذى أبا الحسن ورفيقه واقصدى بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك إلى الظلام ثم تحيلى فى خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما فى الروشن وأغلقت الباب عليهما ومضت إلى حال سبيلها وصار ينظران إلى البستان وإذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الأقمار عليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفى يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشى بينهن وهن محيطات به من كلّ ناحية ومسرور وعفيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت شمس النهار وجميع من عندها من الجوارى والخدم وقفوا حوله والشموع موقدة والآلات تضرب إلى أن أمرهم بالانصراف والجلوس على الأسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلى بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم إن الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم إن الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن وأن هذه الآلات والمشروب

والتحف ما رأيت مثلها وهذا شىء من أصناف الجواهر ماسمعت بمثله وقد خيل لى أننى فى المنام ولم يزل على ابن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن إلى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ثم إن الخليفة التفت إلى جارية من الجوارى وقال هات ماعندك ياغرام من السماع المطرب فأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

وما وجد أعرابية بان أهلها ... فحنت إلى بان الحجاز ورنده
إذا آنست ركبا تكفل شوقها ... بنار قراه والدموع بورده
بأعظم من وجدى بحبى وإنما ... يرى أننى أذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيًا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجوارى واحتملنها فلما نظر على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال أبو الحسن أن القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان وإذا بالجارية التى أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما فى هذه الساعة وإلا متنا فقال أبوالحسن فكيف ينهض معى هذا الغلام ولاقدرة له على النهوض فسارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبوالحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابًا صغيراً من حديد وأخرجت أبا الحسن هو وعلى بن بكار على مصطبة ثم صفقت الجارية بيدها فجاء زورق فيه انسان يقذف فاطلعتهما الجارية فى الزورق وقالت للذى فى الزورق أطلعهما فى ذلك البر فلما نزلا فى الزورق قالت للملاح أسرع بهما فصار يقذف لأجل السرعة والجارية معهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملاح صار يقذف والجارية معهم إلى أن قطعوا ذلك الجانب وعدوا إلى البر الثانى ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا فى البر وقالت لهما كان قصدى أن لا أفارقكما لكننى لا أقدر أن أسير إلى مكان غير هذا الموضع ثم إن الجارية عادت



وصار على بن بكار مطروحًا بين يدى أبى الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبو الحسن أن هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف فى هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام على بن بكار يتمشى قليلا وهو لايستطيع المشى وكان أبوالحسن له فى ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن إليه منهم فدق بابه فخرج إليه مسرعًا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما إلى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال له أبو الحسن قد خرجنا فى هذا الوقت وقد أحوجنا إلى هذا الأمر إنسان عاملته فى دراهم وبلغنى أنه يريد السفر بمالى فخرجت فى هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيقى هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شيء وشق علينا العودة فى هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا إليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد فى إكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده وما زالا يمشيان حتى وصلا إلى المدينة ودخلا وجاز على بيت أبى الحسن فحلف على صاحبه على بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم أفاقا فأمر أبوالحسن غلمانه أن يفرشوا البيت فرشًا فاخرًا ففعلوا ثم إن أبا الحسن قال فى نفسه لابد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فإنى أدرى بأمره فقام أبوالحسن واستدعى غلمانه وأحضر أصحابه وأرسل إلى أرباب المغانى والآلات فحضروا وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقى اليوم إلى المساء ثم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤوس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول :

رميت من الزمان بسهم لحظ ... فأضنانى وفارقت الحبائب

وعاندنى الزمان وقل صبرى ... وإنى قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع على بن بكار كلام المغنية خرج مغشيًا عليه ولم يزل فى غشيته إلى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب إلى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفًا من عاقبة أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وصار معه أبوالحسن إلى أن أدخله منزله فلما اطمأن فى بيته حمد الله أبوالحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لايتمالك نفسه من شدة الغرام ثم إن أبا الحسن ودعه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

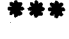
***

الليلـة (١٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له على بن بكار يا أخى لاتقطع عنى الأخبار فقال سمعًا وطاعة ثم إن أبا الحسن قام من عنده وأتى إلى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت إليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام فقال لها أهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال على بن بكار أخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الأمر ثم قالت إن حال سيدتى أعجب من ذلك فإنكم لما توجهتم رجعت وقلبى يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولاترد على أحد إلى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذى أصابك ياشمس النهار وما الذى اعتراك فى هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه قالت له يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك أنه خامرنى خلط فاضرم النار فى جسدى فوقعت مغشيًا على من شدة ما بى ولا أعلم كيف حالى فقال لها الخليفة ما الذى استعلمتيه فى نهارك قالت أفطرت على شىء لم آكله قط ثم أظهرت القوة واستدعت بشىء من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود إلى انشراحة فعاد إلى الجلوس فى القبة فلما جئت إليها سألتنى عن حالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده على بن بكار فسكتت ثم إن أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين :

ولم يصف لى شىء من العيش بعدكم	فياليت شعرى كيف حالى بعدكم
يحق لدمعى أن يكـون مـن الدما	إذا كنتم تبكون دمعا على بعدى

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيًا عليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (١٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لأبى الحسن أن سيدتى لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيًا عليها فأمسكت يدها ورشت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها ياسيدتى لاتهتكى نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبرى فقالت هل فى الأمر



(شمس النهار وهي مغشيًا عليها وحواليها الجوارى والأطباء يعالجونها)

أكثر من الموت فأنا أطلبه لأن فيه راحتى فبينما نحن فى هذا القول أذعنت جارية بقول الشاعر :

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة فقلت وأين الصبر بعد فراقه
وقد أكيد الميثاق بينى وبينه نقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيًا عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعًا إليها وأمر برفع الشراب وأن تعود كل جارية إلى مقصورتها وأقام عندها بقية ليلته إلى أن أصبح الصباح فاستدعى الأطباء وأمرهم بمعالجتها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر أبى الحسن فإنه لم يزل فى دكانه إلى آخر النهار فلما مضى النهار وقام وقفل دكانه وأتى إلى دار على بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخلوه فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبا الحسن أوحشتنى لتخلفك عنى فى هذا اليوم وروحى متعلقة بك باقى عمرى فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو أمكن فداءك كنت أفديك بروحى وفى هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتنى أنه ماعاقها عن المجىء إلا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتنى بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف وبكى وأرسل العبرات وأنشد هذه الأبيات :

حفرت بسيف اللحظ ذمة مغفرى وفرت برمح القد درع تصبرى
وجعلت لنا من تحت مسكة خالها كافور فجر شق ليل العنبرى
فزعت فضرست العقيق بلؤلؤ سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعًا فأثر كفها فى صدرها فنظرت ما لم أنظر
أقلام مرجان كتبن بعنبر بصحيفة البلور خمسة أسطر
يا حامل السيف الصقيل إذا رنت إياك ضربه جفنها المتكسر
وتوق يا رب القناة الطعن إن حملت عليك من القوام بأسمر

فلما فرغ على بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن أبو الحسن أن روحه خرجت من جسده ولم يزل فى غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبى الحسن ولم



يزل أبو الحسن جالسًا عند على بن بكار إلى صحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء إلى دكانه وفتحها وإذا بالجارية وقفت عنده فلما نظر إليها أومأت إليه بالسلام فرد عليها السلام فقالت له إن سيدتى تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهى فى حال أعظم من حاله وقد سلمتنى الورقة وقالت لاتأتينى إلا بجوابها فقال لها أبو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها إلى مكان غير الذى جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى دار على بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل . وأدرك شهرزاد فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أباالحسن ذهب بالجارية ودخل البيت فلما رآه على بن بكار فرح به فقال له أبوالحسن سبب مجىء أن فلانا أرسل إليك جاريته واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على ادخلوها وأشار له أبوالحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الإشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها كيف حال السيدة شفاها الله وعفاها فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لأبى الحسن فوجد مكتوبًا فيها هذه الأبيات :

ينبيك هذا الرسول عن خبرى   فاستغن فى ذكره عن النظر

خلفت صبا بحبكم دنفا   وطرفه لايزال بالسهر

أكابد الصبر فى البلاء فما   يدفع خلق موانع القدر

فقر عينا فلست تبعدى عن   قلبى ولايوم عبث عن بصرى

وانظر إلى جسمك النحيل وما   قد حله واستدل بالأثر

وبعد فقد كتبت لك كتابًا بغير بنان وأطلقت لك بغير لسان وجملت شرح حالى أن لى عينا لايفارقها السهر وقلبا لاتبرح عنه الفكرة فكأننى قط ماعرفت من صحة ولافرحة ولا رأيت منظرًا باهيًا ولاقطعت عيشا هنيًا وكأننى خلقت من الصبابة ومن ألم الوجد والكآبة به فعلى المقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاسر وأعلم أن الشكوى لاتطفىء نار البلوى لكنها تتعلل من أعله الاشتياق وأتلفه الفراق وأنى أتسلى بذكر لفظ الوصال وما أحسن قول من قال :

إذا لم يكن فى الحب سخط ولارضا   فأين حلاوة الرسائل والكتب

قال أبو الحسن فلما قرأناها هيجت ألفاظها بلابلى وأصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها إلى الجارية فلما أخذتها قال لها على بن بكار أبلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى إلى دكانه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع إلى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقض وضاق صدره وتحير فى أمره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم التالى ذهب إلى على بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ فى شكوى الغرام ومابه من الوجد والهيام فقال أبوالحسن أنا مارأيت ولاسمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف إذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن على بن بكار إلى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على أمرى وأمر على بن بكار ويعلم أننا متوافقان ولم يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل يسألنى عن الجارية فقلت له قد دعته إليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكن دبرت لنفسى أمر أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أنى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون سببا لهلاكى وأخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى أن أجمع مالى وأجهز حالى وأتوجه إلى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر مايكون من أحوالهما بحيث لايشعر بى أحد فإن المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال أن الرسول بينهما جارية وهى كاتمة لأسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لأحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك إلى هلاكى ويكون سببًا لتلفى وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبة قد أخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك



الله شر ماتخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأى هو الصواب فانصرف أبو الحسن إلى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر إلى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر إلى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له أنه توجه من مدة ثلاثة أيام إلى البصرة لأن له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى أمره وصار لايدرى أين يذهب وقال ياليتنى لم أفارق أبوالحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها إلى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لأدخل أسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد إليه وأذن له بالدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فردا عليه السلام ورحب به ثم إن الرجل اعتذر إليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له ياسيدى إن بينى وبين أبى الحسن صداقة وإنى كنت أودعه أسرارى ولا انقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ثم جئت إليه فوجدت دكانه مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا أنه توجه إلى البصرة ولم أعلم له صديقاً أوفى منك فبالله أن تخبرنى بخبره فلما سمع على ابن بكار كلامه تغير لونه واضطراب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وإن كان الأمر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم إن على بن بكار أطرق رأسه إلى الأرض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه إلى خادم له وقال له امض إلى دار أبى الحسن وأسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فإن قالوا سافر فاسأل إلى أى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أقبل إلى سيده وقال أنى لما سألت عن أبى الحسن أخبرنى أتباعه أنه سافر إلى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها وقالت لى هل أنت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت إنى معى رسالة إليه من عند أعز الناس عليه فجاءت معى واقفة على الباب فقال على بن بكار أدخلها فطلع الغلام إليها وأدخلها فنظر الرجل الذى عند على بن بكار إلى الجارية فوجدها ظريفة ثم إن الجارية تقدمت إلى على ابن بكار وسلمت عليه . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على على بن بكار تقدمت إليه وسلمت عليه وتحدثت معه سراً ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب أبى الحسن جواهرجيًا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلى بن بكار ولاشك ولا ريب أن لدار الخلافة عليك مطالبة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتى بهذه الجارية لأنها جارية شمس النهار وكانت جاءتنى من مدة برقعة مكتوب فيها إنها تشتهى عقد جواهر فأرسلت إليها عقدًا ثمينًا فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى غشى عليه ثم راجع نفسه وقال يا أخى سألتك بالله من أين تعرفها فقال له الجواهرجى دع الالحاح فى السؤال فقال له على بن بكار لا أرجع عنك إلا إذا أخبرتنى بالصحيح فقال له الجواهرجى أنا أخبرك بحيث لايدخلك منى وهم فأخبره بخبره ثم قال والله يا أخى ما حملنى على كتمان أمرى من غيرك إلا مخافة إن الناس تكشف أستار بعضها فقال الجواهرجى لعلى بن بكار وأنا ما أردت اجتماعى بك إلا لشدة محبتى لك وغيرتى عليك وشفقتى على قلبك من ألم الفراق عسى أن أكون لك مؤانسًا نيابة عن صديقى أبى الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره على بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين :

ولو قلت إنى صابر بعد بعده ... لكذبنى دموع وفرط نحيبى
وكيف أدارى مدمعًا جريانه ... على صحن خدى من فراق حبيبى

ثم إن على بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجواهرجى أتدرى ما أمرتنى به الجارية فقال لا والله ياسيدى فقال إنها زعمت أنى أشرت على أبى الحسن بالمسير إلى مدينة البصرة أننى دبرت بذلك حيلة لأجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها أن ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت إلى سيدتها وهىّ على ماهى عليه من سوء الظن لأنها كانت تصغى إلى أبى الحسن فقال الجواهرجى يا أخى أنى فهمت من حال هذه الجارية هذا الأمر ولكن إن شاء الله تعالى أكون عونا لك على مرادك فقال له على بن بكار وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش



الفلاة فقال لابد أن أبذل جهدى فى مساعدتك ثم نظر إليه وبكى فودعه . وانصرف وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواهرجى انصرف وهو لا يدرى كيف يعمل فى إسعاف على بن بكار وما زال ماشيًا وهو متفكر فى أمره إذ رأى ورقة مطروحة فى الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأها فإذا هى من المحب الأصغر إلى الحبيب الأكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبًا فيها اعلم ياسيدى أننى لم أدر ماسبب قطع المراسلة بينى وبينك فإن يكن صدر منك الجفاء فأنا أقابله بالوفاء وإن يكن ذهب منك الوداد فأنا أحفظ الود على البعاد فأنا معك فلما قرأها إذا بالجارية أقبلت تلتفت يمينًا وشمالاً فرأت الورقة فى يده فقالت ياسيدى إن هذه الورقة وقعت منى فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه إلى أن أقبل على داره ودخل والجارية خلفه وقالت له ياسيدى رد لى هذه الورقة فإنها سقطت منى فالتفت إليها وقال ياجارية لاتخافى ولاتحزنى ولكن أخبرينى بالخبر على وجه الصدق فإنى كتوم للأسرار واحلفى يمينًا أنك لاتخفى عنى شيئًا من أمر سيدتك فلما سمعت الجارية كلامه قالت يا سيدى ما ضاع سرًا أنت حافظة ولا خاب أمر أنت تسعى فى قضائه أعلم أن قلبى إليك فأنا أخبرك بحقيقة الأمر لتعطينى الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت والله على ما أقول شهيد فقال لها صدقت فإن عندى علم بأصل الخبرثم حدثها بحديث على ابن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله إلى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلى بن بكار ثم إن الجارية ودعته وتوجهت إلى على بن بكار فوجدته فى الانتظار فأعطته الورقة وقرأها وكتب لها ورقة رد الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها إلى الجواهرجى حسب الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها هذين البيتين :

إن الرسول الذى كانت رسائلنا ... مكتومة عنده ضاقت وقد غضبا
فاستخلصوا الى رسولا منكم ثقة ... يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فإنى لم يصدر منى جفاء ولاتركت وفاء ولا نقضت عهداً ولا قطعت ودا ولا فارقت أسفار هذا شرح حالى والسلام فلما قرأ الجواهرجى هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم إن الجارية قالت له لاتخرج من هذا المكان حتى أعود إليك ثم إن الجارية مضت إلى سيدتها ولم تغب قليلاً وعادت إلى الجواهرجى وقالت له احذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ماعندى غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمنى فقامت الجارية وأغلقت الأبواب بين جارية الجواهرجى وبينه وصرفت غلمانه إلى خارج الدار ثم خرجت للجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجواهرجى فعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجواهرجى نهض قائمًا ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذى قلت لى عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت إلى الجواهرجى وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت إنك حملتنا المسير إليك وأن نطلعك على مايكون من سر نائم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها إن لى دار غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالأصحاب والإخوان وليس لى فيها إلا ماذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الأمر إلى آخر فتأوهت على فراق أبى الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة فى الشهوات والناس بالناس ولايتم عمل إلا بقول ولايتم غرض إلا بمعين ولا تحصل راحة إلا بعد تعب . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٩٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس النهار قالت للجواهرجى لاتحصل راحة إلا بعد تعب ولايظهر نجاح إلا من ذوى مروءة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار بيدك هتكنا ولازيادة لما أنت ثم إن شمس النهار قامت وهى لاتستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجواهرجى حتى وصلت إلى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد أن نظر حسنها مابهره وسمع من

كلامها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه ثم استمر يتفكر شمائلها حتى سكتت نفسه وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه إلى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه إلى أن وصلوا إلى سيدهم فوجدوه ملقى على فراشه لما رأى الجواهرجى قال له أبطأت على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال والله ماغمضت عينى يوم مافارقتنى فإن الجارية جاءتنى بالأمس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له على بن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى أمرى وقل صبرى وكان لى أبو الحسن أنيسا لأنه يعرف الجارية فلما سمع الجواهرجى كلام على ابن بكار ضحك فقال له كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الأبيات :

وضاحك من بكائى حتى أبصرنى	لو كان قاسى الذى قاسيت أبكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده	إلا شج مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى	إلى خبيب زوايا القلب مأواه
حل الفؤاد مقيمًا لايفارقه	وقتًا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل ارتضى بدلا	وما اصطفيت حبيبًا قط إلا هو

فلما سمع الجواهرجى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى مع الجارية من حين فارقه فلما انتهى إلى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخى أنا على كل حال هالك فليت اجلى قريب وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى فقال الجواهرجى لايطفئ عنك هذه النار إلا الإجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطير وإنما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى الذى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما ببعضكما وفيه تشكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ماتريد والذى تراه هو الصواب قال الجواهراجى فأقمت عنده تلك الليلة أسامره إلى أن أصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت إلى منزلى فلما استقريت إلا قليلاً حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها

بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم أن الخليفة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا
أحد فيه وهو أستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فإنه أستر لنا

(على بن بكار وبجانبه شمس النهار وهى واضعة العود فى حجرها واللصوص داخلين عليهما)



وأليق بنا فقالت الجارية أن الرأى ماتراه أنت وأنا ذاهبة إلى سيدتى لأخبرها بما ذكرت وأعرض عليها ما قلت ثم إن الجارية توجهت إلى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت إلى منزلى فلما حضرت لجارية ونظرت ما فعلته أعجبها وأمرتنى بإحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به إلا أنت فذهبت إليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه ثم إن الجارية مضت وغابت إلى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها سقطًا على الأرض مغشيًا عليهما واستمرا ساعة زمانية فلما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيئًا من الطيب ثم إنهما صار يشكران صنعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شىء من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيئًا من الطعام فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما إلى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم إن شمس النهار قالت ياسيدى كمل جميلك وأحضر لنا عودًا أو شيئًا من آلات الملاهى حتى إننا نكمل حظنا فى هذه الساعة فقلت على رأسى وعينى ثم إنى قمت وأحضرت عودا فأخذته وأصلحته ثم إنها أخذت فى غناء الأشعار حتى حيرت الأفكار بأصوات مختلفات وإشارات رائقات وكاد المجلس أن يطير من شدة الطرب لما أتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجواهرجى ولما استقر بنا الجلوس ودارت بيننا الكئوس وأطربت الجارية بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

وعد الحبيب بوصله ووفى لى	فى ليلة ساعدها بليالى
يا ليلة سمح الزمان لنا بها	فى غفلة الواشين بالعذال
بات الحبيب يضمنى بيمينه	فضممته من فرحى بشمالى
عانقته ورشفت خمرة ريقه	وحظيت بالمعسول والعسال

ثم إن الجواهرجى تركهما فى تلك الدار وانصرف إلى دار سكناه وبات فيها إلى الصباح ولما أصبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر فى المسير إليهما فى داره الثانية فبينما هو جالس إذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال يا أخى ما هان على الذى جرى لك الليلة فى دارك الثانية فقلت له ياأخى وأى شىء جرى فأخبرنى بما حصل فى دارى فقال لى إن اللصوص

الذين جاءوا جيراننا بالأمس وقتلوا فلانا وأخذوا ماله رأوك بالأمس وأنت تنقل حوائجك إلى دارك الثانية فجاءوا إليها ليلا وأخذوا ماعندك وضيوفك فتحيرت فى أمرى وقلت أما الأمتعة فلا أبالى بضياعها وإن كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابى وضاعت فلا بأس بذلك لأنهم عرفوا عذرى بذهاب مالى ونهب دارى وأما على بن بكار ومحظية أمير المؤمنين فأخشى أن يشتهر الأمر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحى ثم إن الجواهرجى التفت إلى جاره وقال له أنت أخى وجارى تستر عورتى فما الذى تشير به على من الأمور فقال الرجل للجواهرجى الذى أشير به عليك أن تتربص فإن الذين دخلوا دارك وأخذوا متاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم فى جميع الطرف فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سعى منك فلما سمع الجواهرجى هذا الكلام رجع إلى داره التى هو ساكن بها . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلاح المباح .

***

الليلـة (١٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواهرجى لما سمع هذا الكلام رجع إلى داره التى هو ساكن بها وقال فى نفسه إن الذى حصل لى هو الذى خاف منه أبو الحسن وذهب إلى البصرة وقد وقعت فيه ثم إن نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا إليه من كل جانب ومكان فبينما هوجالس متندم وإذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له إن شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج إليه الجواهرجى وسلم عليه فوجده إنسانًا لم يعرفه فقال له الرجل إن لى حديثًا بينى وبينك فأدخله لدار وقال له ماعندك من الحديث فقال الرجل امض معى إلى دارك الثانية فقال الجواهرجى وهل تعرف دارى الثانية فقال إن جميع خبرك عندى وعندى أيضًا مايفرج الله به همك فقلت فى نفسى أنا أمضى معه حيث أراد ثم إنه لم يزل يمشى وأنا أمشى معه حتى خرجنا إلى الفضاء وهو يقول اتبعى وصار يهرول فى مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا إلى البحر فطلع منا فى زورق وقذف بنا الملاح حتى عدنا إلى البر الثانى فنزل من ذلك الزورق

ونزلت خلفه ثم إنه أخذ بيدى ونزل بى فى درب لم أدخله طول عمرى ولم أعلم هو فى أى ناحية ثم إن الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وأدخلنى معه وأغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بى فى دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم إخوه فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمرونى بالجلوس فجلست وكنت تعبت من شدة التعب فجاءونى بماء ورد ورشوه على وجهى وسقونى شرابًا وقدموا إلى طعامًا فقلت لو كان فى الطعام شيئًا مضرًا ما أكلوا معى فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا إلى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولاعمرى عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بى إليكم فقالوا نحن الذين أخذنا أمتعتك فى الليلة الماضية وأخذنا صديقك والتى كانت تغنى فقلت لهم أسبل الله عليكم سترة أين صديقى هو والتى كانت تغنى فأشاروا إلى بأيديهم إلى ناحية وقالوا ههنا ولكن يا أخى ما ظهر على شرهما أحد منا ومن حين أتينا بهما لم نجتمع عليهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذى منعنا عن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت فى أمان على نفسك وعليهما قال الجواهرجى فلما سمعت هذا الكلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩٥)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواهرجى قال لما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا أن المرأة إذا ضاعت لاتوجد إلا عندكم وإذا كان عند سرى أخاف افشاءه فلا يخفيه إلا صدوركم وسرت أبالغ فى هذا المعنى ثم إنى وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لى حتى انتهيت إلى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتى قالوا هذا الفتى على بن بكار وهذه شمس النهار فقلت لهم نعم فذهبوا إليهما واعتذروا لهما هذا ما كان من أمرى (وأما) ماكان من أمر على بن بكار وشمس النهار فإنهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت إلى على بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما

وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لاعلم لنا بهن ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا المكان الذى فيه الزورق فأطلعونا فيه وإذا هو الزورق الذى عدينا بالأمس فقذف بنا الملاح حتى وصلنا إلى البر الثانى فأنزلونا فما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فنظر الخيالة إلى شمس النهار وإلى على بن بكار ثم قالوا من أنتم ومن أين أتيتم وما موضعكم وفى أى الحارات أنتم ساكنون قال الجواهرجى فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت إلى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرًا فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلى بن بكار وفعل بى أيضا ثم إن مقدم الخيالة لم يزل سائرًا بنا إلى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل له جماعة من البرية فأطلعنا المقدم فى زورق وأطلع أصحابه فى زورق آخر وقذفوا بنا إلى أن انتهينا إلى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف فدخلت شمس النهار وأما نحن فرجعنا ولم نزل سائرين إلى أن انتهينا إلى المحل الذى نتوصل منه إلى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من خيالته يؤانسوننا إلى أن دخلنا الدار وحين دخلنا مكاننا ونحن لانقدر أن نتحرك من مكاننا ولاندرى الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة إلى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار وسقط على بن بكار مغشيًا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءنى بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا سبب الحال الذى هو فيه فقلت لهم ياقوم اسمعوا كلامى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواهرجى قال لاتفعلوا بى مكروها واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بينى وبينهم فبينما نحن كذلك وإذا بعلى بن بكار تحرك فى فراشه ففرح أهله وأنصرف الناس عنه ومنعنى أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله

فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابًا بسرعة ثم أشار إليهم أن يطلقونى لأذهب إلى منزلى فأطلقونى فخرجت فلما أردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها فإذا هى جارية شمس النهار فلما عرفتها قلت لها ما خبرك فقالت اعلم أنى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذونى أنا وسيدتى فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عالى ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا إلى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الجمر إلى أن جن الليل فرأيت زورقًا أقبل إلى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ومازال يقذف حتى وصل إلى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فإذا هى شمس النهار فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعدما قطعت الرجاء منها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩٧)

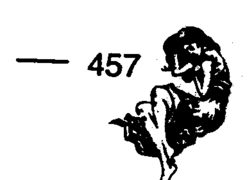
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجى فنزلت إليها وقد اندهشت من الفرح فلما تقدمت بين يديها أمرتنى أن أدفع إلى الرجل الذى جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان إلى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجوارى والخدم من الدخول عليها والوصول إليها ذلك اليوم فى ثانى يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كانها قد خرجت من مقبرة فرشت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيئًا من الطعام وأسقيتها شيئًا من الأشربة وهى ليس لها قابلية فى شىء من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت إليها العافية قلت لها ياسيدتى ارفقى بنفسك فقد حصل لك عن المشقة مافيه الكفاية فإنك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله ياجارية الخير إن الموت عندى أهون مما جرى لى فإنى كنت مقتولة لامحالة لأن اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجواهرجى سألونى وقالوا من أنت وما شأنك فقلت إن

جارية من المغنيات ثم قالوا أصدقينا وقولى لنا الحق وما قضيتك فلم أرد عليهم جوابًا بشىء وقلت فى نفسى الآن يقتلوننى لأجل ما على من الحلى والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا إلى على بن بكار وقالوا له من أين أنت فإن رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكى فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التى كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجواهرجى فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرف وأعرف أنه ساكن فى داره الثانية وعلى أن آتيكم به فى هذه الساعة ثم إن صاحبهما مضى إلى الجواهرجى وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم إن رجلا منهم أحضر لنا زورقًا وأطلعونا فيه وعدوا بنا إلى الجانب الثانى ورمونا إلى البر وذهبوا فأتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفى من نساء الوزراء فجاء اللصوص وأخذونى وأوصلونى إلى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامى مقدم الخيالة عرفنى ونزل عن مركوبه وأركبنى وفعل كذلك مع على بن بكار والجواهرجى وفى كبدى الآن من أجلهما لهيب النار لاسيما الجواهرجى رفيق ابن بكار فامضى إليه وسلمى عليه ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح إلى ابن بكار فصرت واقفة أترقبك حتى أسألك عنه وأعلم ماهو فيه فأسألك من فضلك أن تأخذ منى شيئًا من المال ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك قال الجواهرجى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها إلى أن أتينا إلى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى أعود إليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (١٩٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية مضت ثم عادت وهى حاملة المال فأعطته للجواهرجى وقالت يا سيدى أنجتمع بك فى أى محل قال الجواهرجى فقلت لها أتوجه إلى دارى فى هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لأجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك إليه فإنه يتعذر



الوصول إليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال وأتيت به إلى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلى منه شيئاً ومن كان له عندى شىء أعطيته عوضاً عنه ثم إنى أخت غلمانى وذهبت إلى الدار التى ضاعت منها الأمتعة وجئت النجارين والبنائين فأعادوها إلى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ما جرى لى ثم تمشيت إلى دار ابن بكار فلما وصلت إليها أقبل غلمانه على وقال لى واحد منهم سيدى فى طلبك ليلاً ونهاراً وقد وعدهم أن كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعاً وقد رجعت إلى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن تحضروه لحظة لى ويعود إلى سبيله قال الجواهرجى فمضيت مع الغلام إلى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآنى قال اعلم أن لكل شىء نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا إلى الموت أقرب فياليتنى مت من قبل الذى جرى ولولا أن الله لطف بنا لافتضحنا قال الجواهرجى فودعته وانصرفت إلى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية أقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقال يا سيدى اعلم أنه حل بنا ما حل من أمر مخافة فإنى لما أمضيت من عندك بالأمس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب وأراد ردها إلى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر إلى الخليفة فأمر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع ما لها إلى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادماً ولم أجتمع بها إلى الآن ولم أدر كيف احتال فى أمرى وأمرها ولم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (١٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجواهرجى توجه ياسيدى إلى على بن بكار سريعاً وأخبره بذلك لأجل أن يكون على أهبة فإذا انكشف الأمر نتدبر فى شىء تفعله لنجاة أنفسنا فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى أثرها وتوجهت إلى على بن بكار فوجدته

يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآنى رجعت إليه عاجلاً قال لى إنى أراك رجعت إلى فى الحال فقلت له أقصر من التعلق البطال ودع ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يقضى إلى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام تغير حالة وانزعج وقال له ماذا تفعل يا أخى وما عندك من الرأى قال للجواهرجى فقلت له الرأى أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تق به وأن تمضى بنا إلى ديار غير هذه قبل أن ينقضى هذا النهار فقال سمعًا وطاعة ثم وثب وهو متحير فى أمره فتارة يمشى وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر إلى أهله وأوصاهم بمقصوده وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقى يومنا وليلتنا فلما كان آخر النهار حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحل علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا وإذا باللصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان ثم تركونا فى مكاننا ونحن فى أقبح حال بعد أن أخذو المال وساروا فلما قمنا مشينا إلى أن أصبح الصباح فوصلنا إلى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عرايا وجلسنا فى جنب المسجد باقى يومنا فلما جاء الليل بتنا من غير أكل ولاشرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وإذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت إلينا وقال ياجماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولا نعرف فيها أحدا نأوى عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معى إلى دارى قال الجواهرجى فقلت لعلى بن بكار قم بنا معه فننجوا من أمرين الأول وأننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا فى هذا المسجد فنفتضح والثانى أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوى إليه فقال على بن بكار افعل ماتريد ثم إن الرجل خلع لنا شيئًا من ثيابه وألبسنا ولاطفنا فقمنا معه إلى داره فطرق الباب فخرج إلينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم إن الرجل أمر بإحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فالبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا وإذا بجارية أقبلت إلينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فأكلنا شيئًا يسيراً ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده إلى أن دخل الليل فتاوه على بن بكار وقال للجواهرجى يا أخى اعلم أننى هالك لامحالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك إذا رأيتنى مت تذهب إلى والدتى وتخبرها أن تأتى إلى هذا المكان لأجد أن تأخذ عزائى وتحضر غسلى وأوصيها أن تكون صابرة على فراقى ثم وقع مغشيًا عليه فلما أفاق سمع جارية تغنى من بعيد



وتنشد الأشعار فصار يصغى إليها ويسمع صوتها وهو تارة يفكر وتارة يضحك وتارة يبكى شجنا وحزنا مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الأبيات :

عجل البين بيننا بالفراق ... بعد ألف وجيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالى ... ليت شعرى متى يكون التلاقى
لو وجدنا إلى الفراق سبيلا ... لأذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار إنشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجواهرجى فلما رأيته مات أوصيت عليه صاحبَ الدار وقلت له أعلم أننى متوجه إلى بغداد لأخبر والدته وأقاربه حتى يأتو اليجهزوه ثم إنى توجهت إلى بغداد ودخلت دارى وغيرت ثيابى وبعد ذلك ذهبت إلى دار على بن بكار فلما رآنى غلمانه أتوا إلىّ وسألونى عنه وسألتهم أن يستأذنوا لى والدته فى الدخول عليها فأذنت لى بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت إن الله إذا قضى أمرا لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتابًا مؤجلاً فتوهمت أم على بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديدًا ثم قالت بالله عليك هل أوصاك بشىء فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصانى به وقلت لها اسرعى فى تجهيزه فلما سمعت أم على ابن بكار كلامى سقطت مغشيًا عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم إنى رجعت إلى دارى وسرت فى الطريق أتفكر فى حسن شبابه فبينما أنا كذلك وإذا بامرأة قد قبضت على يدى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجواهرجى قال وإذا بامرأة قد قبضت على يدى فتأملتها فإذا هى الجارية التى كانت تمشى من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا وسرنا حتى أتينا إلى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم إنى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة ثم أمر لها لفرش

مقصورة مذهبة وحجر مليحة وصارت عنده من ذلك الوقت فى قبول عظيم فاتفق أنه جلس يوما من الأيام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فأجلسهن فى مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجوارى أن تغنى فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول :

وداع دعانى للهوى فأجبته	ودمعى يحط الوجد حطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا	فتبدى الذى أخفى وتخفى الذى أبدى
فكيف أروم الشر أو أكتم الهوى	وفرط غرامى فيك يظهر ما عندى
وقد طاب موتى عند فقد أحبتى	فيا ليت شعرى ما يطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيًا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقلبها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بدفنها ثم قالت الجارية للجواهرجى سألتك بالله أن تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكارحتى أحضر دفنه فقال لها أما أنا ففى أى محل شئت تجدينى ثم مضيت إلى حالى ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار إلى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى أشدهن حزنًا ولم أرى جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا فى ازدحام عظيم إلى أن أتينا إلى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس بأعجب من حديث الملك شهرمان . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

(حكاية الملك قمر الزمان ابن الملك شهرمان)

الليلة (٢٠١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان إلا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال إنى أخاف إذا مت أن يضيع الملك لأنه ليس لى ولد يتولاه



بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فتوكل على الله أيها الملك وتوضأ وصلى ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت فى تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولداً ذكراً كأنه البدر السافر فى الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقًا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلا ولا نهاراً فشكا الملك شهرمان لأحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير إنى أخاف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أن أزوجه فى حياتى فقال له الوزير أعلم أيها الملك أن الزواج من مكارم الأخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدى قمر الزمان فحضر وأطرق رأسه إلى الأرض حياء من أبيه فقال له أبوه ياقمر الزمان اعلم أنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا أبى أننى ليس لى فى الزواج أرب فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام اغتم غمًا شديداً على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء وجهه ظلام واغتم غما شديداً على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت فى حسنه الورى وسار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل فى وجهه بدر التمام صاحب قدوا عتدال وظرف ودلال كأنه غصن بان أو قضيب خيرزان ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل :

مكملا بالجمال منفردا ... كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته ... أشهد أن لا مليح إلا هو

فلما تكاملت سنة أخرى لقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده إليه وقال له ياولدى إنى أريد أن أزوجك وأفرح بك في حياتي وأسلطنك في مملكتي قبل مماتي فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام وأطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال يا أبي هذا شيء لا أفعله أبدا ولوسقيت كاس الردى وأنا أعلم أن الله فرض على طاعتك فيحق الله عليك لاتكلفنى أمر الزواج ولاتظن أنى أتزوج طول عمرى لأننى قرأت فى كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت ماجرى لهم من المصائب والأنات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى وما يحدث عنهن من الدواهى وما أحسن قول الشاعر :

إن النساء وإن ادعين العفة ... رم تقلبها النسور الحوم

فى الليل عندك سرها وحديثها ... وغدا لغيرك ساقها والمعصم

كالخان تسكنه وتصبح راحلا ... فيحل بعدك فيه من لاتعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام ولم يرد عليه جوابًا فرط محبته له وزاده من إنعامه وإكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال له أيها الوزير قل لى ما الذى افعله فى قضية ولدى قمر الزمان فإنى استشرتك فى زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت علىّ بذلك وأشرت علىّ أيضًا أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفنى فأشر علىّ الآن بما تراه حسنًا فقال الوزير الذى أشير به عليك الآن إيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فإذا أردت أن تكلمه بعدها فى أمر الزواج فلا تكلمه سرًا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الأمراء والوزراء حاضرين فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحًا شديدًا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه سنية فصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يومًا



من الأيام يزداد حسناً وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ العمر عشرين سنة وألبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وأشرقت خدوده بالاحمرار ويشتكى خصره من ثقل أردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء :

قسما بوجنته وباسم ثغره ... وبأسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه ... وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ... صبه وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد أرسلت من صدغه ... وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره ... وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبطيب نكهته وسال جرى ... فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفة المرتج فى حركاته ... وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه ... وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك إلا من فضالة خاله ... والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه ... وأرى الهلال قلامة من ظفره

ثم إن الملك شهرمان سمع الكلام الوزير وصبر سنة حتى حصل يوم موسم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان دعى الأمراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم إن الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الأرض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه يا ولدى أنى ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا إلا لأجل أن أمرتك بأمر فلا تخالفنى فيه وذلك أن تتزوج فقال له أما أنا فلا أتزوج أبدًا ولو سقيت كاس الردى وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل إنك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة شأن الزواج وأنا لا أجيبك

إلى ذلك فخجل أبوه واستحى حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم إن الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بإمساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لى بين عساكرى وجيوشى ولكن أنت الآن ما أدبك أحد . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أما تعلم أن هذا الأمر الذى صدر منك لوصدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحًا منه ثم إن الملك أمر المماليك أو يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فيها البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريراً لقمر الزمان فرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسًا كبيراً وشمعة لأن ذلك المكان كان مظلمًا فى النهار هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه أقام على كرسى مملكته بقية اليوم إلى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له أعلم أيها الوزير إنك كنت السبب فى الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث أشرت على بما أشرت فما الذى تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يومًا ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فإنه لايخالفك أبداً . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٦)

قالت : بلغنى أيها السعيد أن الملك شهرمان قبل رأى الوزير فى ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لأنه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لا يأتيه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك



الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب إلى جنب كأنه نائم على جمر اللظى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها هذا ما كان من أمر الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيئًا من المآكل فأكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث أساء الأدب فى حق أبيه الملكَ شهرمان وندم على ماخرج من لسانه فى حق الملك غاية بالندم وأنشد هذين البيتين :

يموت الفتى من عثرة من لسانه   وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه   وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

ثم إن قمر الزمان لما فرغ من الأكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان والملك شهرمان جلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك والمعوذتين وختم الدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الأطلس المعدن لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص شمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى أزرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة أربعة عشرة ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقدة فوق رأسه ولم يزل نائمًا إلى ثلث الليل ولم يعلم ما خبئ له فى الغيب وما قدر عليه علام الغيوب واتفق أن القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية إبليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الملك الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أسم تلك الجنية ميمونة ابنة الملك الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائمًا إلى ثلث الليل طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت فى أعلى البئر رأت نورًا مضيئًا فى البرج على خلاف العادة وكانت العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها أنا ما عهدت هنا شيئًا من ذلك ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجًا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائمًا على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرًا منصوبًا وعليه هيئة إنسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت إليه قليلا وقليلا وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت إليه واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبًا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورًا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه وأحمر خداه وفتر جفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر :

قبلته فاسودت المقل التى	هى فتنتنى واحمرت الوجنات
يا قلب إن زعم العواذل أنه	فى الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهى تنظر إلى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وبعد تلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة فى الجوالى أن قربت من سماء الدنيا وإذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة فى الهواء فقصدت ناحية تلك الأجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتًا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال أقسم عليك بالاسم الأعظم والطلسم إلا كرم المنقوش على خاتم سليمان أن



ترفقى بى ولا تؤذينى فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له إنك أقسمت على بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرنى من أين مجيئك فى هذه الساعة



(الجنية ميمونة عندما دخلت القاعة التى فيها قمر الزمان)

فقال لها أيتها السيدة اعلمى مجيئى من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر وأخبرك بأعجوبة رأيتها فى هذه الليلة فإن وجدت كلامى . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٠٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجنى قال للجنية فإن وجدت كلامى صحيحًا فاتركينى أروح إلى حال سبيلى واكتبى بخطك فى هذه الساعة أنى عتيقك حتى لا يعارضنى أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة إن لم يكن كلامك صحيحًا نتفت ريشك بيدى ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار إن لم يكن كلامى صحيحًا فافعلى بى ماشئت ياسيدتى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشًا قال خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين وهى بلاد الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك بنتًا لم يخلق الله فى زمانها أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لسانى عن وصفها كما ينبغى ولكن أذكر لك شيئًا من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالى الهجر وأما وجهها فكأيام الوصال ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الأرجوان ولها خدود كشقائق النعمان ولسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر لها صدر فتنة لم يراه فسبحان من خلقه وسواه متصل بذلك الصدر عضدان مدملجان ولها نهدان كأنهما العاج يستمد من إشراقهما القمران ولها بطن مطوية كطى القباطى المصرية وينتهى ذلك إلى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف كثيب من رمال يقعدها إذا قامت ويوقظها إذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه :

لها كفل تعلق فى ضعيف — وذاك الردف لى ولها ظلوم
فيوقفنى إذا فكرت فيه — ويقعدها إذا همت تقوم



يحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما عمودات ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعه المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما ما وراء ذلك فإنى تركته لأنه تقتصر عنه العبارة ولا تفى به الإشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار فى الليل والنهار لايهاب الموت لايخاف الفوت لأنه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش عساكر وأقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور وصاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديداً ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخرة وأوانى الفضة وجميع الآلات من كل ماتحتاج إليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر لمدة السنة ثم تنتقل منه إلى غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها وأرسل سائر الملوكَ إلى أبيها يخطبونها منه فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لأبيها يا والدى ليس لى غرض فى الزواج أبداً فإنى سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم على فقال لها إن كان ولابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم إن أباها أدخلها البيت وحجبها فيها واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب إلى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل يكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها أصيبت بجنون فى عقلها ولها الآن سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وأنا ياسيدتى أتوجه إليها فى كل ليلة فأنظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى لها لا أضرها ولا أركبها لأن جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت عليك ياسيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا إن شئت أن تعاقبينى أو تأسرينى فإن الأمر أمرك والنهى نهيك ثم إن العفريت دهنش أطرق رأسه إلى

الأرض وخفض أجنحته إلى الأرض فقالت العفريتة ميمونة بعد أن ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه أى شىء هذه البنت التى تقول عنها فما هى إلا قوارة بول فكيف لو رأيت معشوقى والله إنى حسبت أن معك أمر عجيبًا أوخبرًا غريبًا يا ملعون أنى رأيت إنسانًا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لا تفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يادهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ماجرى لمعشوقتك التى ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مرارًا عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى أنا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش ياسيدتى أرينى هذا الغلام لأنظر هل هو أحسن من معشوقتى الملكة بدور أم لا لأنى ما أظن أن يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون أنه لايوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار . وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٢)

قالت : بلغنى أيهاالملك السعيد أن العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار فهل أنت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى قال لها بالله عليك ياسيدتى أن تذهبى معى وتنظرى معشوقتى وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لأنك شيطان مكار ولكن لا أجئ معك ولا تجى معك إلا برهن فإن طلعت معشوقتك التى أنت تحبها وتتعالى فيها أحسن من معشوقى الذى أنا أحبه وأتغالى فيه فإن ذلك الرهن يكون لك وأن طلع معشوقى أحسن فإن ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش ياسيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى إلى الجزائر فقالت له ميمونة أن موضع معشوقى أقرب من موضع معشوقتك وها هنا تحتنا فأنزل معى لتنظر معشوقى ونروح بعد ذلك إلى معشوقتك فقال لها دهنش سمعًا وطاعة ثم انحدر إلى أسفل ونزل فى دور القاعة التى فى البرج وأوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملك شهرمان فسطع وجهه وأشرف ولمع وزها فنظرته ميمونة

والتفتت من وقتها إلى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولاتكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت إليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتى إنك معذورة ولكن بقى شىء آخر وهو أن حال الأنثى غير حال الذكر وحق الله أن معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتى فى الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد أفرغا فى قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلا ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضى عليه من شدتها وقالت له قسماً بنور وجهه وجلاله أن تروح ياملعون فى هذه الساعة وتحمل معشوقتك التى تحبها وتجىء بها سريعًا إلى هذا المكان ثم إن العفريت دهنشا طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقى رفع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريز ثم إنهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٣)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريت والعفريتة كشفا عن وجوه الاثنين فكان أشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان وإخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما فيها الشاعر المبين :

يا قلب لا تعشق مليحًا واحدًا ... تختار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم ... إن صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميونة بنظران إليهما فقال دهنش أن معشوقتى أحسن قالت له ميمونة بل معشوقى أحسن ويلك يادهنش هل أنت أعمى أما تنظر إلى حسنه وجماله وقدره واعتداله فاسمع ما أقوله فى محبوبى وإن كنت محبًا صادقًا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول فى محبوبى ثم إن ميمونة قبلت قمر الزمان قبلا عديدة وأنشدت هذه القصيدة :

ما لى وللاحى عليك يعنف ... كيف السلو وأنت غصن أهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها ... ما للهوى العذرى عنها مصرف

حملتنى ثقل الغرام وإننى بالعجز عن حمل القميص لأضعف
وجدى عليك كما علمت ولوعتى طبع وعشقى فى هواك تكلف
لو أن قلبى مثل قلبك لم أبت والجسم منى مثل خصرك منحف
ويلاه من قمر بكل ملاحة بين الأنام وكل حسن يوصف
يا قلبه القاسى تعلم عطفه من قده فعسى ترق وتعطف
لك يا أمير فى الملاحة ناظر يسطو على وحاجب لاينصف
كذب الذى ظن الملاحة كلها فى يوسف كم فى جمالك يوسف
الجن تخشانى إذا قابلتها وأنا إذا ألقاك قلبى يرجف
والشعر أسود والجبين مشعشع والطرف أحور والقوام مهفهف

فلما سمع شعر ميمونة طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنش قال إنك أنشدتينى فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أنك بالك مشغول به ولكن أنا أبذل الجهد فى إنشاد الشعر على قدر فكرتى ثم إن دهنش قام إلى معشوقته بدوره وقبلها بين عينيها ونظر إلى العفريتة ميمونة وإلى معشقوته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور :

أفوت معاهدهم بشط الوادى فبقيت مقتولا وسط الوادى
لم أدر من أين الثلاثة اشتكى ولقد عدتت فاصغ للإعداد
من لحظ السياف أمن قدها الرماح أمن صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من لايته من حاضر أو بادى
أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه ترنى فقلت لها وأين فؤادى

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أى هذين الاثنين أحسن فقال لها محبوبتى بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت ياملعون بل معشوقى أحسن من



معشوقتك ، ثم إنهما لم يزالا يعارضان بعضهما فى الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورق كلامه وقال لها لايصعب عليك الحق فأبطلى قولك وقولى فإن كلامنا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالإنصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الأرض برجلها فطلع لها من الأرض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول وفى رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى الأرض ويداه مثل يدى القطرب له أظفار كأظفار الأسد ورجلان كرجلى الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الأرض بين يديها وتكتف وقال لها ماحاجتك ياسيدتى يابنت الملك فقالت له ياقشقش إنى أريد أن تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش ثم إنها أخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فعندما نظر العفريت قشقش إلى وجه ذلك الصبى ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما فى الحسن والجمال تشابهان وفى الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالها ثم إن العفريت قشقش التفت إلى ميمونة وإلى دهنش وقال لهما مافيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل أشبه الناس ببعضهما فى الحسن والجمال والبهجة والكمال ولايفرق بينهما إلا بالتذكير والتأنيث وعندى حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأى الذى قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنش لدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع اللدغة من شدة ما أحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيئًا نائمًا بجنبه ونفسه أزكى من المسك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب

ثم قام من وقته قاعدًا أو نظر إلى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة المنية أو القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفيها :

بدت قمرًا وعادت غصن بان | وفاحت عنبرًا ورنت غـزالا
كأن الحـب مشغوف بقلبي | فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهى نائمة طوله وجد فوق بدنها قميصًا بندقيًا وهى بلا سروال عليها كوفيه من ذهب مرصعة بالجواهر وفى



(قمر الزمان وهو يوقظ السيدة بدور عندما استيقظ من نومه ورآها نائمة بجانبه)



عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لايقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم إنه لما شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال فى نفسه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثانى مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر إليها وإلى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهى لا تنتبه لأن دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتى استيقظى وانظرى من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر فى أمرها ساعة زمانية وقال فى نفسه أن صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وأنا أمتنع من ذلك فإن شاء الله إذا جاء الصبح أقول لأبى زوجنى بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم إن قمر الزمان مال إلى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فإنه طار من الفرح ثم إن قمر الزمان لما أراد أن يقبلها فى فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال فى نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدى لما غضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء لى بهذه العروسة وأمرها بالنوم جنبى ليمتحنى بها وأوصاها أنى إذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أى شىء فعل بك قمر الزمان فاعلمينى به فأنا أكف نفسى عنها لئلا ينكشف أمرى مع والدى فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير أنى آخذ لى منها شيئاً يكون أمارة عندى وتذكرة لها حتى يبقى بينى وبينها إشارة ثم إن قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال لأن فصه من نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الأبيات :

لاتحسبوا أنى نسيت عهودكم ... مهما أطلتم فى الزمان صدودكم
يا سادتى جودوا على تعطفا ... فعسى أقبل ثغركم وخدودكم
والله إننى لست أبرح عنكم ... ولو أعديتم فى الغرام حدودكم

ثم إن قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره وأدار ظهره إليها ونام وفرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة من هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظروا كيف رأى هذه الصبية

وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يملس بيده عليها بل أدار ظهره إليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثًا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابًا نائمًا بجانبها وهو يغط فى نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كأنه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وأنفع من الترياق ثم إن الملكة بدور لما رأت قمر الزمان وأخذها الوجد والغرام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور قالت فى نفسها وافضيحتاه أن هذا شاب غريب لا أعرفه ماباله راقد بجانبى فى فراش واحد ثم نظرت إليه بعيونها وحققت النظر فيه وفى ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله إنه شاب مليح مثل القمر إلا أن كبدى يكاد أن يتمزقَ وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتى منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذى خطبنى من أبى مارددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت لقمر الزمان ياسيدى كلمنى ياحبيبى حدثنى يا معشوقى رد على الجواب وقل لى ما اسمك فإنك سلبت عقلى كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجبًا بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها فى أصبعه الخنصر فشهقت شهقة وقالت والله أنت حبيبى وتحبنى ولكن كأنك تعرض عنى دلالا مع أنك جئتنى وأنا نائمة وماأعرف كيف عملت أنت معى ولكن ما أنا قالعة خاتمى من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شىء تأخذه منه فلم تجد معه شيئًا ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها



من نعومة جسمه وسقطت على إيره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لأن شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من أصبعه ووضعته فى أصبعها وقبلته فى ثغرة وقبلت كفيه ولم نترك فيه موضعا إلا قبلته وبعد ذلك أخذته فى حضنها وعانقته ووضعت إحدى يديها تحت رقبته والأخرى من تحت إبطه ونامت بجانبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منهما ما جرى فلما رأت ميمونة الجنية ذلك فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال فلا شك أن معشوقى أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة العتق والتفتت إلى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها إلى مكانها لأن الليل مضى وفاتنى مطلوبى فتقدم دهنش وقشقش إلى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها إلى مكانها وأعاداها إلى فراشها واختلت ميمونة بالنظر إلى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل إلا القليل ثم توجهت إلى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يميناً وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ماهذا الأمر كان أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم أخذها سراً لأجل أن تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك ياملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والإبريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر إلى الخادم فوجده واقفًا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبى وأنا نائم فقال الخادم وقد انزعج منه والله ياسيدى مارأيت صبية ولا صبيًا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له إنهم

علموك الخداع يا ملعون فتعال عندى فتقدم الخادم إلى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الأرض فضرط ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وأدلاه فيه إلى أن وصل إلى الماء وأرخاه وكانت تلك الأيام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه والخادم يستغيث ويصرخ ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما أطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الجارية وقضيتها ومن الذى أخذها وأنا نائم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم قال لقمر الزمان أنقذنى من البئر ياسيدى وأنا أخبرك بالصحيح فجذبه من البئر وأطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطاس والبرد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت أسنانه فى بعضها وابتلت ثيابه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الأرض قال له دعنى ياسيدى أروح وأقلع ثيابى وأعصرها وأنشرها فى الشمس وألبس غيرها ثم أحضر إليك سريعًا وأخبرك بأمر تلك الصبية وأحكى لك حكايتها فقال له قمر الزمان والله ياعبد النحس لولا أنك عاينت الموت ما أقررت بالحق فأخرج لقضاء أغراضك وعد إلىّ بسرعة واحك لى حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق نفسه بالنجاة ولم يزل يجرى إلى أن دخل على الملك شهرمان أبى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان فى أمر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير إنى ما نمت فى هذه الليلة من اشتغال قلبى بولدى قمر الزمان وإذا بالخادم دخل عليهما وهو فى تلك الحالة وقال له يامولانا السلطان أن ولدك حصل له جنون وقد فعل بى هذا الفعال وقال لى أن صبية باتت عندى فى هذه الليلة وذهبت خفية فأخبرنى بخبرها وأنا لا أعرف ماشأن هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلاً وا ولداه وغضب على الوزير الذى كان سببًا فى هذه الأمور غضبًا شديدًا وقال له قم



اكشف لى خبر ولدى قمر الزمان فخرج الوزير وهو يتعثر فى أذياله من خوفه من الملك وراح مع الخادم إلى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالسًا على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس إلى جانبه وقال له ياسيدى أن هذا العبد النحس أخبرنا بخبر شوش علينا وأزعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان أيها الوزير وما الذى قال لكم عنى حتى شوش على أبى وفى الحقيقة هو ما شوش إلا على فقال له الوزير إنه أخبرنا أنك جننت وقلت له كان عندى صبية فى الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظًا شديدًا وقال للوزير تبين لى إنكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان بن الملك شهرمان قال للوزير تبين لى أنكم منعتموه من أن يخبرنى بأمر الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة وأنت أيها الوزير أعقل من الخادم فأخبرنى فى هذه الساعة أين ذهبت الصبية المليحة التى كانت نائمة فى حضنى فى تلك الليلة فأنتم الذين أرسلتموها عندى وأمرتموها أن تبيت فى حضنى ونمت معها إلى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فأين هى الآن فقال له الوزير ياسيدى قمر الزمان اسم الله حواليك وأنا ما أرسلنا لك فى هذه الليلة أحدًا وقد نمت وحدك والباب مقفل عليك والخادم نائم من خلف الباب وما أتى إليك صبية ولاغيرها فارجع إلى عقلك ياسيدى ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه أيها الوزير أن تلك الصبية معشوقتى فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت هذه الصبية فى هذه الليلة بعينك فى اليقظة أو فى المنام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس أتظن أنى رأيتها بأذنى إنما رأيتها بعيونى فى اليقظة وقلبتها بيدى وسهرت معها نصف ليلة كاملة وأنا أتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وإنما أنتم أوصيتموها أنها لا تكلمنى فجعلت نفسها نائمة فنمت بجانبها إلى الصباح ثم

استيقظت من منامى فلم أجدها فقال له الوزير ياسيدى قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الأمر فى المنام فيكون أضغاث أحلام أو تخيلات من أكل يختلف الطعام أو وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا أيها الشيخ النحس كيف تهزأ بى أنت الآخر وتقول لى لعل هذا اضغاث أحلام مع أن الخادم قد أقر بتلك الصبية وقال لى فى هذه الساعة أعود إليك وأخبرك بقصتها ثم إن قمر الزمان قام من وقته وتقدم إلى الوزير وقبض لحيته فى يده وكانت لحيته طويلة فأخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه وما زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد أن يهلكه فقال الوزير فى نفسه إذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبى المجنون بكذبة فأنا أولى بذلك منه وأخلص نفسى أنا الآخر بكذبة ثم إن الوزير التفت إلى قمر الزمان وقال له ياسيدى لاتؤاخذنى فإن والدك أوصانى أن أكتم عنك خبر الصبية وأنا الآن عجزت وكليت من الضرب لأنى بقيت رجلاً كبيراً وليس لى قوة على تحمل الضرب فتمهل على قليلا حتى أحدثك بقصة الصبية فقال قمر الزمان نعم أخبرنى أيها الوزير من الذى جاء بها إلىّ وأنامها عندى وأين هى فى هذه الساعة حتى أروح أنا إليها بنفسى فإن كان أبى الملك شهرمان فعل معى هذه الفعال وأمتحنى بتلك الصبية المليحة من أجل زواجها فأنا رضيت أن يزوجنى بتلك الصبية فإنى لا أريد سواها وقلبى لم يعشق إلا إياها فقم وأسرع إلى أبى وأشر إليه بتعجيل زواجى ثم عد إلىّ قريبًا فى هذه الساعة فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتى خرج من البرج وهو يجرى إلى أن دخل على الملك شهرمان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير خرج يجرى إلى البرج إلى أن دخل على الملك شهرمان فلما دخل عليه قال له الملك أيها الوزير مالى أراك فى ارتباك ومن الذى بشره رماك حتى جئت مرعوبا فقال للملك قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم أن ولدك قمر الزمان حصل له جنون فلما سمع الكلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلامًا وقال له



أيها الوزير أوضح لى صفة جنون ولدى قال له الوزير سمعا وطاعا ثم أخبره بما صدر من ولده فقال الملك أبشر أيها الوزير أعطيك فى نظير بشارتك إياى بجنون ولدى ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا نحس الوزراء وأخبث الأمراء لأنى أعلم أنك سبب جنون ولدى بمشورتك ورأيك التعيس الذى أشرت به على فى الأول والآخر ثم إن الملك شهرمان نهض قائمًا وأخذ الوزير معه ودخل به البرج الذى فيه قمر الزمان فلما وصلا إليه قام قمر على قدميه لوالده ونزل سريعًا من فوق السرير الذى هو جالس عليه وقبّل يديه ثم تأخر وراءه وأطرق رأسه إلى الأرض وهو مكتف اليدين قدام أبيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه إلى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خديه وأنشد قول الشاعر :

إن كنت قد أذنبت ذنبًا سالفًا فى حقكم وأتيت شيئًا منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوكم يسع المسىء إذا أتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبّله بين عينيه وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم التفت إلى الوزير بعين الغضب وقال له ياكلب الوزراء كيف تقول على ولدى قمر الزمان ماهو كذا وكذا وترعب قلبى عليه ثم التفت إلى ولده وقال ياولدى ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدى هذا يوم السبت وغدا يوم الأحد بعده يوم الاثنين وبعده الثلاثاء وبعده الأربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدى قمر الزمان الحمد لله على سلامتك ثم إن الملك قال لولده يا ولدى أى شىء هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم وللوزير حيث قلت لهما إنى كنت نائمًا أنا وصبية مليحة فى هذه الليلة فما شأن هذه الصبية التى ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام أبيه وقال له ياوالدى اعلم أنه مابقى لى قوة تتحمل السخرية فلا تزيدوا على شيئًا ولا كلمة واحدة فقد ضاق خلقى مما تفعلونه معى واعلم ياوالدى أنى رضيت بالزواج ولكن بشرط أن تزوجنى تلك الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فإنى أتحقق أنك الذى أرسلتها إلىّ وشوقتنى إليها فقال الملك اسم الله حواليك ياولدى سلامة عقلك من الجنون . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان أى شىء هذه الصبية التى تزعم أنى أرسلتها إليك فى هذه الليلة ثم أرسلت أخذتها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدى ليس لى علم بهذا الأمر فبالله عليك أن تخبرنى هل ذلك أضغاث أحلام أو تخيلات طعام فإنك بت فى هذه الليلة وأنت مشغول الخاطر بالزواج وموسوس بذكره قبح الله الزواج وساعته وقبح من أشار به ولاشك أنك متكدر المزاج من جهة الزواج فرأيت فى المنام أن صبية مليحة تعانقك وأنت تعتقد فى بالك أنك رأيتها فى اليقظة وهذا كله يا ولدى أضغاث أحلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام وأحلف بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الأكاسرة إنه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال الملك وحق إله موسى وإبراهيم إنه لم يكن لى علم بذلك ولعله أضغاث أحلام رأيته فى المنام فقال قمر الزمان لوالده أنا أضرب لك مثلاً يبينه لك أنك إن هذا فى اليقظة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال لوالده هذا المثل هو أنى أسألك هل اتفق لأحد أنه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالاً شديداً وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد فى يده سيفًا ملوثًا بالدم فقال له والده لا والله ياولدى لم يتفق هذا فقال له قمر الزمان أخبرك بما حصل لى وهو أنى رأيت فى هذه الليلة كأنى استيقظت من منامى نصف الليل فوجدت بنتًا نائمة بجانبى وقدرها كقدى وشكلها كشكلى فعانقتها بيدى وأخذت خاتمها وضعته فى أصبعى وقلعت خاتمى ووضعته فى أصبعها فكيف يكون هذا الأمر كذبًا وأمر الخاتم صحيحًا ولولا الخاتم كنت أظن أنه منام وهذا خاتمها ثم إن قمر الزمان ناول الخاتم لأبيه فأخذه وقلبه ثم التفت إلى ولده وقال له أن لهذا الخاتم نبأ عظيمًا وخبرًا جسيمًا أن الذى اتفق لك فى هذه الليلة مع تلك الصبية أمر مشكل ولا أعلم من أين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب فى هذا كله



إلا الوزير فبالله عليك يا ولدى أن تصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم فقال قمرالزمان لوالده بالله يا والدى أنك تبحث لى عن هذه الصبية وتعجل بقدومها وإلا مت كمدًا ثم إن قمر الزمان أظهر الوجد والتفت إلى أبيه وأنشد هذين البيتين :

إن كان فى وعدكم بالوصل تزوير ... ففى الكرى واصلوا المشتاق أو زورا
قالوا وكيف يزور الطيف جفن فتى ... منامه عنه ممنوع ومحجور

ثم إن قمر الزمان بعد إنشاد هذه الأشعار التفت إليه أبيه بخضوع وانكسار وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر ... وليس بناج من رمته المحاجر
ولاتخدعوا من رقة فى كلامها ... فإن الحميا للعقول تخامر
منعمة لو لامس الورد خدها ... بكت وبدت من مقلتيها البواتر
فلو فى الكرى مر النسيم بأرضها ... سرى بدا من أرضها وهو عاطر

فلما فرغ قمر الزمان من شعره قال الوزير للملك يامللك الزمان إلى متى أنت محجوب عن العكسر عند ولدك قمر الزمان فربما يفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن أرباب دولتك والعاقل إذا ألمت بجسمه أمراض مختلفة يجب عليه أن يبدأ بمداواة أعظمها الرأى عندى أن تنقل ولدك من هذا المكان إلى القصر الذى فى السراية المطل على البحر وتنقطع عن ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان فى كل جمعة يومين الخميس والاثنين فيدخل عليك فيهما الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وخواص المملكة وأصحاب الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك أحوالهم فاقض حوائجهم واحكم بينهم ولاتزال على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابًا ونصيحة فى مصلحته

فأثر عنده وخاف أن يفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان إلى القصر الذى فى السراية المطل على البحر ففرشوا لقمر الزمان فيه البسيط الحرير وألبسوا حيطانه الديباج وأرخوا عليه الستائر المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خاطره وأصفر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك فى كل يوم اثنين وخميس يأذن فى أن يدخل عليه من شاء الدخول من الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب وسائر العساكر والرعية هذا ما كان من أمر قمر الزمان ابن الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فإن الجن لما حملوها وأناموها فى فراشها ولم يبق من الليل إلا ثلاث ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما استيقظت من منامها جلست والتفتت يمينًا وشمالاً فلم تر معشوقها الذى كان فى حضنها فارتجف فؤادها وزال عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت إليها كبيرتهن وقالت لها ياسيدتى ما الذى أصابك فقالت السيدة بدور ويلك ياعجوز النحس أين معشوقى الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذى كان بائتًا عندى فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان أحد بائتًا عندك فى هذه الليلة فعند ذلك نظرت السيدة بدور إلى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان فى أصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك ياخائنة تكذبين علىّ فقالت القهرمانة والله ماكذبت عليك فاغتاظت منها السيدة بدور وصحبت سيفًا كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخدام والجوارى والسرارى عليها وراحوا إلى أبيها وأعلموه بحالها فأتى الملك إلى ابنته السيدة بدور من وقته



وساعته وقال لها يابنتى ما خبرك فقالت يا أبى أين الشاب الذى كان نائمًا بجانبى فى هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يمينًا وشمالاً شقت ثوبها إلى ذيلها فلما رأى أبوها تلك الفعال أمر الجوارى والخدم أن يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا فى رقبتها سلسلة من حديد ربطوها فى الشباك الذى فى القصر هذا ما كان من أمر الملكة بدور (وأما) ماكان من أمر أبيها الملك غيور فإنه لما رأى ماجرى من ابنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لأنه كان يحبها فلم يهن عليه أمرها فعند ذلك أحضر المنجمين والحكماء وأصحاب الأقلام وقال لهم من أبرأ بنتى مما هى فيه زوجته بها وأعطيته نصف ملكتى ومن لم يبرئها ضربت عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك إلى أن قطع من أجلها أربعين رأسًا فطلب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واستشكلت قضيتها على أهل العلوم وأرباب الأقلام ثم إن السيدة بدور لما زاد الوجد والغرام وأضر بها الشوق والهيام أجرت العبرات وأنشدت هذه الأبيات :

غرامى فيك يا قمرى غريمى	وذكرك فى دجى ليل نديمى
أبيت وأضلعى فيها لهيب	يحاكى حره نار الجحيم
بليت بفرط وجد واحتراق	عذابى منهما أضحى أليمى

فلما فرغت السيدة بدور من إنشاد هذه الأشعار بكت حتى مرضت جفونها وتدبلت وجنتاها ثم إنها استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها أخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر إلى أقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زائدة على محبة الإخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن أخته السيدة بدور فقالت له ياولدى إن اختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولى عليها لعلى أعرف مابها وأقدر على دوائها فلما سمعت كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن أصبر إلى غد حتى أتحير فى أمرك ثم إن أمه ذهبت إلى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب وأهدت له هدية وقالت له إن لى بنتا تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها

ولما جرى لسيدتك ما جرى صار قلبها متعلقًا بها وأرجو من فضلك أن بنتى تأتى عندها ساعة لتنظر هائم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم أحد فقال الخادم لايمكن ذلك إلا فى الليل فبعد أن يأتى السلطان ينظر ابنته ويخرج ادخلى انت وأبنتك فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت إلى بيتها فلما جاء وقت العشاء من الليل القابلة قامت من وقتها وساعتها وأخذت ولدها مرزوان وألبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده فى يدها وأدخلته القصر ومازالت تمشى حتى أوصلته إلى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلى ولاتطيلى القعود فلما دخلت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور فى تلك الحالة فسلموا عليها بعد أن كشفت عنه أمه ثياب النساء فأخرج مرزوان الكتب التى معه وأوقد شمعة فنظرت السيدة بدور فعرفته وقالت له يا أخى أنت كنت سافرت وانقطعت أخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردنى الله بالسلامة وأردت السفر ثانيًا فما ردنى عنه إلا هذا الخبر الذى سمعته عنك فقالت له يا أخى هل تحسب أن الذى اعترانى جنون ثم أشارت إليه وأنشدت هذين البيتين :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم	مـا لـذة العيـش إلا للمجانـين
ثـم جننت فهاتوا مـن جننت بـه	إن كان يشفى جنونى لا تلومونى

فعلم مرزوان إنها عاشقة فقال لها أخبرينى بقصتك وما اتفق لك لعل الله أن يطلعنى على مافيه خلاصك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بدور قالت يا أخى اسمع قصتى وذلك أننى استيقظت من منامى ليلة فى الثلث الأخير من الليل وجلست فرأيت بجانبى شابًا أحسن مايكون فى من الشبان يكل عن وصفه اللسان كأنه غصن بان أوقضيب خيرزان فظننت أن أبى هو الذى أمر بهذا الأمر ليمتحنى به فلما أصبحت رأيت بيدى خاتمه عوضًا عن خاتمى فهذه حكايتى وأنا يا أخى قد تعلق قلبى به من حين رؤيته ومن كثرة عشقى والغرام لم أذق طعام المنام ومالى شغل



غير بكائى بدموع وإنشاد الأشعار بالليل والنهار ثم إن السيدة بدور قالت لمرزوان انظر يا أخى ما الذى تعمل معى فى الذى اعترانى فأطرق مرزوان رأسه إلى الأرض ساعة وهو يتعجب وما يدرى ما يفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ما جرى لك صحيح وإن حكاية هذا الشاب أعيت



(المركب التى سافر فيها مرزوان وهى ناشرة قلوعها وسائرة فى وسط البحر)

فكرى ولكن أدور فى جميع البلاد ثم إن مرزوان ودعها ودعا لها بالثبات وخرج من عندها ثم إن مرزوان أن تمشى إلى بيت والدته فنام تلك الليلة ولما أصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافراً من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الأخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كما يدخل من مدينة أو يمر بها يسمع أن الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون ولم يزل يستنشق الأخبار حتى وصل إلى مدينة الطيرب فسمع أن قمر الزمان أبن الملك شهرمان مريض وأنه مريض وأنه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سأل بعض أهالى تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدات وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل فى البحر وأما فى البر فستة أشهر فنزل مرزوان فى مركب إلى جزائر خالدات وكانت مركب مجهز للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما أشرفوا عليها ولم يبق لهم إلا الوصول إلى الساحل خرجت عليهم ريح عاصف فرمى القرية ووقعت القلوع فى البحر وانقلب المركب بجميع ما فيها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٢٢٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مرزوان جذبته قوة التيار جذبة حتى أوصلته تحت القصر الذى فيه قمر الزمان وكان بالأمر المقدر قد اجتمع الوزراء والأمراء عنده للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان فى حجرة وخادم ينش عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفاً عند رجليه قريب من الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد أشرف على الهلاك من التيار وبقى على آخر نفس فرق قلب الوزير إليه فتقرب إلى السلطان ومد رأسه إليه وقال له أستأذنك فى أن أنزل بساحة القصر وأفتح بابها لأنقذ إنساناً قد أشرف على الغرق فى البحر وأطلعه . من الضيق إلى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كل ما جرى على ولدى بسببك وربما أنك إذا أطلعت هذا الغريب يتطلع على أحوالنا وينظر إلى ولدى وخرج يتحدث مع أحد بأسرارنا



لأضربن رقبتك قبله لأنك أيها الوزير سبب ما جرى لنا أولا وآخر فافعل ما بدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل فى الممشاة عشرين خطوة ثم خرج إلى البحر فرأى مرزوان مشرفًا على الموت فمد الوزير يده إليه وأمسكه من شعر رأسه وجذبه منه عليه حتى ردت روحه إليه ثم نزع عنه ثيابه وألبسه ثيابًا غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما فعل مع مرزوان مافعل وكيف قال له إنى كنت سببًا لنجاتك من الغرق فلا تكن سببًا لموتى فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لأنك فى هذه الساعة تطلع وتشق بين أمراء ووزراء والكل ساكتون ولا يتكلمون من أجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لأنه كان يسمع بحديثه فى البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش لايقوله قرار ولايعرف ليلاً ولا نهار روكاد أن يفارق الحياة من تحول جسمه ويصير من الأموات فنهاره لهيب وليله فى تعذيب وقد يئسنا من حياته وأيقنا بوفاته وإياك أن تطيل النظر إليه وتنظر إلى غير الموضع الذى تحط فيه رجلك وإلا فتروح روحك روحى فقال بالله أخبرنى عن هذا الشاب الذى وصفته لى ما سبب الأمر الذى هو فيه فقال له الوزير لا أعلم سببا إلا أن والده منذ ثلاث سنين كان يراوده عن أمر الزواج وهو يأبى فأصبح يزعم أنه كان نائمًا فرأى بجنبه صبية بارعة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا أن نزع خاتمها من أصبعها ولبسه وألبسها خاتمه ، ونحن لانعرف باطن هذه القضية فبالله ياولدى اطلع معى القصر وانظر إلى ابن الملك ثم بعد ذلك رح إلى حال سبيلك فإن السلطان قلبه ملآن عليه غيظًا فقال مرزوان فى نفسه والله إن هذه هو المطلوب ثم طلع مرزوان خلف الوزير إلى أن وصل إلى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلى قمر الزمان وأمام مرزوان فإنه لم يكن له دأب إلا أنه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر إليه فمات الوزير فى جلده وصار ينظر إلى مرزوان وأن يغمز ليروح إلى حال

سبيله ومرزوان يتغافل وينظر إلى قمر الزمان وعلم أنه هو المطلوب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مرزوان قال سبحانه الله جعل قدة مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى له بأذنيه فلما رآه مرزوان صاغيًا إلى ما يلقيه من الكلمات أنشدها هذه الأبيات .

أراك طروبا ذا شجى وترنم ... تميل إلى ذكر المحاسن بالفم
أصابك عشق أم رميت بأسهم ... فما هذه الأسجية من رمى
إلا فاسقنى كاسات خمر وغن لى ... بذكر سليمى والرباب وتنعم
أغار على أعطافها من ثيابها ... إذا لبستها فوق جسم منعم
و أحسد كاسات تقبل ثغرها ... إذا وضعتها موضع اللثم فى الفم
فلا تحسبوا أنى قتلت بصارم ... ولكن لحاظ قد رمتنى بأسهم
ولما تلاقينا وجدت بناءها ... مخضبة تحكى عصارة عندم
فقالت وألقت فى الحشاء لاعج الهـ ... ـوى مقالة من للحب لم يتكلم
رويدك ما هذا خضاب خضبته ... فلا تلك بالبهتان والزور متهمى
ولكننى ما رأيتك نائمًا وقد ... كشف كفى وزندى ومعصمى
بكيت دما يوم النوى فمسحته ... بكفى فابتلت بنانى من دمى
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... لكنت شفيت الناس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم
فلا تعذلونى فى هواها لأننى ... وحق الهوى فيها كثير التألم
بكيت على زين الحسن وجهها ... ليس لها مثل بعرب وأعجم
لهم علم لقمان وصورة يوسف ... ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب وحسرة يونـ ... ـس وبلوة أيوب وقصة آدم
فلا تقتلوها إن قلت بها جرى ... بل فاسألوها كيف حل لها دمى



فلما أنشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردًا وسلامًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٢٢٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن مرزوان أشار إلى السلطان بيده دع هذا الشاب يجلس بجانبى فلما سمع السلطان من ولده قمرالزمان هذا الكلام فرح فرحًا شديدًا بعد أن غضب على الشاب وأضمر فى نفسه أنه يرمى رقبته ثم قام الملك وأجلس مرزوان إلى جانب ولده ، وأقبل عليه وقال من أى البلاد أنت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور وصاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى أن يكون الفرح على يديك لولدى قمر الزمان ثم إن مرزوان أن أقبل على قمر الزمان وقال له فى أذنه ثبت قلبك وطب نفسا وقر عينا فإن التى صرت من أجلها هكذا لا تسأل عما هى فيه من أجلك ولكنك كتمت أمرك فضعفت وأما هى فإنها أظهرت مابها فجنت وهى الآن مسجونة بأسوأ حال وفى رقبتها غل من حديد وإن شاء الله يكون دواؤكما على يدى فلما سمع قمر الزمان . ردت روحه إليه واستفاق وأشار إلى الملك والده أن يجلس ففرح فرحًا زائدًا وأجلس ولده ثم أخرج جميع الأمراء والوزراء واتكأ قمر الزمان بين مخدتين وأمر الملك أن يطيبوا القصر بالزعفران ثم أمر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله ياولدى إن هذه طلعة مباركة ثم أكرمه غاية الإكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموا له فأكل وأكل معه قمر الزمان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٢٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم أننى أعرف التى اجتمعت بها واسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الأول إلى الآخر وأخبره بفرط

محبتها وقال له جميع ماجرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وأنت من غير شك حبيبها وهى حبيبتك فثبت قلبك وقو عزيمتك ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى أكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه إليه ونقه مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشد له الأشعار حتى دخل الحمام وأمر والده بزينة المدينة فرحًا بذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان خلع الخلع وتصدق وأطلق من فى الحبوس ثم إن مرزوان قال لقمر الزمان أعلم أننى ماجئت من عند السيدة بدور إلا لهذا الأمر وهو سبب سفرى لأجل أن أخلصها مما هى فيه وما بقى لنا إلا الحيلة فى رواحنا إليها لأن والدك لا يقدر فى أن تخرج إلى الصيد فى البرية وخذ معك خرجًا ملآنا من المال واركب جوادًا من الخيل وخذ معك جنيبًا وأنا الآخر مثلك وقل لوالدك إنى أريد أن أتفرج فى البرية واتصيد وانظر الفضاء وأبيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبك على بشىء ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه فى الخروج إلى الصيد وقال له الكلام الذى أوصاه به مرزوان فأذن له والده فى الخروج إلى الصيد وقال له لا تبيتُ غير ليلة واحدة وفى غد تحضر ثم إن الملك جهز لولده قمر الزمان هو ومرزوان وأمر أن يهيأ لهما ستة من الخيل وهجين برسم المال وجمل يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان أن يخرج معه أحد فى خدمته فودعه أبوه وضمه إلى صدره وقال له سألتك بالله لاتغيب عنى إلا ليلة واحدة ثم أخرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ومعهما الهجين والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٢)

قالت : باغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سار أول يوم إلى المساء ثم نزلا وأكلا وشربا وأطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وسارا ومازالا سائرين مدة



ثلاثة أيام وفى رابع يوم بان لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم أخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا ونحر عظمهما وأخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعًا ولوثهما بالدم الفرس وأخذ ملوطة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها فى مفرق الطريق ثم أكلا وشربا وسافرا فسأله قمر الزمان عما فعله فقال مرزوان اعلم أن والدك الملك شهرمان إذا غبت عنه ليلة ولم تحضر له ثانى ليلة يركب ويسافر فى أثرنا إلى أن يصل إلى هذا الدم الذى فعلته ويرى قماشك مقطعًا وعليه الدم فيظن فى نفسه أنه جرى لك شىء من قطاع الطريق وأو وحش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع إلى المدينة وتبلغ بهذه الحيلة مانريد فقال قمر الزمان نعم مافعلت ثم سارا أيامًا وليالى حتى بانت له جزائر الملك الغيور ففرح قمر الزمان فرحًا شديدًا وشكر مرزوان على فعله . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ومرزوان دخلا المدينة وأنزله مرزوان فى خان واستراحا ثلاثة أيام من السفر وبعد ذلك دخل بقمر الزمان الحمام ثم قال له مرزوان قم يامولادى وقف تحت قصر الملك ونادى أنا الحاسب الكاتب المنجم فأين الطالب فإن الملك إذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتك وهى حين تراك يزول ما بها من الجنون فقبل قمر الزمان ما أشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة وأخذ معه العدة التى ذكرناها ومشى إلى أن وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى أنا الكاتب الحاسب المنجم كتب الكتاب وأحكم الحجاب وأحسب الحساب وأخط بأقلام المطالب فأين الطالب فلما سمع أهل المدينة هذا الكلام وكانوا مدة من الزمان ما رأوا حاسبًا ولا منجمًا وقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته ورونق شبابه وقالوا له بالله عليك يامولانا لاتفعل بنفسك هذه الفعال طمعًا فى زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك إلى هذه الرؤوس المعلقة فإن أصحابهم كلهم قتلوا من أجل هذا الحال فإن بهم الطمع إلى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان إلى كلامهم بل رفع صوته

ونادى أنا كاتب حاسب أقرب المطالب للطالب فتداخل عليه الناس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم فاغتاظوا جميعًا وقالوا له ما أنت إلا شاب مكابر أحمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال أنا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهى قمر الزمان عن هذه الحالة إذ سمع الملك الغيور الصباح وضجة الناس فقال الوزير انزل فائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير وأخذ قمر الزمان فلما دخل على الملك قبل الأرض بين يديه (فلما) نظر الملك الغيور إليه أجلسه إلى جانبه ، وأقبل عليه وقال له يامولاى لاتجعل نفسك منجمًا ولاتدخل على شرطى فإنى ألزمت نفسى إن كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما أصابها ضربت عنقه وكل من أبرأها زوجته لها فلا يغرك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك والله إن لم تبرئها لأضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فأشهد عليه الملك الغيور والقضاة وسلمه إلى الخادم وقال له أوصل هذا إلى السيدة بدور فأخذه الخادم من يده ومشى فى الدهاليز فصار قمر الزمان يسابقه وصار الخادم يقول له ويلك لا تستعجل على هلاك نفسك فوالله ما رأيت منجمًا يستعجل على هلاك نفسه إلا أنت ولكنك لم تعرف أى شىء قدامك من الدواهى فأعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم أوقف قمر الزمان خلف الستارة التى على الباب فقال له قمر الزمان أى الحالتين أحب إليك كونى أداوى سيدتك وأبرئها من هنا أو وأدخل إليها فأبرئها من داخل الستار فتعجب الخادم من كلامه وقال له إن أبرءتها من هنا كان زيادة فى فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة وأطلع الدواة والقلم وكتب فى ورقة هذه



الكلمات من يروح به الجفاء فدواؤه الوفاء والبلاء لمن يئس من حياته وأيقن بحلول وفاته وما للقلب الحزين من مسعف ولامعين ثم كتب هذه الأبيات :

كتبت ولى قلب بذكرك مولع | وجفن قريح من دمائى مولع
وجسم كساه لاعج الشوق والأسى | قميص نحول فهو فيه مضعضع
شكوت الهوى لما ضرنى الهوى | ولم يبق عندى للتصبر موضع
إليك فجودى وارحمى وتعطفى | فإن فؤادى بالهوى يتقطع

ثم كتبت تحت الشعر هذه السجعات «شفاء القلوب لقاء المحبوب من جفاة حبيبه فالله طبيبه من خان منك ومنا لا نال ما يتمنى ولا أظرف من المحب الوافى إلى الحبيب الجافى» ثم كتب فى الإمضاء من الهائم الولهان العاشق الحيران من أقلقه الشوق والغرام أسير الوجد والهيام قمر الزمان بن الملك شهرمان إلى فريدة الزمان ونخبة الحور والحسان السيدة بدور بنت الملك الغيور اعلمى أننى فى ليلى سهران وفى نهارى حيران فنار قلبى لا تطفأ ولهيب شوقى لا يخفى ثم كتب فى حاشية الكتاب هذا البيت المستطاب .

سلام من خزائن لطف ربى | على من عندها روحى وقلبى

ثم كتب أيضا

أرسلت خاتمك الذى استبدلته | يوم التواصل فارسلى لى خاتمى

وكان وضع خاتم السيدة بدور فى طى الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما وضع الخاتم فى الورقة ناولها للخادم فأخذها ودخل بها إلى السيدة بدور فأخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها ثم قرأت الورقة فلما

فرغت بدور من قراءتها ومن وقتها وصلبت رجليها فى الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزمان وقبلته فى فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة مابها من الغرام فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجرى حتى وصل إلى الملك الغيور فقبل الأرض بين يديه وقال له يامولاى اعلم أن هذا المنجم أعلم المنجمين كلهم فإنه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم أصحيح هذا الخبر فقال الخادم يا سيدى قم وانظر إليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت للمنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وأنشدت هذين البيتين :

لا أحب السواك من أجل أنى	إن ذكرت السواك قلت سواكا
وأحب الأراك من أجلى أنى	إن ذكرت الأراك قلت أراكا

ففرح أبوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لأنه كان يحبها محبة عظيمة وأقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من أى البلاد أنت فأخبره قمر الزمان بشأنه وأعلمه أن والده الملك شهرمان ثم إن قمر الزمان قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور كيف أخذ الخاتم من أصبعها وألبسها خاتمة فتعجب الملك الغيور ومن ذلك وقال إن حكايتكما تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعدكما جيلا بعد جيل ثم إن الملك الغيور أحضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وأمر بتزيين المدينة سبعة أيام ثمَ مدوا السماط والأطعمة وزينت المدينة وجميع العساكر وأقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وتمتعت هى بحسنه وجماله وتعانقا إلى الصباح وفى اليوم الثانى عمل الملك وليمة وجمع جميع أهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الأسمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان أباه ورآه فى المنام يقول يا ولدي أهكذا تفعل معى هذه الفعال وأنشده فى المنام هذين البيتين :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده	ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيا كبدى مهلا عساه يعود لى	ويا مهجتى صبرًا على ما كواك به



ثم إن قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه أصبح حزينًا وأعلم زوجته بذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه أصبح حزينًا وأخبر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هى وإياه على والدها وأعلماه وأستاذنا فى السفر فأذن له فى السفر فقالت السيدة بدور يا والدى لا أصبر على فراقه فقال لها والدها سافرى معه وأذن لها بالإقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجئ تزور والدها كل عام فقبّلت أبيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور فى تجهيز ابنته هى وزوجها وهيأت لهم أدوات السفر وأخرج لهما الخيول والهجان وأخرج لابنته محفة وحمل لهما البغال والهجان لهما مايحتاجان إليه فى السفر وفى يوم المسير ودع للملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعه سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له خزنة مال وأوصاه على ابنته بدور ثم خرج معهما إلى طرف الجزائر وبعد ذلك ودع قمر الزمان ثم دخل على ابنته بدور وهى فى المحفة وصار يعانقها ويبكى ثم خرج من عند ابنته وأتى إلى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد إلى جزائره بعسكره بعد أن أمرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الأتباع أول يوم والثانى والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا فى مرج واسع كثير الكلأ وضربوا خيامهم فيه وأكلوا وشربوا واستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشى من الحرير يبين منه كل شىء وفوق رأسها كوفية من الحرير مرصعة بالجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن أبيض من الثلج وكل عكسة من عكس طياته تسع أوقية من دهن البان فزاد محبة وهيا ما فحط قمر الزمان يده فى تكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره فرأى فصا أحمر مثل العندم مربوطًا على التكة وعليه أسماء منقوشة سطرين بكتابة لاتقرأ فتعجب قمر الزمان م ذلك الفص وقال فى نفسه لولا أن

لهذا الفص أمر عظيم عندها ما ربطته هذه الربطة على تكة لباسها وما خبأته فى أعز مكان عندها حتى لاتفارقه فماذا تصنع بهذا وما السر الذى هو فيه ثم أخذه وخرج من الخيمة ليبصره فى النور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما أخذ الفص ليبصره فى النور صار يتأمل فيه وإذا بطائرًا انقض عليه وخطفه من يده وطار به وحط على الأرض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر وصار الطائر يجرى على قدر جرى قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من واد إلى واد ومن تل إلى تل إلى أن دخل الليل وتغلمس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتًا وقد ضعف من الجوع والتعب وظن أنه هالك وأراد أن يرجع فما عرف الموضع الذى جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم نام تحت الشجرة التى فوقها الطائر إلى الصباح ثم انتبه من نومه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان ولم يزل متابعه مدة عشرة أيام وقمر الزمان يتقوت من نبات الأرض ويشرب من الأنهار وبعد العشرة أيام أشرف على مدينة عامرة فمرق الطائر فى تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف أين راح فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله على سلامتى حتى وصلت إلى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر إلى ماهو فيه من الغربة والجوع والتعب فأنشد يقول :

أخفيت ما ألقاه منه وقد ظهر ... والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت لما أوهنت قلبى الفكر ... يا دهر لا تبقى على ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفى ... ما كان نومى من عيونى قد نفى
يا سادتى رفقا بصب مدنف ... وتعطفوا لعزيز قوم ذل فى
شرع الهوى وغنى قوم افتقر



لج العواطل فيك ما طاوعتهم — وسدت كل مسامعي وعصيتهم
قالوا عشقت مهفهفاً فأجبتهم — اخترته من بينهم وتركتهم
كفوا إذا وقع القضا عمي البصر

ثم إن قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب ا لمدينة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان دخل باب المدينة وهو لايعلم أين يتوجه فمشى فى المدينة جميعها وقد كان دخل باب البر ولم يزل يمشى إلى أن خرج من باب البحر



(قمر الزمان وهو يسقى الأشجار وبيده فأس يحول الماء ويقطع الحشائش بها)

فلم يقابله أحد من أهلها وكانت مدينة على جانب البحر ثم إنه بعد أن خرج من باب البحر ومشى ولم يزل ماشيًا حتى وصل إلى بساتين وشق بين الأشجار فأتى إلى بستان ووقف على بابه فخرج إليه الخولى ورحب به وقال الحمد لله الذى أتى بك سالمًا من أهل هذه المدينة فأدخل هذا البستان سريعًا قبل أن يراك أحد من أهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولى ما حكاية أهل هذه المدينة وماخبرهم فقال له اعلم أن أهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك أخبرنى كيف وصلت إلى هذا المكان وما سبب دخولك فى بلادنا فعند ذلك أخبره قمر الزمان بجميع ماجرى له فتعجب الخولى من ذلك غاية العجب فعند ذلك تفكر قمر الزمان فى نفسه ساعة زمانية وعلم أنه لا أوفق له من قعوده فى البستان عند الخولى ويعمل عنده مرابعًا فقال للخولى هل تقبلنى عندك مرابعًا فى هذا البستان فقال له الخولى سمعًا وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الأشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفأس وألبسه الخولى بشتا قصير أزرق يصل إلى ركبته وصار يسقى الأشجار ويبكى بالدموع الغزار وينشد الأشعار بالليل والنهار فى معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الأبيات .

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم ... وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم
سهرنا على حكم الغرام ونمتم ... وليس سواء ساهرون ونوم
وكنا عهدنا أننا نكتم الهوى ... فأغراكم الواشى وقال وقلتم
إذا كان خصمى فى الصبابة حاكمى ... لمن أشتكى خصمى لمن أتظلم
ولولا افتقارى فى الهوى وصبابتى ... لما كان لى فى العشق قلب متيم

هذا ماكان من قمر الزمان (وأما) ماكان من أمر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فإنها لما استيقظت من نومها وطلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولاً فافتقدت العقد فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت فى نفسها يالله العجب أين معشوقى كأنه أخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذى هو فيه فيا ترى أين راح ولكن لا بد له أمر عجيب اقتضى رواحه فإنه لايقدر أن يفارقنى ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم إن السيدة بدور تفكرت وقالت فى نفسها إن خرجت إلى الحاشية وأعلمتهم بفقد زوجى يطمعوا فى ولكن لابد من الحيلة ثم إنها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها لثامًا وحطمت فى محفتها جارية وخرجت من



خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وأمرت بشد الأحمال فشدوا الأحمال وسافروا أيامًا وليالى حتى أشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها فى ذلك المكان لأجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها مدينة الأبنوشى وملكها الملك أرمانوس وله بنت اسمهاحياة النفوس . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الأبنوس لأجل الاستراحة أرسل الملك أرمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل إليهم الرسول سألهم فأخبروه بأن هذا تائه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان والملك شهرمان فعاد الرسول إلى الملك أرمانوش وأخبره بالخبر فلما سمع الملك أرمانوس هذا الكلام نزل هو وأرباب دولته إلى مقابلته فلما قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك أرمانوس وسلما على بعضهما وأخذها ودخل بها إلى مدينته وطلع بها إلى قصره وأمر بمد السماط وموائد الأطعمة وأمر بنقل السيدة بدور إلى دار الضيافة فقامت هناك ثلاثة أيام وبعد ذلك أقبل الملك أرمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت فى ذلك اليوم الحمام وأسفرب عن وجه كأنه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك أقبل الملك أرمانوس عليها وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها ياولدى اعلم أنى بقيت شيخًا هرمًا وعمرى مارزقت ولدا غير بنت وهى على شكلك وقدك فى الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهل لك ياولدى أن تقيم بأرضى وتسكن بلادى وأزوجك ابنتى وأعطيك مملكتى فأطرقت السيدة بدور رأسها وعرق جبينها من الحياة وقالت فى نفسها الأوفق أن أجيبه إلى قصده وأقيم عنده حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا ثم إن السيدة بدور رفعت رأسها وأذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وأمر المنادى أن ينادى فى جزائر الأبنوس بالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والأمراء وأرباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أرمانوس لما عزل نفسه من الملك سلطن السيدة بدور وألبسها بدلة الملك ودخلت الأمراء جميعًا على السيدة بدور وهم لايشكون فى أنها شاب وصار كل من نظر إليها منهم جميعًا يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسرور شرع الملك أرمانوس فى تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد أيام قلائل أدخلوا السيدة بدور على حياة النفوس فكانتا كأنهما بدران اجتمعا أو شمسان فى وقت طلعا فردوا عليهما الأبواب وأرخوا الستائر بعد أن أوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور إلى جانب السيدة حياة النفوس وقبلتها فى فمها ونهضت من وقتها وساعتها توضأت ولم تزل تصلى حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة بدور معها فى الفراش وأدارت ظهرها لها إلى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته إلى ابنتهما وسألاهما عن حالها فأخبرتهما بما جرى هذا ما جرى من أمر حياة النفوس وأبويها (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور فإنها خرجت وجلست على كرسى المملكة وطلعت إليها الأمراء وأرباب الدولة وجميع الرؤساء والجيوش وهنؤوها بالملك وقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون أنها رجل ثم إنها أمرت ونهت وحكمت وعدلت وأطلقت من المحبوس وأبطلت المكوس ولم تزل قاعدة فى مجلس الحكومة إلى أن دخل الليل ثم دخلت المكان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما دخلت المكان المعد لها وجدت السيدة حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبلتها بين عينيها وأنشدت هذه الأبيات :

قد صار سرى بالدموع علانيه ونحول جسمى فى الغرام علانيه
أخفى الهوى ويذيعه ألم النوى حالى على الواشين ليست خافيه



يا راحلين عن الحمى خلفتم	جسمي بكم مضنى ونفسي باليه
وسكنتم غور الحشا فنواظرى	تجرى مدامعها وعينى داميه
وأنا فداء الغائبين بمهجتى	أبدا وأشواقى إليهم باديه
لى مقلة مقروحة فى حبهم	جفت الكرى ودموعها متواليه
ظن العدا منى عليه تجلدا	هيهات ما أذنى إليهم واعيه
خابت ظنونهم لدى وإنما	قمر الزمان به أنال أمانيه

ثم إن الملكة بدور نهضت قائمة على أقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم نزل تصلى إلى أن غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها إلى الصباح هذا ماكان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك أرمانوس فإنه دخل على ابنته وسألها عن حالها فأخبرته بجميع ماجرى لها وقالت يا أبى مارأيت أحداً أكثر عقلاً وحياء من زوجى غير أنه يبكى ويتنهد فقال لها أبوها يابنتى اصبرى عليه فما بقى غير هذه الليلة الثالثة فإن لم يدخل بك ويزل بكارتك يكن لنا معه رأى وتدبير وأخلصه من الملك وأنفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام وأضمر هذا الرأى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد لما أقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة إلى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لهما فرأت الشمع موقداً والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما فى تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات :

قسمًا لقد ملأ الفضاء مدامعى	كالشمس مشرقة على ذات الغض
نطقت اشارته فأشكل فهمها	فلذاك شوقى فى المزيد وما انقضى
وبمرض اللحظات صال بفتكها	واللحظ أقتل ما يكون ممرضًا
سقمى وبرئى فى يديه وإنما	يشفى سقام الحب من قد أمرضا
وكأن طرته وضوء جبينه	ليلى دجلى فاعتاقه صبح أضا

فلما فرغت من إنشادها أرادت أن تقوم إلى الصلاة وإذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها ياسيدى أما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل وأنت تتركنى إلى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست فى مكانها وقالت لها ياحبيبتى ما الذى تقولينه قالت الذى أقوله إنى ما رأيت أحدًا معجبًا بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحًا يعجب بنفسه هكذا ولكن أنا ما قلت هذا الكلام لأجل أن أرغبك فى وإنما قلته خيفة عليك من الملك أرمانوس فإنه أضمر إن لم تدخل بى فى هذه الليلة وتزل بكارتى أنه ينزعك من المملكة فى غدو يسفرك من بلاده وربما يزاد به الغيظ فيقتلك وأنا ياسيدى رحمتك ونصحتك والرأى رأيك فلما سمعت الملكة بدور ذلك الكلام أطرقت رأسها إلى الأرض وتحيرت فى أمرها ثم قالت لحياة النفوس ياحبيبتى أن تركى لك وامتناعى عنك بالرغم عنى وحكت لها ماجرى من المبتدى إلى المنتهى وأرتها نفسها وقالت لها سألتك بالله أن تخفى أمرى وتكتمى سرى حتى يجمعنى الله بمحبوبى قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

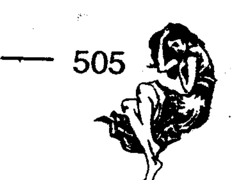
الليلة (٢٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة بدور لما أعلمت حياة النفوس بقصتها وأمرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا أختى لاتخافى ولاتفزعى واصبرى إلى أن يقضى الله أمرًا كان مفعولاً ثم إن حياة النفوس أنشدت هذين البيتين :

السر عندى فى بيت له غلق ... قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

ما يكتم السر إلا كل ذى ثقة ... والسر عند خيار الناس مكتوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا أختى أن صدور الأحرار قبور الأسرار وأنا لا أفشى لك سرًا ثم لعبتا وتعانقا ونامتا إلى قريب الآذان ثم قامت حياة النفوس وأخذت دجاجة وذبحتها وتلطخت بدمها وقلعت سراويلها وصرخت فدخل لها أهلها وزغردت الجوارى ودخلت عليها



أمها وسألتها عن حالها وأقامت عندها إلى المساء وأما الملكة بدور فإنها لما أصبحت قامت وذهبت إلى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت إلى مجلس الحكومة وجلست على كرسى المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك أرمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فأخبره بافتضاض بكارة ابنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح وأولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر الملك شهرمان فإنه بعد خروج ولده إلى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى أقبل عليه الليل فلم يجئ ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق أن الفجر انشق حتى أصبح ينتظر ولده إلى نصف النهار فلم يجئ فأحسن قلبه بالفراق والتهب على ولده من الإشفاق ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع ونادى فى عسكره بالرحيل وألح على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشه يمينًا وشمالاً وأمامًا وخلف ست فرق وقال لهم الاجتماع غدًا عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسكر كما ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار إلى أن جن الليل فساروا جميع الليل إلى نصف النهار حتى وصلوا إلى مفرق أربع طرق فلم يعرفوا أى طريق سلكها ثم رأوا أثر أقمشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعًا ونظروا أثر الدم باقيًا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك رجع بجيوشه إلى مدينته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان أيقن بهلاك ولده وعلم أنه عدا عليه وافترسه أما وحش وأما قاطع طريق ثم نادى فى جزائر خالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتًا وسماه بيت الأحزان وصاركل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل بيت الأحزان وينعى ولده هذا ما كان من أمر

الملك شهرمان (وأما) ما كان من أمر الملكة بدور بنت الملك الغيور فإنها صارت ملكة فى بلاد الأبنوس وصارت الناس يشيرون إليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك أرمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكى وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله ولو فى المنام وصالة هذا ما كان أمر الملكة بدور (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فإنه لم يزل مقيمًا عند الخولى فى البستان مدة من الزمان وهو يبكى بالليل والنهار ويتحسر وينشد الأشعار على أوقات الهناء والسرور والخولى يقول فى آخر السنة تسير المركب إلى بلادالمسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة إلى أن رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولى وقال له ياولدى ابطل الشغل فى هذا اليوم لاتحول الماء إلى الأشجار لأن هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضًا فاسترح واجعل بالك إلى الغيط فإنى أريد أن أبصر لك مركبًا فما بقى إلا القليل وأرسلك إلى بلاد المسلمين ثم إن الخولى خرج من البستان وبقى قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكى حتى غشى عليه فلما أفاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكر فيما يفعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله ولهان فعثر ووقع على وجهه فجأت جبهته على شجرة فجرى دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى فى ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه إلى شجرة فوقها طائران يتخاصمان فقلب أحدهما الآخر ونقره فى عنقه فخلف رقبته من جثته ثم أخد رقبته وطار بها ووقع المقتول فى الأرض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك وإذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليها ووقف واحد منهما عند رأسه والآخر عند ذنبه وأرخيا أجنحتهما عليه ومدا أعناقهما إليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان بكى على فراق زوجته لما رأى الطائرين يبكيان على فراق صاحبهما ثم إن قمر الزمان رأى الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها



وطار إلى الجو وغابا ساعة ثم عادوا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول ثم نثرا لحمه ومزقا جلده وأخرجا مافى جوفه وفرقاه إلى أماكن متفرقة هذا كله جرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب فحانت منه التفاتة إلى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجدت فيه شيئًا يلمع فدنا منه فوجده حوصلة الطائر فأخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذى كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الأرض مغشيًا عليه من فرحته فلما أفاق قال فى نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتى ثم بات قمر الزمان فى موضعه إلى الصباح ثم قام إلى شغله وشد وسطه بحبل من الليف وأخذ الفأس والقفة وشق فى البستان فأتى إلى شجرة خروب وضرب الفأس فى جدرها فطنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا فنزل فيه فلقى قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهى مملوءة ذهبًا أحمر فقال فى نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم إن قمر الزمان طلع من المكان إلى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع إلى البستان وتحويل الماء على الأشجار ولم يزل كذلك إلى أخر النهار فجاء الخولى وقال يا ولدى أبشر برجوعك إلى الأوطان فإن التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة أيام مسافرة إلى مدينة من مدائن المسلمين فإذا وصلت إليها تسافر فى البر ستة أشهر حتى تصل إلى الجزائر خالدات والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولى وقال له ياوالدى كما بشرتنى فأنا أبشرك بشارة وأخبره بأمر القاعة ففرح الخولى وقال ياولدى أنا لى فى هذا البستان ثمانون عامًا ما وقفت على شىء وأنت لك عندى دون السنة وقد رأيت هذا الأمر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك إلى أهلك واجتماع شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بينى وبينك ثم أخذ الخولى ودخل فى تلك القاعة أراه

الذهب وكان فى عشرين خابية فأخذ عشرة والخولى عشرة فقال ياولدى عب لك أمطارًا من الزيتون العصافيرى الذى فى هذا البستان فإنه معدوم فى غير بلادنا وتحمله التجار إلى جميع البلاد واجعل الذهب فى الأمطار والزيتون فوق الذهب ثم سدها وأخذها فى المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبى خمسين مطراً ووضع الذهب فيها وسد عليها بعد أن جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه فى مطر وجلس هو والخولى يتحدثان وأيقن بجمع شمله وقربه من أهله ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الأيام وحكى للخولى حكاية الطيور وماوقع بينهما فتعجب الخولى من ذلك ثم ناما إلى الصباح فأصبح الخولى ضعيفا واستمر على ضعفه يومين وفى ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولى فبينما هو جالس وإذا بالريس والبحرية قد أقبلوا وسألوا عن الخولى فأخبرهم بضعفه فقالوا أين الشاب الذى يريد السفر معنا إلى الجزيرة الأبنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذى بين أيديكم ثم أمرهم بتحويل الأمطار إلى المركب فنقلوها إلى المركب وقالوا لقمر الزمان أسرع فإن الريح قد طاب فقال لهم سمعًا وطاعة ثم نقل زوادته إلى المركب ورجع إلى الخولى يودعه فوجده فى النزع فجلس عند رأسه حتى مات وغمضه وجهزه وواراه فى التراب ثم توجه إلى المركب فوجدها أرخت القلوع وسارت ثم رجع إلى البستان وهو مهموم ومغموم وحثا التراب على رأسه .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان رجع إلى البستان وهو مهموم مغموم بعد أن سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه وأقام تحت يده رجلا يعاونه على سقى الشجر وتوجه إلى الطابق ونزل إلى القاعة وعبى الذهب الباقى فى خمسين مطرًا ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا إنها لا تسافر إلا فى كل سنة مرة واحدة هذا ما كان من أمر قمر الزمان (وأما) ما كان من أمر المركب فإنه طاب لها الريح ووصلت إلى جزيرة الأبنوس واتفق بالأمر



المقدر أن الملكة بدور كانت جالسة فى الشباك فنظرت إلى المركب وقد رست فى الساحل فخفق فؤادها وركبت هى والأمراء والحجاب وتوجهت إلى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل فى البضائع إلى المخازن فأحضرت الريس وسألته عما معه فقال أيها الملك من معى فى هذه المركب من العقاقير والسفوفات والأكحال والمراهم والأدهان والأموال والأقمشة الفاخرة والبضائع النفيسة مايعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من أصناف العطر والبهار من العود القاقلى والتمر الهندى والزيتون العصافيرى ما يندر وجوده فى هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذى معك من الزيتون قال معى خمسين مطرًا ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير قالت وما مقدار ثمنها قال ألف درهم قالت أنا آخذها بألف دينار ثم أمرت بنقلها إلى القصر فلما جاء الليل أمرت بإحضار مطر فكشفته وما فى البيت غيرها هى وحياة النفوس فحطت بين يدها طبقًا ووضعت فيه شيئًا من المطر فنزل فى الطبق كوم من الذهب الأحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا إلا ذهب ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهبًا والزيتون كله مايملأ مطرًا واحدًا وفتشت فى الذهب فوجدت الفص فيه فأخذته وتأملته فوجدته الفص الذى كان فى تكة لباسها وأخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرت مغشيًا عليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشيًا عليها فلما أفاقت قالت فى نفسها أن هذا الفص كان سببًا فى فراق محبوبى قمر الزمان بشير الخير ثم أعلمت السيدة حياة النفوس بأن وجوده بشارة الاجتماع فلما أصبح الصباح جلست على كرسى المملكة وأحضرت ريس المركب فلما حضر قبل الأرض بين يديها فقالت أين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملكة الزمان تركناه فى بلاد المجوس وهو خولى بستان فقالت لهم أن صاحب هذا الزيتون غريمى ولى عليه دين وإن لم يأت لأقتلنكم جميعًا وأنهب تجارتكم فأقبلوا على الريس ووعدوه بأجرة مركبة ويرجع ثانى مرة وقالوا خلصنا من هذه الغاشم

فنزل الريس فى المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة فى الليل وطلع إلى البستان ثم إن الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج إليه فحمله البحرية ونزلوا به إلى المركب وحلوا القلوع وساروا ولم يزالوا سائرين أيامًا وليالى حتى أشرقوا على جزائر الأبنوس وطلعوا به على السيدة بدور فلما رآته عرفته وقالت ادخلوا به الحمام وأفرجت عن التجار وخلعت على الريس خلعة تساوى عشرة آلاف دينار ودخلت على حيّاة النفوس وأعلمتها بذلك وقالت لها اكتمى الخير حتى ابلغ مرادى وأعمل عملا يؤرخ ويقرأ يعدنا على الملوك والرعايا وحين أمرت أن يدخلوا بقمر الزمان الحمام دخلوا به الحمام وألبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بأن أوكوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه إليه ثم توجه إليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها وأنعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال وأعطته خزانة مال ولم تزل ترقى قمر الزمان من درجة إلى درجة حتى جعلته خازنداراً وسلمت إليه الأموال وأقبلت عليه وقربته منها وأعلمت الأمراء بمنزلته فأحبوه جميعًا وصارت الملكة بدور تزيد له فى المرتبات فقال قمرالزمان للملك إن هذا الإكرام إذا لم يكن له سبب فإنه من أعجب العجب خصوصًا وقد أوليتنى من المراتب ماحقه أن يكون للشيوخ الكبار مع أننى من الأطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك أنى أحبك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وإن أمكننى مما أريد منك أزيدك اكرامًا وعطاء وإنعامًا وأجعلك وزيرًا على صغر سنك كما جعلنى الناس سلطانًا عليهم وأنا فى هذا السن ولاعجب اليوم فى رأسه الأطفال ولله در من قال :

كأن زماننا من قوم لوط   له شغف بتقديم الصغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل وأحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لى بهذا الإكرام المؤدى إلى ارتكاب الحرام بل أن أعيش فقيرًا من المال غنيًا بالمرءوة والكمال فقالت له الملكة بدور أنا لا أغتر بورعك الناشئ عن التيه والدلال ولله در من قال :

ذاكرته عهد الوصال فقال لى   كم ذا تطيل من الكلام المؤلم
فأريته الدينار أنشد قائلا   أين المفر من القضاء المبرم



فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال أيها الملك إنه لاعادة لى بهذه الفعال ولاطاقة لى على حمل الأثقاف التى يعجز عن حملها أكبر منى فكيف بى على صغر سنى فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسمت وقالت إن هذا لشىء عجاب كيف يظهر الخطأ من خلال الصواب إذا كنت صغيراً فكيف تخشى الحرام وارتكاب الآثام وأنت لم تبلغ حدا التكليف ولا مؤاخذة فى ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعًا ولا نفورًا وكان أمر الله قدرًا مقدورًا فأنا أحق منك بخشية الوقوع فى الضلال فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وقال أيها الملك إنه يوجد عندك من النساء والجوارى الحسان مالا يوجد له نظير فى هذا الزمان فهل استغنيت بذلك عنى فمل إلى ما شئت منهن ودعنى فقالت إن كلامك صحيح ولكن لا يشتفى بهن من عشقك ألم ولا تبريح وإذا فسدت الأمزجة والطبيعة فهى لغير النصح سميعة فاترك الجدال وأسمع قول من قال :

أما ترى السوق قد صفت فواكهه ... للتين قوم وللجميز أقوام

وقول الآخر

يا فريد الجمال حبك دينى ... واختيارى على جميع المذاهب
قد تركت النسا لأجلك حتى ... زعم الناس أننى اليوم راهب

وقول الآخر :

سلا خاطرى عن زينب ونوار ... بوردة خد فوق آس عذار
وأصبحت بالظبى المقرطق مغرما ... ولا رأى لى فى عشق ذات سواء
أنيسى فى النادى وفى خلوتى معا ... خلاف أنيسى فى قرارة دارى
فيا لائمى فى هجر هند وزينب ... وقد لاح عذرى كالمصباح السارى
أترضى بأن أمسى أسير أسيرة ... محصنة أو من وراء جدار

قول الآخر :

جـادت بفـرج ناعـم	فقلت إنـى لم أنـك	فـانصـرفـت قائلـه
ـؤفـك عنه مـن أفـك	النيك مـن قـدام فى	هذا الزمان قد ترك
ودورت لـــى فتحـة	مثل اللجين المنسبك	أحسـنت يا سيدتى
أحسنت لا فجعت بك	أحسنت يا أوسع من	فتـوح مـولانا الملك

وقول الآخر :

يستغفر الناس بأيديهم	وهن يستغفرن بالأرجل
فيا له مـن عمـل صالح	يـرفعه الله إلـى أسـفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الأشعار وتحقق أنه ليس له مما أرادته فراراً قال يا ملك الزمان إن كان ولابد فعاهدنى على أنك لا تفعل بى هذا الأمر غير مرة واحدة وإن كان ذلك لايجد فى اصلاح الطبيعة الفاسدة وبعد ذلك لا تسألنى فيها على الأبد فلعل الله يصلح منى مافسد فقالت عاهدتك على ذلك راجياً أن الله علينا يتوب ويمحوا بفضله عنا عظيم الذنوب فإن نطاق أفلاك المغفرة لايضيق على أن يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيئاتنا ويخرجنا إلى نور الهدى من ظلام الضلال وقد أجادوا أحسن من قال :

توهم فينا الناس شيئاً وصممت	عليه نفـوس منهـم وقـلوب
تعالـى محقق ظنهـم لنـريحـهم	مـن الإثـم فينا مـرة ونتوب

ثم أعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود أنه لايقع بينها وبينه هذا الفعل الأمر فى الزمان وأن ألجأه غرامة إلى الموت والخسران فقام معها وهو فى غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت وأطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذى إلى المعهود لعله ينتصب إلى القيام من السجود فبكى وقال أنا لا أحسن شيئاً من ذلك فقالت بحياتى تفعل ما أمرتك به مما هناك فمد يده وفؤاده فى زفير فوجد فخذها ألين من الزبد وأنعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيده فى جميع الجهات حتى وصل إلى قبة كثيرة البركات والحركات وقال فى



نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا أنثى ثم قال أيها الملك إنى لم أجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت ياحبيبى ما أسرع ما نسيت ليالى بتناها وعرفته بنفسها فعرف أنها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور وصاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلتها وقبلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال :

دعَته إلى وصال عطفة ... من معتطف بتعطف متواصى

وسقت قساوة قلبه من لينها ... فأجاب بعد تمنع وتعاصى

خشى العواذل أن تراه إذا بدا ... فأتى بعدة آمن الإرهاص

وشذاء بشرتى بسعد قدومه ... ففقرت مثل الطير من أقفاصى

وفرشت خدى فى الطريق لنعله ... فشفى بأثمد تربها أرماصى

وعقدت ألوية الوصال معانقاً ... وفككت عقدة حظى المتعاصى

وأقمت أفراحاً أجاب نداءها ... طرب صفا عن شائب الأنغاص

والبدر نقط بالنجوم الثغر ... من حبب على وجه الطلا رقاص

قسماً بآيات الضحى من وجهه ... لم أنس فيه سورة الإخلاص

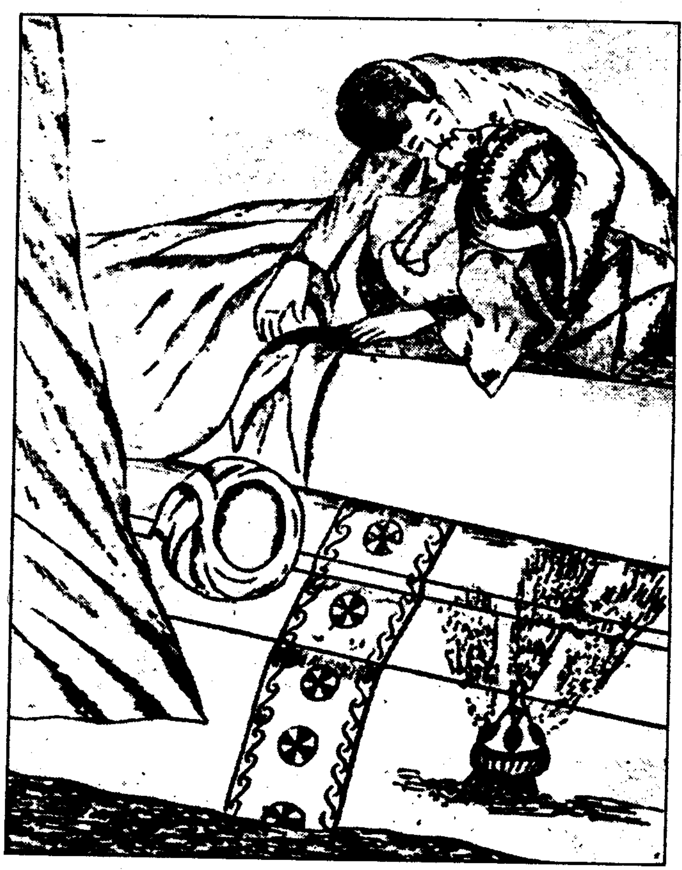
ثم إن الملكة بدور أخبرت قمر الزمان بجميع ماجرى لها من الأول إلى الآخر وكذلك هو أخبرها بجميع ماجرى له وبعد ذلك انتقل معها إلى العتاب وقال لها ماحملك على ما فعلتيه بى فى هذه الليلة فقالت لا تؤاخذنى فان قصدى المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أرسلت الملكة بدور إلى الملك أرمانوس والد الملكة حياة النفوس وأخبرته بحقيقة أمرها وأنها زوجة قمر الزمان وأخبرته بقصتهما وبسبب افتراقهما من بعضهما وأعلمته أن ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك أرمانوس صاحب جزائر الأبنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب غاية العجب وأمر أن يكتبوها بماء الذهب ثم التفت إلى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك أن تصاهرنى وتتزوج بنتى حياة النفوس فقال له حتى أشاور الملكة بدور فإن لها على فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم الرأى هذا فتزوجها وأكون أنا لها جارية لأن لها على معروفًا وإحسانًا وخيرًا وامتنانًا خصوصًا ونحن فى محلها وقد غمرنا إحسان أبيها فلما رأى

قمر الزمان أن الملكة بدور مائلة إلى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الأمر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٥٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الأمر وأخبر الملك أرمانوس بما قالته الملكة بدور من أنها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما



(قمر الزمان وهو يعانق السيدة بدور عندما عرفته بنفسها)

سمع الملك أرمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحًا شديدًا ثم خرج وجلس على كرسي مملكته وأحضر جميع الوزراء والأمراء والحجاب وأرباب الدولة وأخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الأول إلى الآخر وأنه يريد أن يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانًا عليهم عوضًا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعًا حيث كان قمرالزمان هو زوج الملكة بدور التى كانت سلطانًا علينا قبله ونحن نظهر أنها صهر الملك أرمانوس فكلنا نرضاه سلطانًا علينا ونكون له خدمًا ولا تخرج عن طاعته ففرح الملك أرمانوس بذلك فرحًا شديدًا ثم أحضر القضاء والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم إن الملك قمر الزمان لما صار سلطانًا عليهم أزال المكوس وأطلق من فى الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة وأقام مع زوجتيه فى هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحد منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد انجلت عنه الهموم والأحزان نسى أباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجته بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين أكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الأمجد وأصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الأسعد وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد ثم إنهما تربيا فى العز والدلال والأدب والكمال وتعلما العلم والسياسة والفروسية حتى صارا فى غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر سبعة عشر عامًا وهما متلازمان فيأكلان ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الأوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتصفا بالكمال صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التعاقب فى مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يومًا بين الناس وأتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم أن محبة الأسعد الذى هو ابن حياة النفوس وقعت فى قلب الملكة بدور زوجة أبيه وأن محبة الأمجد الذى هو ابن الملكة بدور وقعت فى قلب حياة النفوس زوجة أبيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه إلى صدرها وإذا رأت ذلك أمة تظن من الشفقة ومحبة الأمهات لأولادها وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنا بالولدين فصارت كل واحدة

منهما إذا دخل عليها ابن ضرتها تضمه إلى صدرها وتود أنه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا إلى الوصال امتنعا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم إن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسا فى موضع الحكم كل واحد منهما يومًا على عادتهما .
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقنص وأمر ولديه أن يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد يومًا على عادتهما فجلس للحكم فى اليوم الأول الأمجد بن الملكة بدور فأمر ونهى وولى وعزل وأعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس أم الأسعد مكتوبًا تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة به ومتعشقة فيه ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين :

لو كنت أشرح ما ألقاه من حرق ... ومن سقام من وجد ومن قلق
لم يبقى فى الأرض قرطاس ولا قلم ... ولا مداد ولا شىء من الورق

ثم إن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة فى رقعة من غالى الحرير مضمخة بالمسك والعنبر وضعت معه جدائل شعرها التى تستغرق فى الأموال بسعرها ثم لفتها بمنديل وأعطتها للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها أعطت ورقة المواصلة للخادم وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد فسار ذلك الخادم وهو لايعلم ماخفى له فى الغيب وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الأمجد قبل الأرض وبين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الأمجد المنديل من الخادم وفتحه فرأى الورقة ففتحها وقرأها فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه فى عينها الخيانة وقد خانت أباه الملك قمر الزمان فى نفسها فغضب



غضبًا شديدًا وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينًا ثم إنه جرد سيفه وقال للخادم ويلك ياعبد السوء أتحمل الرسالة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله إنه لاخير فيك يا أسود اللون والصحيفة ياقبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف فى عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على مافيه ووضعه فى جيبه ثم دخل على أمه وأعلمها بماجرى ثم إنه خرج من عند الملكة بدور وهو فى غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس زوجة أبيه مافعل بخادمها سبته ودعت عليه وأضمرت له المكرفبات الملك الأمجد فى تلك الليلة ضعيفًا من الغيظ والقهر والفكر ولم يهنأ له أكل ولاشرب ولا منام فلما أصبح الصباح خرج أخوه الملك الأسعد وجلس فى مجلس أبيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وأصبحت أمه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته من الملك الأمجد من قتله للخادم ثم إن الملك الأسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم وحكم وعدل وولى وعزل وأمر ونهى وأعطى ووهب ولم يزل جالسًا فى محل الحكم إلى قرب العصر ثم إن الملكة بدور وأم الأمجد أرسلت إلى عجوز من العجائز الماكرات وأظهرتها على ما فى قلبها وأخذت ورقة لتكتب فيها مراسلةِ للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو إليه كثرة محبتها ووجدها به فكتبت له هذه السجعات ممن تلفت وجدا وشوقًا إلى أحسن الناس خلق وخلقا المعجب بجماله التائه بدلاله المعرض عن طلب وصاله الزاهد فى القرب ممن خضع وذل إلى من جفا ومل الملك الأسعد صاحب الحسن الفائق والجمال الرائق والوجه الأقمر والجبين الأزهر والضياء الأبهر ثم بعد ذلك السجعات كتبت هذه الأبيات :

إليك أسعد أشكو من لهيب جوى	فارحم متيمة بالشوق تلتهب
إلى متى وأيادى الوجد تلعب بى	والعشق والفكر والتسهيد والنصب
طورًا ببحر وطورًا أشتكى لهبا	فى مهجتى إن ذا يا منيتى عجب
يا لائمى خلى لومى والتمس هربًا	من الهوى فدموع العين تنسكب
كم صحت وجدًا من الهجران واحربا	فلم يفدنى بذاك الويل والحرب
أمرضتنى بصدور لست أحمله	أنت الطبيب فأسعفنى بما يجب
يا عاذلى كف عن عذلى محاذرة	كيلا يصيبك من داء الهوى عطب

ثم إن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الأذفر ولفتها فى جدائل شعرها وهى من الحرير العراقى وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها إلى العجوز وأمرتها أن تعطيها للملك الأسعد بن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من أجل خاطرها ودخلت على الملك الأسعد من وقتها وساعتها وكان فى خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل ووضعها فى جيبه وغضب غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم إنه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل رأسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس فوجدها راقدة فى الفرش ضعيفة بسبب ماجرى لها من الملك الأمجد فشتمها الملك الأسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ماجرى له من أمه الملكة بدور وأخبره أنه قتل العجوز التى جاءت له بالرسالة ثم انهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنان النساء الخائنات ولم يزالا فى غم تلك الليلة إلى الصباح فلما أصبح الصباح أقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره ثم صرف الأمر إلى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما وقد خشيتا أن يصيرا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما مابالكما فقامتا إليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالته له اعلم أيها الملك أن ولديك الذين قد تربيا فى نعمتك خاناك فى زوجتيك وأركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلامًا وأغتاظ غيظًا شديدًا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه أوضحا لى هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يامللك الزمان أن ولدك الأسعد بن حياة النفوس له مدة من الأيام وهو يراسلنى ويكاتبنى ويراودنى عن الزنا وأنا أنهاه عن ذلك فلم ينته فلما سافرت أنت هجم على وهو سكران والسيف فى يده فخفت أن يقتلنى إذا ما نعته عن نفسى كما قتل خادمى فقضى أربه منى غصبا وإن لم تخلص حقى منه أيها الملك قتلت نفسى بيدى وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح وأخبرته حياة



النفوس أيضا بمثل ما أخبرته به ضرتها بدور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما أخبرته به الملكة بدور وقالت له أنا الأخرى جرى لى مع ولدك الأمجد كذلك ثم إنها أخذت فى البكاء والنحيب وقالت له إن لم تخلص لى حقى منه أعلمت أبى الملك أرمانوس بذلك ثم إن المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاء شديداً فلما سمع كلامهما اعتقد أنه حق فغضب غضبًا شديداً ما عليه مزيد فقام وأراد أن يهجم على أولاده الاثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك أرمانوس وقد كان داخلا فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم أنه قد أتى من الصيد فرآه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فأخبره بجميع ماجرى من ولديه الأمجد والأسعد ثم قال له وها أنا داخل إليهما لأقتلهما أقبح قتلة وأمثل بهما أقبح مثله فقال له صهره الملك أرمانوس وقد اغتاظ منهما أيضا ونعم ما تفعل ولكن ياولد صاحب المثل يقول من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهما والداك على كل حال وينبغى أن لاتقتلهما بيدك فتتجرع غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لاينفعك الندم ولكن أرسلهما مع أحد من المماليك ليقتلهما فى البرية وهما غائبان عن عينيك فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك أرمانوس هذا الكلام رآه صوابًا فأغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخًا كبيرًا عارفًا بالأمور وتقلبات الدهور وقال له ادخل إلى ولدى الأمجد والأسعد وكتفهما كتافًا جيداً واجعلهما فى صندوقين واحملهما على بغل واركب أنت وأخرج بهما إلى وسط البرية وإذبحهما واملأ لى قنينتين من دمهما وائتنى بها عاجلا فقال له الخازندار سمعًا وطاعة ثم نهض من وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد فلما رآهما الخازندار وقبض عليهما وقال لهما يا ولدى أعلما أننى عبد المأمور وأن إياكما أمرنى بأمر فهل أنتما طائعان لأمره قالا نعم فعند ذلك تقدم اليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما فى

صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائراً بهما فى البرية إلى قريب الظهر فأنزلهما فى مكان مقفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما وأخرج الأمجد والأسعد فلما نظر إليهما بكى بكاء شديداً على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهماوالله ياسيدى إنه يعز على أن أفعل بكما فعلا قبيحًا ولكن أنا معذور فى هذه الأمور لأننى عبد مأمور وقد أمرنى والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك فنحن صابرون على ماقدره الله عز وجل علينا وأنت فى حل من دمائنا ثم إنهما تعانقا وودعا بعضهما ثم بكى كل منهما بكاء شديداً ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازندار بكى لبكائهما ثم إن الأخوين تعانقا وودعا بعضهما وقال أحدهما للآخر إن هذا كله من كيد الخائنتين أمى وأمك وهذا ما جرى منى فى حق أمك وجزاء ما جرى منك فى حق أمى ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ثم إن الأسعد اعتنق أخاه وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

يا من إليه المشتكى والمفزع	أنت المعد لكل ما يتوقع
ما لى سوى قرعى لبابك حيلة	ولئن رددت فأى باب أقرع
يا من خزائن فضله فى قول كن	أمنن فإن الخير عندك أجمع

فلما سمع الأمجد كلام أخيه بكى وضمه إلى صدره وأنشد هذين البيتين :

يا من أياديه عندى غير واحدة	ومن مواهبه تنمو من العدو
ما نابنى من زمانى قط نائبة	إلا وجدتك فيها آخذ بيدى

ثم قال الأمجد للخازندار سألتك بالله الواحد القهار الملك الستار أن تقتلنى قبل أخى الأسعد لعل نار قلبى تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الأسعد وقال ما يقتل إلا أنا فقال الأمجد الرأى أن تعتنقنى وأعتنقك حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الاثنان



وجهاً لوجه التزما بعضهما وشدهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكى ثم جرد سيفه وقال ياسيدى إنه يعز على قتلكما فهل لكما من حاجة فأقضيها أو وصية فأنفذها أو رسالة فأبلغها فقال الأمجد مالنا حاجة وأما من جهة الوصية فإنى أوصيك أن تجعل أخى الأسعد من تحت وأنا من فوق لأجل أن تقع على الضربة أولا فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له أن ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك إنك لاتعلم هل هما بريئان أو مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما ومانظرت فى حالهما ثم أنشد هذين البيتين :

إن النساء شياطين خلقن لنا — نعوذ بالله من كيد الشياطين

فهن أصل البليات التى ظهرت — بين البرية فى الدنيا وفى الدين

ثم قال الأمجد ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد الأمجد للخازندار ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين الذين سمعتهما وأسألك بالله أن تطول بالك علينا حتى أنشد لأخى هذين البيتين الآخرين ثم بكى بكاءً شديدًا وجعل يقول :

فى الذاهبين الأولين — من الملوك لنا بصائر

كم قد مضى فى ذا الطريق — من الأكابر والصغائر

فلما سمع الخازندار من الأمجد هذا الكلام بكى بكاء شديدًا حتى بل لحيته وأما الأسعد فإنه قد اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما شخص واحد وصل الخازندار سيفه وأراد أن يضربهما وإذا بفرسه جفل فى البر وكان يساوى ألف دينار وعليه سرج عظيم يساوى جملة من المال فألقى السيف من يده وذهب وراء فرسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازندار ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجرى خلفه ليمسكه حتى دخل فى غابة فدخل وراءه فى تلك الغابة فشق الجواد فى وسط الغابة ودق الأرض برجليه فعلا الغبار وارتفع وثار ، وأما الفرس فإنه شخر ونخر وصهل وزمجر وكان فى تلك الغابة أسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمى بالشر وله وجه عبوس وشكل يهول النفوس فالتفت الخازندار فرأى ذلك الأسد قاصداً فلم يجد له مهرباً من يديه ولم يكن معه سيف فقال فى نفسه لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ماحصل لى هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد وأن هذه السفرة مشئومة من أولها ثم إن الأمجد والأسعد قد حمى عليهما الحر فعطشا عطشاً شديداً حتى نزلت ألسنتهما واستغاثا من العطش فلم يغنهما أحد فقالا ياليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ماندرى أين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلانا مكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان أريح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الأسعد يا أخى اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يميناً وشمالا فانحل كتافه فقام وحل كتاف أخيه ثم أخذ السيف الأمير وقال لأخيه والله لانبرح من هذا حتى نكشف خبره ونعرف ماجرى له وشرعا يقتفيان الأثر فدلهما على الغابة فقالا لبعضهما إن الحصان والخازندار ما تجاوز هذه الغابة فقال الأسعد لأخيه قف هنا حتى أدخل الغابة وانظرها فقال الأمجد ما أخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل إلا سواء فدخل الاثنان فوجدا الأسد هجم على الخازندار وهو من تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى نحو السماء فلما رآه الأمجد أخذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع مطروحاً على الأرض فنهض الأمير ، وهو متعجب من هذا الأمر فرأى الأمجد والأسعد ولدى سيده واقفين فترامى على أقدامهما وقال لهما والله ياسيدى ما يصلح أن أفرط فيكما فبروحى أفديكما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٢٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازندار قال للأمجد والأسعد بروحى أفديكما ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما وسألهما سبب فك وثاقهما وقدومهما فأخبراه أنهما عطشا وانحل الوثاق من أحدهما ففك الآخر بسبب خلوص نيتهما أنهما اقتفاء الأثر حتى وصلا إليه فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما وخرج معهما إلى ظاهر الغابة فلما صارا فى الغابة قالا له ياعم افعل ما أمرك به أبونا فقال حاشا الله أن أقربكما بضرر ولكن اعلما أنى أريد أن أنزع ثيابكما وألبسكما ثيابى وأملأ قنينتين منَ دم الأسد أروح إلى الملك وأقول له إنى قتلتهما وأما أنتما فسيحا فى البلاد وأرض الله واسعة واعلما ياسيدى أن فراقكما يعز على ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقلعهما ثيابهما وألبسهما ثيابه ثم ودعهما وسار متوجهًا إلى المدينة ولم يزل سائر حتى دخل على الملك وقبل الأرض بين يديه فرآه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الأسد فظن أن ذلك من قتل أولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قال نعم يامولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنينتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهما وهل أوصياك بشىء قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لى إن أبانا معذور أاقرئه منا السلام وقل له أنت فى حل من قتلنا من دمائنا ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما :

إن النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن أصل البليات التى ظهرت ... بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض مليا وعلم أن كلام ولده هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلما ثم تفكر فى مكر النساء وداهيتهن وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب أولاده ويبكى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب أولاده ويبكى فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل

شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم أن ولده الأسعد مظلوم ولما قلب ثياب الأمجد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها فعلم أنه مظلوم فدق يد على يد وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العظيم قد قتلت أولادى ظلما ثم صار يلطم على وجهه ويقول واولداه وأطول حزنا وأمر ببناء قبرين وسماها بيت الأحزان وكتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الأمجد وبكى وأن اشتكى وأنشد هذه الأبيات :

يا قمر قد غاب تحت الثرى ... بكت عليه الأنجم الزاهره

ويا قضيبا لم يمس بعده ... معاطف للأعين الناظره

منعت عينى عنك من غيرتى ... عليك لا أراك للآخره

وأغرقت بالسهد فى دمها ... وإننى من ذاك بالعاهره

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى وأن اشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

قد كنت أهوى أن أشاطرك الردى ... لكن الله أراد غير مرادى

سوت ما بين الفضاء وناظرى ... ومحوت من عينى كل سواد

لاينفذ الدمع الذى أبكى به ... إن الفؤاد له من الأمداد

أعزز على بأن أراك بموضع ... متشابه الأوغاد والأمجاد

ولما فرغ من شعر هجر الأحباب والخلان وانقطع فى البيت الذى سماه بيت الأحزان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين فى البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لايعلم أين منتهاه والطريق افترق عند ذلك الجبل طريقين طريق تشق من وسطه وطريق صاعدة إلى أعلاه فسلكا الطريق الذى فى أعلى الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهم الإعياء من التعب وليسا معتادين على المشى فى جبل ولافى غيره ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التى فى وسط الجبل . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



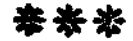
الليلة (٢٥٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد ولدى قمر الزمان لما عادا من الطريق الصاعدة فى الجبل إلى الطريق المسلوكة فى وسط الجبل مشيا طول ذلك النهار إلى الليل وقد تعب الأسعد من كثرة السير فقال لأخيه ياأخى أنا مابقيت أقدر على المشى فإنى ضعفت جدا فقال له الأمجد يا أخى شد حيلك لعل الله أن يفرج عنا ثم إنهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الأسعد تعبًا شديدًا ماعليه من مزيد وقال يا أخى أنا تعبت وكليت من المشى ثم وقع فى الأرض وبكى فحمله الأمجد ومشى به وصار ساعة يمشى وساعة يستريح إلى أن لاح الفجر حتى استراح أخوه فطلع هو وإياه فوق الجبل فوجد أعينا نابعة يجرى منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب فما صدقا أنهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها وأكلا من رمان تلك الشجرة وناما فى ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم سار فى الجبل عدة أيام وهما سائران فوق الجبل وقد تعبا من العطش إلى أن لاحث لهما مدينة من بعيد ففرحا وصارا حتى وصلا إليها فلما قربا منها شكرالله تعالى وقال الأمجد للأسعد يا أخى اجلس هنا وأنا أسير إلى هذه المدينة وأنظر ما شأنها وأسأل عن أحوالها فقال له الأسعد والله يا أخى ما يذهب إلى المدينة غيرى وأنا فداؤك فقال له الأمجد توجه ولا تبطئ فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معه دنانير وخلى أخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشيًا فى أسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق فى أزقتها فلقيه فى طريقه رجل وهو شيخ كبير طاعن فى السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلما رآه الأسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم إليه وسلم عليه وقال له أين طريق السوق يا سيدى فلما سمع الشيخ كلامه تبسم فى وجهه وقال له ياولدى كأنك غريب فقال له الأسعد نعم أنا غريب يا عم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الذى لقى الأسعد تبسم فى وجهه وقال له ياولدي كأنك غريب فقال له الأسعد نعم غريب فقال له الشيخ قد آنست ديارنا وأوحشت ديار أهلك فما الذى تريده من السوق فقال الأسعد ياعم إن لى أخا تركته فى الجبل ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا فى السفر مدة ثلاثة شهور وقد أشرفنا على هذه المدينة فجئت إلى هنا لأشترى طعامًا وأعود به إلى أخى لأجل أنّ نقتات به فقال له الشيخ ياولدى ابشر بكل خير واعلم أننى عملت وليمة وعندى ضيوف كثيرة وجمعت فيها من أطيب ما تشتهيه النفوس وأحسنه فهل لك أن تسير معى إلى مكانى فأعطيك ماتريد ولا آخذ منك ثمنًا وأخبرك بأحوال هذه المدينة والحمد لله ياولدى حيث وقعت بك ولم يقع بك أحد غيرى فقال الأسعد افعل ما أنت أهله فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق وصار يتبسم فى وجهه ويقول له سبحان من نجاك من أهل هذه المدينة ولم يزل ماشيًا به حتى دخل دارًا واسعة وفيها قاعة جالسًا فيها أربعون شيخًا طاعنون فى السن وهم مصطفون فى حلقة وفى وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الأسعد أقشعر بدنه ولم يعلم ماخبرهم ثم إن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يا مشايخ النار ما أبركه من نهار ثم نادى قائلا ياغضبان فخرج له عبد أسود بوجه أعبس وأنف أفطس وقامة مائلة وصورة هائلة ، ثم أشار إلى العبد فشد وثاق الأسعد وبعد ذلك قال الشيخ أنزل به إلى القاعة التى تحت الأرض وأتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فأخذه العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه للجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفًا واحدًا فى أول النهار ورغيفًا فى أول الليل وكوز ماء مالح فى الغداة ومثله فى العشى وراحت وخلته فاستفاق فى نصف الليل فوجد نفسه مقيدًا وقد آلمه الضرب فبكى بكاء شديدًا وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٣٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد لما رأى نفسه مقيداً وقد آلمه الضرب تذكر ما كانا فيه من العز والسعادة والملك والسيادة فبكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

قفوا برسوم الدار واستخبروا ... عنا ولاتحسبونا فى الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا ... وما تشتقى أكباد حساد نامنا
تولت عذابى بالسياط ... وقد ملئت منها جوانحى ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا ... ويدفعوا بالتنكيل أعداء ناعنا

فلما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفاً وكوز ماء مالح فأكل قليلا يسد رمقه وشرب قليلا من الماء ولم يزل ساهراً إلى الصباح من كثرة البق والقمل فلما أصبح الصباح نزلت إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد غمرت بالدم والتصقت بجلده وهو مقيد فى الحديد بعيد عن الأحباب فتذكر أخاه والعز الذى كان فيه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذى كان فيه فحن وأن واشتكى وسكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

يا دهر مهلا كم تجور وتعتدى ... ولكن يا حبابى تروح وتغتدى
ما آن أن ترثى لطول تشتتى ... وترق يا من قلبه كالجامد
وأسأت أحبابى بما أشمت بى ... كل العداة بما صنعت من الردى
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى ... من غربتى وصبابتى وتوجدى
لم يكفه ما حل بى من كربة ... وفراق أحبابى وطرف أرمدى
حتى بليت بضيق سجن ليس لى ... فيه أنيس غير عضى باليد
ومدامع تهمى كفيض سحائب ... وغليل شوق ناره لم تخمد

وكـــآبـــة وصـبـابـــة وتـــذكـــر وتحـســـــــر وتنفـــس وتنـهـــد
شـــوقـــى أكابـده وحـــزن متلـف ووقعـت فـى وجـــد مقيـم مقعد

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى وأن واشتكى وتذكر ما كان فيه وماحصل له من فراق أخيه هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه فخفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح :

***

الليلـــة (٢٦٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه خفق فؤاده واشتد به ألم الفراق وأفاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان أخوفنى من الفراق ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سايل على خديه ودخل المدينة ثم قام ومشى فى المدينة ليعلم خبر أخيه فوجد رجلا مسلمًا خياطًا فى دكان فجلس عنده وحكى له قصته فقال له الخياط إن كان وقع فى أيد أحد من المجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه ثم قال هل لك يا أخى أن تنزل عندى قال نعم ففرح الخياط بذلك وأقام عنده أيامًا وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهرًا ثم خرج يو مًا إلى شاطئ البحر وغسل أثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابه ثم خرج من الحمام يتفرج فى المدينة فصادف فى طريقه امرأة ذات حسن وقد واعتدال ليس لها فى الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغازلته باللحظات وقد لعبت به أيد الصبابات فأشار لها وأنشد هذه الأبيات :

ورد الخـــدود ودونـــه شـــوق القنـا فمـن المحـــدث نفـسه أن يجتنـــى
لا تمـــد الأيـــدى إليـــه فطالمـــا شنـوا الحـروب لأن مددنا إلا وعينا
ليـــزاد وجهـــك بالتبرقـــع ضـلة وأرى السـفور لمثل حسنـك أصـونا
غدت النحيلة فى حمى من نحلها فسـلوا حـماة الحـــى عـم تصـدنا
إن كان قتلـــى قصدهـــم فليرفعـــوا تلك الضغـائـن وليخلـــوا بيـــننا



مـا هـم بأعظــم فتكة لـو بـارزوا	مـن طرف ذات الخال إذا بـرزت لنا

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات وأشارت إليه وأنشدت هذه الأبيات :

أنت الذى سلك الأعراض لست أنا	جد بالوصال إذا كان الوفاء أتى
يـا فـالـق الصبح مـن لآلاء غـرته	وجاعل الليل من أصداغه سكنا
بصـــورة الـوثـن استعبدتنـى وبـها	فتنتنى وقديما هجت لـى فتنا
لا غرو أن أحرقت نار الهوى كبدى	فالنار حق على مـن يعبد الـوثنا
تبيــع مثلـــى مجـــانًا بـــلا ثمـــن	إن كان لابد من بيع فخـذ ثمنا

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها أتجيئين غندى أو آجى عندك فأطرقت برأسها حياء إلى الأرض وتلت قوله تعالى : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ ففهم الأمجد إشارتها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٢٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المرأة وعرف أنها تريد الذهاب معه حيث يذهب فالتزم بها بالمكان وقد استحى أن يروح بها عند الخياط الذى هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشيًا بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع وهى خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نافذ فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم التفت بعنيه فرأى فى صدر الزقاق بابا كبير بمصطبتين ولكنه مغلق فجلس الأمجد على مصطبة وجلست المرأة على مصطبة ثم قالت له ياسيدى ما الذى تنتظره فأطرق برأسه إلى الأرض مليًا ثم رقع رأسه وقال لها انتظر مملوكى فإن المفتاح معه وكنت قد قلت له هيئ لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام حتى أخرج من الحمام فلما طال عليها الوقت قالت له ياسيدى إن المملوك قد أبطأ علينا ونحن قاعدون فى الزفاف ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر ثم ضربت الضبة

بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب ثم إن الصبية دخلت البيت فصار الأمجد متحيرًا فى نفسه فقالت ياسيدى مالك واقفًا هكذا ثم شهقت شهقة وأعطت الأمجد قبلة مثل كثر الجوز وقالت ياسيدى إن كنت مواعد غيرى فأنا أشد ظهرى وأخدمها فضحك الأمجد عن قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال فى نفسه ياقبلة الشوم إذا جاء صاحب المنزل فبينما هو كذلك وإذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكًا من أكابر المدينة لأنه كان أمير ياخور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظة لينشرح فيها صدره ويختلى فيها بمن يريد وكان فى ذلك اليوم قد أرسل إلى معشوق يجىء له وجهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخى اليد صاحب جود وإحسان وصدقات وامتنان فلما وصل إلى قريب القاعة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بهادر ولما وصل إلى قرب القاعة وجد الباب مفتوحًا فدخل قليلاً قليلاً وطل برأسه فنظر الأمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام وفى ذلك الوقت كان الأمجد ماسك القدح وعينه إلى الباب فلما صارت عينه فى عين صاحب الدار أصفر لونه وارتعدت فرائضه فلما رآه بهادر وقد أصفر لونه وتغير حاله غمزه بأصبعه على فمه يعنى اسكت وتعالى عندى فحط الأمجد الكاس من يده وقام إليه فقالت الصبية إلى أين فحرك رأسه وأشار لها أنه يريق الماء ثم خرج إلى الدهليز حافيًا فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ثم قال بالله عليك ياسيدى قبل أن تؤذينى اسمع منى مقالى ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره فلما سمع بهادر كلام الأمجد وعرف أنه ابن ملك حن عليه ورحمه ثم قال اسمع يا أمجد كلامى وأطعنى وأنا أتكفل لك بالأمان مما تخاف وإن خالفتنى قتلتك فقال الأمجد آمرنى بما شئت فأنا لا أخالفك أبدًا لأننى عتيق مروءتك فقال له بهادر ادخل هذه القاعة واجلس فى المكان الذى كنت فيه واطمئن وها أنا داخل إليك واسمى بهادر



فإذا دخلت إلياك فاشتمنى وانهرنى وقل لى ما سبب تأخرك إلى هذا الوقت ولاتقبل عذرا بل قم اضربنى وإن شفقت على أعدمتك حياتك فادخل وانبسط فقبل الأمجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضًا فأول مادخل قال للصبية يا سيدتى آنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية إن هذا عجيب منك حيث بسطت لى الأنس فقال الأمجد الله ياسيدتى إنى كنت أعتقد أن مملوكى بهادر أخذ لى عقود جواهر كل عقد يساوى عشرة آلاف دينار ثم خرجت الآن وأنا متفكر فى ذلك ففتشت عليها فوجدتها فى موضعها ولم أدر ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ولابد لى من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الأمجد لعبا وشربا وانشرحا ولم يزالا فى حظ إلى قريب المغرب ثم دخل عليهما بهادر وقد غير اسمه وشد وسطه وجعل فى رجليه زرنوبًا على عادة المماليك ثم سلم وقبل الأرض وكتف يديه وأطرق برأسه إلى الأرض كالمعترف بذنبه فنظر إليه الأمجد بعين الغضب وقال ما سبب تأخرك يا أنحس المماليك فقال له ياسيدى إنى اشتغلت بغسل ثيابى وما علمت أنك هاهنا فإن ميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الأمجد وقال له تكذب يا أخس المماليك والله لابد من ضربك ثم قام الأمجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يكز على أسنانه والأمجد يصيح على الصبية لاتفعلى هكذا وهى تقول له دعنى أشفى غيظى منه ثم إن الأمجد خطف العصا من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف فى خدمته ساعة ثم مسح القاعة وأوقد القناديل وصارت الصبية كلما دخل بهادر وخرج تشتمه وتلعنه والأمجد يغضب عليها ويقول لها بحق الله أن تتركى مملوكى فإنه غير معود بهذا ومازالا يأكلان ويشربان وبهادر فى خدمتهما إلى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام فى وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت للأمجد ثم خذ هذا السيف المعلق واضرب رقبة هذا المملوك وإن لم تفعل ذلك عملت على هلاك روحك فقال الأمجد وأى شىء خطر لك أن أقتل مملوكى قالت لا يكمل الحظ إلا بقتله ولو لم تقم قمت أنا وقتلته فقال الأمجد بحق الله عليك أن لا تفعلى فقالت لابد من هذا وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الأمجد فى نفسه

هذا رجل عمل معنا خيراً وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه مملوكى كيف نجازيه بالقتل لا كان ذلك أبداً ثم قال للصبية إن لم يكن لابد من قتل مملوكى فأنا أحق بقتله منك ثم أخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية فى عنقها فأطاح رأسها عن جثتها فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الأمجد واقفًا والسيف في يده مخضبًا بالدم ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه حديثها وقال إنها أبت إلا أن تقتلك وهذا جزاؤها فقام بهادر قبل رأس الأمجد وقال له ليتك عفوت عنها ومابقى فى الأمر إلا إخراجها فى هذا الوقت قبل الصباح ثم إن بهادر شد وسطه وأخذ الصبية ولفها فى عباءة ووضعها فى فرد وحملها وقال للأمجد أنت غريب ولا تعرف أحدًا فاجلس فى مكانك وانتظرنى عند طلوع الشمس وإن لم أعد إليك فاعلم أنه قد قضى على والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش ثم إنه حمل الفرد وخرج من القاعة وشق بها الأسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريبًا من البحر التفت فرأى الوالى والمقدمين قد أحاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الفرد فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه فى الحديد إلى الصباح ثم طلعوا به هو والفرد إلى الملك وأعلموه بالخبر فلما رأى الملك غضب غضبًا شديدًا وقال ويلك إنك تفعل هكذا دائمًا فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع مالهم وكم فعلت قبل ذلك من قتل فأطرق بهادر برأسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٦٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بهادر أطرق برأسه إلى الأرض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له ياسيدى أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فغضب الملك وأمر بشنقه هذا ماكان من أمر بهادر (وأما) ماكان من أمر الأمجد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قال لاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم أى شىء جرى له فبينما هو يتفكر وإذا بالمنادى ينادى بالفرجة على بهادر فإنهم



يشنقونه فى وسط النهار فلما سمع الأمجد ذلك بكى وقال إنا لله وإنا إليه راجعون قد أراد هلاك نفسه من أجلى وأنا الذى قتلتها والله لا كان هذا أبدا ثم خرج من القاعة وقفلها وشق فى وسط المدينة حتى أتى إلى بهادر ووقف قدام الوالى وقال له ياسيدى لاتقتل بهادر فإنه برىء والله ماقتلها إلا أنا فلما سمع الوالى كلامه أخذه هو وبهادر وطلع بهما إلى الملك وأعلمه بما سمعه من الأمجد فنظر الملك إلى الأمجد وقال له أنت قتلت الصبية قال نعم فقال له الملك احك لى ماسبب قتلك إياها وأصدقنى قال له أيها الملك إنه جرى لى حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه وأخبره بما جرى له ولأخيه من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال قد علمت أنك معذور ولكن يافتى هل لك أن تكون عندى وزيرًا فقال له سمعًا وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعة سنية وأعطاه دارًا حسنة وخدمًا وحشمًا وأنعم عليه بجميع مايحتاج إليه هذا ما كان من أمر الأمجد (وأما) ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس مازالوا يعاقبونه بالليل وفى العشى والأبكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسى إلى السفر وهيأ مركبًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٢٦٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بهرام المجوسى جهز مركبًا للسفر ثم حط الأسعد فى صندوق وأقفله عليه ونقله إلى المركب وسافروا ولم يزالوا مسافرين أيامًا وليالى فخرج عليهم ريح وهاج البحر حتى تاهت المركب عن الطريق فقال الريس لبهرام ياسيدى إننا تهنا عن الطريق ولابدلنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله مايشاء فقال له بهرام نعم ما رأيت والذى تراه أفعله فقال له الريس إذا أرسلت لنا الملكة تسألنا ماذا يكون جوابها لنا فقال له بهرام أنا عندى هذا المسلم الذى معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا إذا رأته الملكة تظن أنه مملوك فأقول لها إنى جلاب مماليك أبيع وأشترى فقال له الريس هذا كلام مليح ثم إنهم وصلوا إلى المدينة وأرخوا القلوع ودقوا المراسى ووقفت المراكب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم

ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادى على الريس فطلع عندها وقبل الأرض بين يديها فقالت له أى شىء فى مركبك هذه ومن معك فقال لها يا ملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع المماليك فقالت له على به وإذا ببهرام طلع ومعه الأسعد ماشى وراءه فى صفه مملوك فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له ما شأنك فقال لها أنا تاجر رقيق فنظرت إلى الأسعد وقد ظنت أنه مملوك فقالت له ما اسمك فخنقه البكاء وقال لها اسمى الأسعد فحن قلبها عليه فقالت أتعرف الكتابة قال نعم فناولته دواة وقلمًا وقرطاسًا وقالت له اكتب شيئًا حتى أراه فكتب هذين البيتين :

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه فى كل حال أيها الرائى
ألقاه فى اليم مكتوفًا وقال له إيـاك إيـاك أن تبتــل بالمـاء

فلما رأته رحمته ثم قالت لبهرام بعنى هذا المملوك فقال لها ياسيدتى لايمكننى بيعه لأنى بعت جميع مماليكى ولم يبق عندى غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من آخذه منك إما ببيع وإما بهبة فقال لها لا أبيعه ولا أهبه فقبضت على الأسعد وأخذته وطلعت به القلعة هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها أخذت الأسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وأمرت الجوارى أن يقدمن لهم الطعام فقدمن لهم الطعام فأكلا ثم أمرتهن أن يقدمن المدام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٦٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة مرجانة أمرت الجوارى أن يقدمن المدام فقدمته وشربت مع الأسعد وألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأسعد فى قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحًا دخل فيه وتمشى فانتهى به السير إلى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار فجلس تحت شجرة وقضى حاجته وقام إلى الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاه ولباسه محلول



فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر بهرام فإنه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا سمعا وطاعة ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية



(وصول الأسعد إلى البر ونجاته من الغرق عندما ألقوه البحارة فى البحر)

فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقيًا على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد أن ملؤوا قربهم ونطوا من الحائط وأتوابه به مسرعين إلى بهرام المجوسى وقالوا له أبشر بحصول المراد ثم خلع عليهم وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين إلى الصباح هذا ما كانُ من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها بعد نزول

(بستان بنت بهرام المجوسى ، وهى ترفع يدها بالسوط لتضرب به أسعد كما أمرها أبوها)



الأسعد من عندها مكثت تنتظر ساعة فلم يعد إليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فأوقدت الشموع وأمرت الجوارى أن يفتشن عليه ثم نزلت هى بنفسها فرأت البستان مفتوحًا فعلمت أنه دخله فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه فى جميع البستان فلم تر له خبراً ولم تزل تفتش عليه فى جوانب البستان إلى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت فى ثلث الليل فعلمت أنهم أخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظًا شديدًا ثم أمرت بتجهيز عشر مراكب كبار فى الوقت وتجهزت للحرب ونزلت فى مركب من العشر مراكب معها عسكرها متهيئين بالعدة الفاخرة وآلات الحرب وحلوا القلوع وقالت للرؤساء إن لم تلحقوها قتلتكم عن آخركم فحصل للبحرية خوف عظيم ثم سافروا بالمركب ذلك النهار وتلك الليلة وثانى يوم وفى اليوم الرابع لاحت لهم مركب بهرام ولم ينقض النهار حتى أحاطت المراكب بمركب المجوسى وكان بهرام فى ذلك الوقت قد أخرج الأسعد وضربه وصار يعاقبه والأسعد يستغيث فبينما هو يعاقبه إذا لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد أحاطت بمركبه ودارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها ثم أخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه فى البحر فحملته البحرية من يديه ورجليه ورموه فى وسط البحر فأذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية أجله أنه غطس ثم طلع وغطس بيديه ورجليه إلى أن سهل الله عليه أتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيداً عن مركب المجوسى ووصل إلى البر فطلع وهو لايصدق بالنجاة ولما صار فى البر قلع أثوابه عصرها ونشرها وقعد عريانًا يبكى على ماجرى له من المصائب والأسر ثم أنشد هذين البيتين :

إلهى قل صبرى واحتيالى	وضاق الصدر وانصرمت حبالى
إلى من يشتكى المسكين إلا	إلى مولاه يا مولى الموالى

فلما فرغ من شعره وقام لبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا أين يجىء فصار يأكل من نبات الأرض وفواكه الأشجار ويشرب من ماء الأنهار وسافر بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة ففرح وأسرع فى مشيه نحو المدينة فلما وصل إليها أدركه المساء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . .

***

الليلة (٣٦٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد قفل بابها فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها فحط وجهه فى عبه وكان بهرام المجوسى لما وصلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره وسحره ورجع سالمًا نحو مدينته وسار من وقته وساعته وهو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التى فيها الأسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد أن أنظر فى هذه الترب فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ورأسه فى عبه فنظر فى جهة فعرفه فقال له هل أنت تعيش إلى الآن ثم أخذه وذهب به إلى بيته وكان له بيتا فى طابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستان فوضع فى رجلى الأسعد قيدا ثقيلا وأنزله فى ذلك الطابق وأقفل عليه الطابق وأعطى المفاتيح لبنته ثم إن بنته بستان نزلت لتضربه فوجدته شابًا ظريف الشمايل حلو المنظر مقوس الحاجبين كحيل المقلتين فقالت له ما اسمك قال لها اسمى الأسعد فقالت له سعدت أيامك أنت ما تستاهل العذاب وقد علمت أنك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثم إنها سألته عن دين الإسلام فأخبرها أنه هو الدين الحق القويم وأن سيدنا محمد صاحب المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وأن النار لا تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ودخل حب الإيمان فى قلبها ومزج الله محبة الأسعد بفؤادها ونطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة ثم إن بنت بهرام خرجت ووقفت على الباب وإذا بالمنادى كل من عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره فله جميع ماطلب من الأموال ومن كان عنده وأنكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ماله ويهدر دمه وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ماجرى له فلما سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب فدخلت عليه وأخبرته بالخبر فخرج ثم توجه إلى دار الوزير فلما رأى الوزير قال والله إن هذا الوزير هو أخى الأمجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فألقى نفسه عليه ثم إن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشى على



الأسعد والأمجد ساعة فلما أفاقا غشيتهما أخذه الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته فأمر السلطان بنهب بيت بهرام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السلطان أمر الأمجد بنهب دار بهرام فأرسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه ثم إن السلطان أحضر المجوسى وأمر بضرب عنقه فقال بهرام أيها الملك الأعظم هل صممت على قتلى قال نعم فقال بهرام اصبر على أيها الملك قليلا ثم أطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وأسلم على يد السلطان ففرحوا بإسلامه ثم حكى الأمجد والأسعد جميع ماجرى لهما فقال لهما يا سيدى تجهزا للسفر وأنا أسافر بكما ففرحا بذلك وبإسلامه وبكيا بكاء شديداً فقال لهما بهرام ياسيدى لاتبكيا فمصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقالا له وما جرى لنعمة ونعم .

(حكاية نعم ونعمة)

قال بهرام : ذكر والله أعلم أنه بمدينة الكوفة رجل من وجهاء أهلها يقال له الربيع بن حاتم وكان كثير المال وقد رزق ولد فسماه نعمة الله فبينما هو ذات يوم قاعد بدكة النخاسين إذ نظر جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة فى الحسن والجمال فأشار الربيع إلى النخاس وقال بكم هذه الجارية وابنتها فقال بخمسين ديناراً فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال وسلمه لمولاها ثم دفع للنخاس ثمن الجارية وأعطاه دلالته وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما إلى بيته فلما نظرت ابنة عمه إلى الجارية قالت له يا بن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت ياسيدتى اسمى توفيق قالت وما اسم بنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت ومن اشتراك ثم قالت يا ابن عمى ماتسميها قال ما تختارينه أنت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم الصغيرة نعم تربت مع نعمة بن الربيع فى مهد واحد إلى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما أحسن من صاحبه وصار الغلام يقول لها يا أختى وهى تقول له يا أخى ثم أقبل الربيع على ولده نعمة وقال له ياولدى

ليست نعم أختك بل هى جاريتك قال نعم لأبيه فإذا كان كذلك فأنا أتزوجها ثم دخل على والدته وأعلمها بذلك فقالت ياولدى هى جاريتك فدخل نعمة ابن الربيع بتلك الجارية وأحبها ومضى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكن بالكوفة جارية أحسن من نعم ولا أحلى ولا أظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن حتى إنها فاقت جميع أهل عصرها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد بأن نعم فاقت أهل عصرها وبينما هى جالسة ذات يوم من الأيام مع زوجها نعمة بن الربيع فى مجلس الشراب وقد أخذت العود وشدت أوتاره وأنشدت هذين البيتين :

إذا كنت لى مولى أعيش بفضله ... وسيفا به أفنى رقاب النوائب
فما لى إلى زيد وعمرو شفاعة ... سواك إذا ضاقت على مذاهبى

فقال الغلام لله درك يانعم فبينما هما فى أطيب عيش وإذا بالحجاج فى دار نيابته يقول لابد أن أحتال على أخذ هذه الجارية التى اسمها نعم وأرسلها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لأنه لايوجد فى قصره مثلها ولا أطيب من غنائها ثم استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها امض إلى دار الربيع واجتمعى بالجارية نعم وتسببى فى أخذها لأنه لم يوجد على وجه الأرض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف وحطت فى رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما أصبحت لبست أثوابها الصوف ووضعت فى رقبتها سبحة عدد حباتها ألوف وأخذت بيدها عكازاً وركوة يمانية وسـ



هي تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولم تزل في تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والاحتيال حتى وصلت إلى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ماتريدين فقالت أنا فقيرة من العابدات وأدركتني صلاة الظهر وأريد أن أصلي في هذا المكان المبارك فقال لها البواب يا عجوز أن هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولامسجد فقالت أنا أعرف أنه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة ابن الربيع وأنا قهرمانة من قصر أمير المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة فقال لها البواب لا أمكنك من أن تدخلي وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلي من دخول دار نعمة بن الربيع وأنا أعبر إلى دور الأمراء والأكابر فخرج نعمة وسمع كلامها فضحك وأمرها أن تدخل خلفه فدخل نعمة والعجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز بأحسن سلام ولما نظرت إلى نعم تعجبت من فرط جمالها قالت لها ياسيدتي أعيذك بالله الذي ألف بينك وبين مولاك في الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز في المحراب وأقبلت على الركوع والسجود والدعاء إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا أمي أريحي قدميك ساعة فقالت العجوز ياسيدتي من طلب الآخرة أتعب نفسه في الدنيا ومن لم يتعب نفسه في الدنيا لم ينل منازل الأبرار في الآخرة ثم باتت العجوز ليلتها تصلي وتقرأ إلى الصبح فلما أصبح الصباح جاءت إلى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت نعم أستودعتكما الله فقالت لها نعم إلى أين تمضين يا أمي وقد أمرني سيدي أن أخلي لك مجلسا تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجوز الله يبقيكما ويديم نعمته عليكما ثم إن العجوز توجهت إلى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له أني نظرت إلى جارية لم تلد النساء أحسن منها في زمانها فقال لها الحجاج إن فعلت ما أمرتك به يصل إليك مني خير جزيل فقالت له أريد امهلة منك شهرا كاملا فقال لها أمهلتك شهرا ثم إن العجوز جعلت تتردد إلى دار نعمة وجاريته نعم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٢٧٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز صارت تتردد إلى دار نعمة ونعم وهما يزيدان فى إكرامها ومازالت العجوز تمشى وتصبح عندهما ويرحب بها كل من فى الدارحتى إن العجوز اختلت بالجارية يومًا من الأيام وقالت لها قد دعونا إليكم البارحة ولكن قومى فى هذه الساعة

(الخليفة وهو جالس بجوار نعم والطبيب ينظر إليها وهى فى السرير)



تفرجى وعودى قبل أن يجىء سيدك فقالت الجارية لحماتها سألتك بالله أن تأذنى لى بالخروج مع هذه المرأة الصالحة على أولياء الله فى الأماكن الشريفة وأعود بسرعة قبل مجىء سيدى فقالت أم نعمة أخشى أن يعلم سيدك فقالت العجوز والله لا أدعها تجلس على الأرض بل تنظر وهى واقفة على أقدامها ولا تبطئ ثم أخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها إلى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها بعد أن حطتها فى مقصورة فأتى الحجاج ونظر إليها فرآها أجمل أهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه وأركب معه خمسين فارساً وأمره أن يأخذ الجارية على نجيب سابق ويتوجه بها إلى دمشق ويسلمها إلى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان وكتب له كتاباً وقال له اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب وأسرع لى بالرجوع فتوجه الحاجب وأخذ الجارية على هجين وسافر بها حتى وصلوا إلى دمشق واستأذن على أمير المؤمنين فأذن له فدخل الحاجب عليه وأخبره بخبر الجارية فأخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه فرأى زوجته فقال لها إن الحجاج قد اشترى جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وأرسل إلى هذا الكتاب فقالت له زوجته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٧٤)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما أخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من فضله ثم دخلت أخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت والله ماخاب من أنت فى منزله ولو كان ثمنك مائة ألف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من من الملوك وأى مدينة هذه المدينة قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر أخى أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ثم قالت للجارية كأنك ما علمت هذا قالت والله ياسيدتى لا علم لى بهذا قالت والذى باعك وقبض ثمنك ما أعلمك بأن الخليفة قد اشتراك فلما سمعت الجارية هذا الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت لنفسها لقد تمت الحيلة على ثم قالت فى نفسها إن

تكلمت فما يصدقنى أحد ولكن أسكت وأصبر لعلمى أن فرج الله قريب ثم إنها أطرقت رأسها حياء وقد احمرت خدودها من أثر السفر والشمس فتركتها أخت الخليفة فى ذلك اليوم وجاءتها فى اليوم الثانى بقماش وقلائد من الجواهر وألبستها فدخل عليها أمير المؤمنين وجلس إلى جانبها فقالت له أخته انظر إلى هذه الجارية التى قد كمل الله فيها من الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم أزيحى القناع عن وجهك فلم تزل القناع عن وجهها وإنما رأى معاصمها فوقعت محبتها فى قلبه وقال لأخته لا أدخل عليها إلا بعد ثلاثة أيام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها هذا ماكان من أمرها (وأما) ما كان من أمر سيدها نعمة فإنه أتى إلى داره وجلس على فراشه ونادى يا نعم فلم تجبه فقام مسرعًا ونادى فلم يدخل عليه أحد وكل جارية فى البيت اختفت خوفًا منه فخرج نعمة إلى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا أمى أين نعم فقالت له يا ولدى مع من هى أوثق منى عليها وهى بالعجوز الصالحة فإنها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال نعمة لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه إلى صاحب الشرطة فقال له أتحتال على وتأخذ جاريتى من دارى فلابد أن أسافر وأشتكيك إلى أمير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن أخذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا فقال له صاحب الشرطة أوقفنى على العجوز وأنا أخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة مايعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة أنها محتالة الحجاج فقال له نعمة ما أعرف حاجتى إلا منك وبينى وبينك الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه وأعلمه بالقضية فقال له على به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج مابالك فقال له نعمة كان من أمرى ماهو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة فلما حضر صاحب الشرطة قال أريد منك أن تفتش على جارية نعمة بن الربيع فقال له صاحب الشرطة لايعلم الغيب إلا الله فقال له الحجاج لابد أن تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات وتنظر فى البلدان . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .



الليلة (٢٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحجاج قال لصاحب الشرطة لابد أن تركب الخيل وتنظر فى البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت إلى نعمة وقال له إن لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوارى من دارى وعشر جوارى من دار صاحب الشرطة اخرج فى طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة فأقبل والده عليه وقال له يا ولدى إن الحجاج قد احتال على الجارية وأخذها ومن ساعة إلى ساعة يأتى الله بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لايعلم ما يقول ولايعرف من يدخل عليه وأقام ضعيفًا ثلاثة أشهر حتى تغيرت أحواله ويئس منه أبوه ودخلت عليه الأطباء فقالوا لا دواء إلا الجارية فبينما والده جالس يومًا فى أحد الأيام إذ سمع بطبيب أعجمى وقد وصفه الناس بإتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعابه الربيع فلما حضر أجلسه الربيع وأكرمه وقال له انظر ماحال ولدى فقال لنعمة هات يدك فأعطاه يده فجس مفاصله ونظر فى وجهه وضحك والتفت إلى أبيه وقال ليس بولدك غير مرض فى قلبه فقال صدقت ياحكيم فانظر فى شأن ولدى بمعرفتك وأخبرنى فقال الأعجمى إنه متعلق بجارية وهذه الجارية فى البصرة أو فى دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه عليها فقال الربيع إن جمعت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

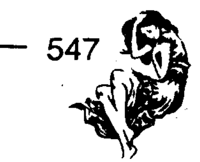
الليلة (٢٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الربيع للعجمى إن جمعت بينهما فلك عندى مايسرك وتعيش عمرك كله فى المال والنعمة فقال له العجمى إن هذا الأمر قريب وسهل ثم التفت إلى نعمة وقال لا بأس عليك فطب نفسًا وقر عينا ثم قال للربيع اخرج من مالك أربعة آلاف دينار فأخرجها وسلمها للأعجمى فقال له الأعجمى أريد أن ولدك يسافر معى إلى دمشق ثم إن نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم إلى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم إنهما وصلا إلى دمشق وأقاما فيها ثلاثة أيام وبعد ذلك أخذ الأعجمى دكانا وملأ رفوفها بالصينى النفيس

والأغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامه أوانى من القنانى فيها سائر الأدهان وسائر الأشربة ووضع حول القنانى أقداحًا من البللور وحط الاصطرلاب قدامه ولبس أثواب الحكمة والطب ثم قال العجمى لنعمة يانعمة أنت اليوم ولدى فلا تدعنى إلا بأبيك وأنا

(الطبيب المغربى الذى دعاه الربيع لينظر حال ولده نعمة)

لا أدعوك إلا بولدى فقال نعمة سمعا وطاعة ثم إن أهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمى ينظرون إلى نعمة وإلى حسن الدكان والبضائع واشتهر ذلك العجمى عند أهل دمشق وجعلوا يصفون له الأوجاع وهو يعطيهم الأدوية فبينما هو ذات يوم جالس إذ أقبلت عليه عجوز راكبة



على حمار فوقفت على دكان العجمى وقالت له أنت الطبيب العجمى الذى جئت من العراق قال نعم قالت اعلم أن لى بنتًا وبها مرض وأخرجت له قارورة فلما نظر العجمى إلى مافى القارورة قال لها ياسيدتى ما اسم هذه الجارية حتى أحسب نجمها وأعرف أى ساعة يوافق فيها شرب الدواء فقالت يا أخا الفرس اسمها نعم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجمى لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها ياسيدتى ما أصف لها دواء حتى أعرف من أى أرض هى لأجل اختلاف الهواء فعرفينى فى أى أرض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها أربع عشرة سنة ومرباها بأرض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها فى هذه الديار فقالت له قامت فى هذه الديار شهورًا قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الأعجمى يوافقها من الأدوية كذا وكذا فقالت له العجوز أعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم إلى نعمة وأمره أن يهيئ لها عقاقير الدواء وصارت العجوز تنظر إلى نعمة و تقول أعيذك بالله ياولدى أن شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمى يا أخا الفرس هل هذا مملوكك أو ولدك فقال لها العجمى إنه ولدى ثم إن نعمة وضع لها الحوائج فى علبة وأخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين :

إذا أنعمت نعم على بنظرة	فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل
وقالوا أسل عنها تعط عشرين مثلها	وليس لها مثل ولست لها أسلو

ثم خبأ الورقة داخل العلبة وختمها وكتب فى غطاء العلبة بالخط الكوفى أنا نعمة بن الربيع الكوفى ثم وضع العلبة قدام العجوز فأخذتهما وودعته وانصرفت متوجهة إلى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج إلى الجارية وضعت الدواء قدامها ثم قالت لها ياسيدتى اعلمى إنه قد

آتى مدينتنا طبيب عجمى ما رأيت أحدًا أعرف بأمور الأمراض منه فذكرت له اسمك بعد أن رأى القارورة فعرف مرضك ووصف دواءك ثم أمر ولده فشد لك هذا الدواء فقالت الجارية ناولينى الدواء على بركة الله تعالى وبعونه وأخذت الدواء وشربته وهى تضحك فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها إن هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة أريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجوارى قدمن الموائد والأطعمة الفاخرة لسيدتكن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت للجوارى احضرن الطعام فقدمن إليها الأطعمة وجلست للأكل وإذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهى تأكل الطعام ففرح فقال أمير المؤمنين للعجوز خذى ألف دينار وقومى بإبرائها فراحت العجوز إلى دكان العجمى بالألف دينار وأعطته إياها وأعلمته أنها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها فأخذها العجمى وناولها نعمة فلما رآها عرف خطها فوقع مغشيًا عليه فلما أفاق فتح الورقة فوجد مكتوبًا فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة فى عقلها المفارقة لحبيب قلبها أما بعد فإنه قد ورد كتابكم على فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر :

ورد الكتاب فلا عدمتِ أناملا ... كتبت به حتى تضمخ طيبا
فكأن موسى قد أعيد لأمه ... أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذى يبكيك ياولدى لا أبكى الله لك عينا فقال العجمى ياسيدتى كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وغافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا هو . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٢٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجمى قال للعجوز كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس لها علة إلا هواه فخذى أنت ياسيدتى هذه الألف دينار لك ولك عندى أكثر من ذلك وانظرى لنا بعين الرحمة وإننا لانعرف إصلاح هذا الأمر إلا منك فقالت العجوز لنعمة هل أنت مولاها قال نعم قالت صدقت فإنها لاتفتر عن ذكرك فأخبرها نعمة بما جرى من الأول إلى الآخر فقالت العجوز ياغلام لاتعرف اجتماعك بها إلا منى ثم ودعته وذهبت إلى الجارية وقالت لها إن سيدك قد ذهبت روحه فى هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين فى ذلك فقالت نعم وأنا كذلك قد ذهبت روحى وأريد الاجتماع به فعند ذلك أخذت العجوز بقجة فيها حلى ومصاغ وبدلة من ثياب النساء وتوجهت إلى نعمة وقالت له ادخل بنا مكاناً وحدنا فدخل معها قاعة الدكان ونقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره وألبسته لباس جارية وزينته بأحسن ما تريد به الجوارى فصار كأنه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة فى تلك الصفة قالت تبارك الله أحسن الخالقين والله إنك لأحسن من الجارية ثم قالت له امش وقدم إلى الشمال وأخر اليمين وهز أردافك فمشى قدامها كما أمرته فلما رأته قد عرف مشى النساء قالت له امكث حتى آتيك ليلة غد إن شاء الله تعالى فآخذك وأدخل بك القصر وإذا نظرت الحجاب والخدامين فقو عزمك وطأطئ رأسك ولا تتكلم مع أحد وأنا أكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما أصبح الصباح أتته القهرمانة فى ثانى يوم وأخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه وهو وراءها فى أثرها فقابلها الحاجب وقال لها ماهذه الجارية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب قابل العجوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له العجوز إن سيدتنا تريد شراءها فقال الخادم ما يدخل أحد إلا بأذن أمير المؤمنين فارجعى بها

فإنى لا أخليها تدخل فإنى أمرت بهذا فقالت القهرمانة أيها الحاجب الكبير أين عقلك إن نعم جارية للخليفة الذى قلبه متعلق بها قد توجهت إليها العافية وماصدق أمير المؤمنين بعافيتها وتريد شراء هذه الجارية فلا تمنعها من الدخول ثم قالت ادخلى ياجارية ولاتسمعى كلامه ولا تخبرى سيدتك أن الحاجب منعك من الدخول فطأطأ رأسه ودخل القصر وأراد أن يمشى إلى جهة يساره فغلط ومشى إلى جهة يمينه فلما دخل رأى موضعًا مفروشًا بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب ورأى سريرًا فى الصدر مفروشًا بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له فى الغيب فبينما هو جالس متفكر فى أمره إذ دخلت عليه أخت أمير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالسًا ظنته جارية فتقدمت إليه وقالت له من تكونى ياجارية وما خبرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . .

***

الليلـة (٢٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أخت الخليفة قالت لنعمة ماخبرك وماسبب دخولك فى هذا المكان فلم يتكلم نعمة ولم يرد عليها جوابًا فقالت ياجارية إن كنت من محاظى أخى وقد غضب عليك فلم يرد نعمة عليها جوابًا فعند ذلك غضبت أخت الملك وقالت له من أنت ومن أدخلك مجلسى هذا فقال لها نعمة أنا أيتها الملكة أدعى بنعمة بن الربيع الكوفى وقد خاطرت بروحى لأجل جاريتى نعم التى احتال عليها الحجاج وأخذها وأرسلها إلى هنا فقالت له لا بأس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امض إلى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة أتت إلى مقصورة نعم وقالت لها هل وصل إليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعله غلط فدخل غير مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت نعم لاحول ولاقوة بالله العلى العظيم قد فرغ أجلنا وجلسنا متفكرين فبينما هما كذلك إذ دخلت عليهما جارية أخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها إن مولاتى تدعوك إلى ضيافتها فقالت سمعًا وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند أخت الخليفة وقد انكشف الغطاء فنهضت نعم من وقتها وساعتها ودخلت على أخت الخليفة

فقالت لها هذا مولاك جالس عندى وكأنه غلط فى المكان وليس عليك ولا عليه خوف إن شاء الله تعالى فلما سمعت نعم هذا الكلام من أخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقدمت إلى مولاها نعمة فلما نظرها قام إليها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعمة لما نظر إلى جاريته نعم قام إليها وضم كل واحد منهما صاحبه ثم وقعا على الأرض مغشيًا عليهما فلما أفاقا قالت لهما أخت الخليفة نعمة هل تحب نعم جاريتك فقال لها ياسيدتى إن هواها هو الذى حملنى على ما أنا فيه من المخاطرة بروحى ثم قالت لنعم هل تحبين سيدك قالت يا سيدتى هواه هو الذى أذاب جسمى وغير حالى والله فقالت إنكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقراعينا وطيبا ففرحا بذلك وطلبت نعم عودا فأحضروه لها فأخذته وأصلحته وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وليس عندى وعندك من أثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة ... وقلت حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

ثم إن نعما أعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غن لنا شعرًا فأخذه وأصلحه وأطرب بالنغمات ثم أنشد هذه الأبيات :

البدر يحكيك لولا أنه كلف ... والشمس مثلك لو الشمس تنكسف
إنى عجبت وكم فى الحب من عجب ... فيه الهموم وفيه الوجد والكلف
أرى الطريق قريبًا حين أسلكه ... إلى الحبيب بعيدًا حين أنصرف

ولم يزالوا ينشدون الأشعار ويشربون على نغمات الأوتار وهم فى لذة وحبور وفرح وسرور فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أمير المؤمنين فلما نظروه قاموا إليه وقبلوا الأرض بين يديه فنظر إلى نعم والعود معها فقال يانعم الحمد لله الذى أذهب عنا البأس والوجع ثم التفت إلى نعمة وهو على

تلك الحالة وقال يا أختى من هذه الجارية التى فى جانب نعم فقالت له أخته يا أمير المؤمنين إن هذه جارية من المحاظى أنيسة لا تأكل ولا تشرب إلا وهى معها ثم أنشدت قول الشاعر :

ضدان واجتمعا افتراقًا فى البها   والضد يظهرحسنه بالضد

فقال الخليفة : والله العظيم إنها مليحة مثلها وفى غد أخلى لها مجلسًا بجانب مجلسها وأخرج لها الفرش والقماش وأنقل إليها جميع مايصلح لها أكثر مما لنعم واستدعت أخت الخليفة بالطعام فقدمته لأخيها فأكل وجلس معهم فى تلك الحضرة ثم ملأ قدحًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة ملأ القدح وأومأ إلى نعم بأن تنشد له من الشعر فأخذت العود بعد أن شربت قدحين وأنشدت هذين البيتين :

إذا ماندیمی علنی ثم علنی   ثلاثة أقداح لهن هدير
أبيت أجر الذيل تيها كأننى   عليك أمير المؤمنين أمير

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الأبيات قال لها نعم ما أفصح لسانك وأوضح بيانك ولم يزالوا فى فرح وسرور إلى نصف الليل ثم قالت أخت الخليفة اسمع يا أمير المؤمنين إنى رأيت حكاية فى الكتب عن بعض أرباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له أخته اعلم يا أمير المؤمنين إنه كان بمدينة الكوفة صبى يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه فى فراش واحد فلما بلغا وتمكن حبهما من بعضهما ورماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاته وحكم عليهما بالفراق وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره وأخذوها سرقة من مكانه ثم إن سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة آلاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ماعنده لها ففارق أهله وداره وسافر فى طلبها وتسبب باجتماعه بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن نعمة لم يزل مفارقًا لأهله ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل إلى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها فلم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذى كان اشتراها من الذى سرقها فعجل عليهما وأمر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليه فى حكمه فما تقول يا أمير المؤمنين فى قلة إنصاف هذا الملك فقال أمير المؤمنين : إن هذا شىء عجيب فكان ينبغى لذلك الملك العفو عند المقدرة لأنه يجب عليه أن يحفظ لهما ثلاثة أشياء الأول أنهما متحابان والثانى أنهما فى منزله وتحت قبضته والثالث أن الملك ينبغى له التأنى فى الحكم بين الناس فكيف بالأمر الذى يتعلق به فهذا الملك قد فعل فعلاً لا يشبه فعل الملوك فقالت له أخته يا أخى من حكم على نفسه بشىء ألزمه القيام والعمل بقوله وأنت حكمت على نفسك هذا الحكم فعند ذلك قال الخليفة صدقت أن حكمت بذلك وما أحكم بشىء وأرجع فيه ثم قال يانعم هل هذا مولاك قالت له نعم نعم يا أمير المؤمنين فقال لا بأس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما قال يانعمة وكيف عرفت مكانها ومن وصف لك هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين اسمع خبرى وأنصت إلى حديثى فوحق آبائك وأجدادك الطاهرين لا أكتم عنك شيئًا ثم حدثه بجميع ما كان من أمره وما فعله معه الحكيم العجمى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال على بالعجمى فأحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه خلعة وأمر له بجائزة سنية وقال من يكون هذا تدبيره يجب أن نجعله من خواصنا ، ثم إن الخليفة أحسن على نعمة وأنعم على القهرمانة وقعدا عنده سبعة أيام فى سرور وحظ وأرغد عيش ثم طلبت نعمة الإذن بالسفر هو وجاريته فأذن لهما بالسفر إلى الكوفة فسافرا واجتمع بوالده ووالدته وأقاموا فى أطيب عيش إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الأمجد والأسعد هذا الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقالا إن هذا الشىء عجيب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد لما سمعا من بهرام المجوسى الذى أسلم هذه الحكاية تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة ولما أصبح الصباح وركب الأمجد والأسعد وأرادا أن يدخلا على الملك أستأذنا فى الدخول فأذن لهما فلما دخلا أكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بأهل المدينة يصيحون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له إن ملكًا من الملوك نزل بعساكره المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندرى مامرادهم فأخبر الملك وزيره الأمجد وأخاه الأسعد بما سمعه من الحاجب فقال الأمجد أنا أخرج إليه وأكشف خبره فخرج الأمجد إلى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير ومماليك راكبه فلما صار قدامه قبل الأرض بين يديه وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاما فقالت اعلم أنه مالى عندكم غرض فى هذه المدينة إلا مملوك فقال الأمجد أيتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما اسمه فقالت اسمه الأسعد وأنا اسمى مرجانة فلما سمع الأمجد ذلك علم أنه أخوه الأسعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد الله الذى جاءنا بالفرح وإن هذا المملوك هو أخى ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما فى بلاد الغربة وأخبرها بسبب خروجهما من بلاد الأبنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الأسعد وخلعت على أخيه الأمجد ثم بعد ذلك عاد الأمجد إلى الملك وأعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والأمجد والأسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك وإذا بالغبار طار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك عن عسكر جرار مثل البحر الذخار فقال الأمجد والأسعد إنا لله وإنا إليه راجعون ما هذا الجيش الكبير أن هذه أعداء لا محالة ثم قام الأمجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل إلى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور أبا أمه الملكة بدور . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد لما وصل إلى العسكر وجدها عسكر جده الملك الغيور وصاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما سمع الأمجد ذلك أطرق برأسه إلى الأرض



يتفكر حتى تحقق أنه جده أبو أمه ثم رفع رأسه وقبل الأرض بين يديه وأخبره أنه ابن بنته بدور فلما سمع الملك أن ابن بنته بدور رمى نفسه عليه وصار يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدى على السلامة حيث اجتمعت بك ثم قال له الأمجد إن ابنته بدور فى عافية وكذلك أبوه قمر الزمان وأخبره إنهما فى مدينة يقال لها جزيرة الأبنوس وحكى له أن قمر الزمان والده غضب عليه وعلى أخيه وأمر بقتلهما وأن الخازندار رق لهما وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور أنا أرجع بك وبأخيك إلى والدك أصلح بينكما وأقيم عندكم فقبل الأرض بين يديه ثم خلع الملك الغيور وعلى الأمجد ابن ابنته ورجع إلى الملك الغيور وأعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب منها غاية العجب ثم أرسل له آلات الضيافة من الخيل والجمال والغنم والعليق وغير ذلك أخرج للملكة مرجانة كذلك وأعلموها بما جرى فقالت أنا ذاهبة معكم بعسكرى وأكون ساعية فى الصلح فبينما هم كذلك وإذا بغبار وقد ثار حتى سد الأقطار أسود منه النهار وسمعوا من تحته صياحًا وصراخًا وصهيل الخيل ورأوا سيوفا تلمع ورماحًا تشرح فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكريين دقوا الطبول فلما رأى الملك ذلك قال ماهذا النهار الأنهار مبارك الحمد الله الذى أصلحنا مع هذين العسكرين وأن شاء الله تعالى يصلحنا مع هذا العسكر أيضًا ثم قال يا أمجد أخرج أنت وأخوك الأسعد فخرج الاثنان الأمجد وأخوه الأسعد بعد أن أغلق الملك باب المدينة خوفًا من العسكر المحيط بها ففتحا الأبواب وسارا حتى وصلا إلى العسكر الذى وصل فوجداه عسكر ملك جزائر الأبنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الأرض بين يديه وبكيا فلما رآهما قمر الزمان رمى نفسه عليهما وبكى بكاء شديدًا لفراقهما ثم إن الأمجد والأسعد ذكرا له عن الملك الغيور وأنه وصل إليهم فركب قمر الزمان فى خواصه وأخذ ولديه الأمجد والأسعد معه وساروا حتى وصلوا إلى قرب عسكر الملك الغيور فسبق واحد منهم إلى الملك الغيور وأخبره أن قمر الزمان وصل فطلع لملاقاته فاجتمعوا ببعضهم وتعجبوا من هذه الأمور فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وقد ارتجت الأرض من تحت الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعه بالعدد والأزواد وكلهم لابسون السواد وفى وسطهم شيخ كبير ولحيته واصلة إلى صدره وعليه ملابس سود فلما نظر أهل هذه المدينة هذه

العساكر العظيمة قال صاحب المدينة فما هذه العسكر الجرار الذى قد سد الأقطار فقال له الملوك لاتخف منه فبينما هم كذلك وإذا برسول من تلك العساكر قد أقبل متوجهًا إلى هذه المدينة فقدموه بين يدى قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة فقبل الأرض وكان هذا الملكٌ من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش فى الأقطار فإن وجده عندكم فلا بأس عليكم وإن لم يجده وقع فى الحرب بينه وبينكم وأخرب مدينتكم فقال له قمر الزمان ما يصل إلى هذا ولكن ما يقال فى بلاد العجم فقال الرسول يقال الملك شهرمان صاحب جزائر خالدات فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه واستمر فى غشيته ساعة ثم أفاق وبكى بكاء شديداً وقال للأمجد والأسعد وخواصهما امشوا يا أولادى مع الرسول وسلموا على جدكم والدى الملك شهرمان بشروه بى فإنه حزين على فقدى وهو الآن لابس الملابس السود من أجلى ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا إلى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقع مغشيًا عليهما من شدة الفرح فلما أفاقا حكى لابنه جميع ما جرى له ثم سلم على بقية الملوك وردوا مرجانة إلى بلادها بعد أن زوجوها للأسعد ووصوها أنها لاتقطع عنهم مراسلتها ثم إنهم زوجوا الأمجد إلى بستان بنت بهرام وسافروا كلهم إلى مدينة الأبنوس وقعدوا فى مدينة الأبنوس شهرًا كاملاً ثم سافر الملك الغيور بابنته إلى بلده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك الغيور سافر بابنته وجماعته إلى بلده وجلس قمر الزمان يحكم مكان أبيه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله أعلم فقال الملك ياشهرزاد هذه الحكاية عجيبة جداً قالت أيها الملك ليست هذه بأعجب من حكاية علاء الدين أبى الشامات قال وماحكايته .

(حكاية علاء الدين أبى الشامات)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من أحسن التجار وأصدقهم مقالا وهو صاحب خدم وحشم



وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه إلا أنه عاش معها أربعين سنة ولم يرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يومًا من الأيام فى دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم وله ولدا وولدان أو أكثر وهم قاعدون فى دكاكين مثل آبائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع آخذ مْرآة المزين فرأى وجهه فيها وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ثم نظر إلى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر أن الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتغتسل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها أنا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية هاتى سفرة العشاء فأحضرت الطعام وقالت له تعش ياسيدى فقال لها ما آكل شيئًا وأعرض عن السفرة بوجهه فقالت له ماسبب ذلك وأى شىء أحزنك فقال لها أنت سبب حزنى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس الدين قال لزوجته أنت سبب حزنى فقالت له لأى شىء فقال لها أنى فتحت دكانى هذا اليوم ورأيت كل واحد من التجار له ولد أو ولدان أو أكثر وهم قاعدون فى الدكاكين مثل آبائهم فقلت فى نفسى أن الذى أخذ أباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتينى أننى ما أتزوج عليك ولا أتسرى بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجوارى ولم أبت ليلة بعيدًا عنك والحالة إنك عاقر والنكاح فيك كالنحت فى الحجر فقالت اسم الله على أن العافة منك ماهى منى لأن بيضك رائق فقال لها وأين معكر البيض وأنا أشتريه لعله يعكر بيضى فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر وأصبح متندمًا حيث عاير زوجته وندمت هى حيث عايرته ثم توجه إلى السوق فوجد رجلا عطارًا فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندى وجبر ولكن أسأل جارى فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع

إلى دكانه وقعد فكان فى السوق نقيب الدلالين وكان رجلا حشاشًا يتعاطى الأفيون والبرش ويستعمل الحشيش الأخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقير الحال وكانت عادته أن يصبح على التاجر كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له ياسيدى مالك مغتاظ فحكى له جميع ماجري بينه وبين زوجته وقال له إن لى أربعين سنة وأنا متزوج بها ولم تحبل منى بولد ولا ببنت وقالوا لى سبب عدم حبلها منك أن بيضك رائق ففتشت على شيء أعكر به بيضى فلم أجده فقال له ياسيدى أنا عندى معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الأربعين سنة التى مضت قال له التاجر إن فعلت ذلك فأنا أحسن إليك عليك فقال له هات لى دينارًا فقال له خذ هذين الدينارين فأخذهما وقال هات هذه السلطانية الصينى فأعطاه السلطانية فأخذها وتوجه إلى بياع الحشيش وأخذ منه من المكرر الرومى قدر أوقيتين وأخذ جانبًا من الكبابة الصينى والقرفة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفلفل الأبيض والسقنقور الجبلى ونقع الجميع وغلاهم فى الزيت الطيب وأخذ ثلاث أوراق حصا لبان ذكر وأخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجونًا بالعسل النحل وحطه فى السلطانية ورجع بها إلى التاجر وأعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغى أن تأخذ منه على رأس الملوق بعد أن تأكل اللحم الضانى والحمام البيتى وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر والمكرر فأحضر التاجر جميع ذلك وأرسله إلى زوجته وقال لها اطبخى ذلك طبخًا جيدًا وخذى معكر البيض واحفظيه عندك حتى أطلبه ففعلت ما أمرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم إنه طلب السلطانية فأكل منها فأعجبته فأكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة ففات عليها أول شهر والثانى والثالث ولم ينزل عليها الدم فعلمت أنها حملت ثم وفت أيام حملها ولحقها الطلق وقامت الأفراح فقاست الداية المشقة فى الخلاص ورقته باسمى محمد وعلى وكبرت وأذنت فى أذنه ولفته وأعطته لأمه فأعطته ثديها وأرضعته فشرب وشبع ونام وأقامت الداية عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها فى اليوم السابع ثم رشوا ملحه ودخل التاجر وهنأ زوجته بالسلامة وقال لها أين وديعة الله فقدمت له مولودًا بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة أيام



ولكن الذى ينظره يقول عليه إنه ابن عام فنظر التاجر فى وجهه فرآه بدرًا مشرقًا وله شامات على الخدين فقال لها ما سميتيه فقالت له لو كان بنتًا كنت سميتها وهذا ولد فلا يسمه إلا أنت وكان أهل ذلك الزمن يسمون أولادهم بالفال فبينما هم يتشاورون فى الاسم وإذا بواحد يقول ياسيدى علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين أبى الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبر وانتشى وعلى الأرض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنوات أدخلوه تحت طابق خو فاعليه من العين ثم بعد ذلك أحضر له فقيهًا يعلمه فعلمه الخط والقرآن والعلم إلى أن صار ماهر صاحب معرفة فاتفق أن العبد أوصل إليه السفر فى بعض الأيام ونسى الطابق مفتوحًا فطلع علاء الدين ودخل على أمه وكان عندها محضر من أكابر النساء فبينما النساء يتحدثن مع أمه وإذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فحين رآه النسوة غطين وجوههن وقلن لأمه الله يجازيك يافلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الأجنبى أما تعلمين أن الحياء من الإيمان فقالت لهن سمين الله هذا ولدى وثمرة فؤادى فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولدا فقالت إن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الأرض . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أم علاء الدين قالت للنسوة إن أباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الأرض فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحًا فطلع منه ولم يكن مرادنا أن يطلع منه حتى تطلع لحيته فهنأها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة إلى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس وإذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة أبيه فقال لهم علاء الدين أين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن أوصلنا أباك إلى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم أى شىء صنعه أبى فقالوا له إن أباك شاه بندر التجار بأرض مصر وهو سلطان أولاد الغرب فدخل علاء الدين على أمه وقال لها يا أمى ما صناعة أبى فقالت يا ولدى إن أباك

تاجر وهو شاه بندر التجار بأرض مصر وسلطان أولاد الغرب وعبيده لا تشاوره فى البيع إلا على البيعة التى تكون أقل ثمنها ألف دينار فقال لها يا أمى الحمد لله الذى جعلنى ابن سلطان أولاد الغرب ووالدى شاه بندر التجار ولأى شىء يا أمى تحطوننى فى الطابق وتتركونى محبوسًا فيه فقالت له يا ولدى نحن ماحطيناك فى الطابق إلا خوفًا عليك من أعين الناس فإن العين حق وأكثر أهل القبور من العين فقال لها يا أمى وأين المفر من القضاء والحذر لا يمنع من القدر والمكتوب ما منه مهروب وأن الذى أخذ جدى لايترك أبى فإنه إن عاش اليوم مايعيش غدًا وإذا مات أبى وطلعت أنا وقلت أنا علاء الدين بن التاجر شمس الدين لايصدقنى أحد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا شمس الدين ولدًا ولا بنتًا فينزل بيت المال ويأخذ مال أبى ويرحم الله من قال :

يموت الفتى ويذهب ماله ويأخذ أنذل الرجال نساءه

فأنت يا أمى تكلمين أبى حتى يأخذنى معه إلى السوق ويفتح دكانًا وأقعد فيه ببضائع ويعلمنى البيع والشراء والأخذ والعطاء فقالت له ياولدى إذا أحضر أبوك أخبرته بذلك فلما رجع التاجر إلى بيته وجدا ابنه علاء الدين أبا الشامات قاعدًا عند أمه فقال لها لأى شىء أخرجتيه من الطابق فقالت له يا ابن عمى أنا ما أخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحًا فبينما أنا قاعدة وعندى محضر من أكابر النساء وإذا به دخل علينا وأخبرته بما قاله ولده فقال له ياولدى فى غد إن شاء الله تعالى آخذك معى إلى السوق ولكن ياولدى قعود السوق والدكاكين يحتاج إلى الأدب والكمال فى كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام أبيه فلما أصبح الصباح أدخله الحمام وألبسه بدلة تساوى جملة من المال ولما أفطروا وشربوا الشرابات ركب بغلته وأركب ولده بغلة وأخذه وراءه وتوجه به إلى السوق فنظر أهل السوق شاه بندر التجار مقبلا ووراء غلام كأن فى وجهه القمر فى ليلة أربعة عشرة فقال واحد منهم لرفيقه انظر هذا الغلام الذى وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكراث شائب وقلبه أخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكر للتجار نحن مابقينا نرضى به أن يكون شيخًا علينا أبدا وكان من عادة شاه بندر التجار



أنه لما يأتى من بيته فى الصباح ويقعد فى دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون شاه بندر التجار ويقرؤن له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم إلى دكانه لما قعد شاه بندر التجار فى دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت إليه التجار حسب عادتهم فنادى النقيب وقال له لا شىء لم تجتمع التجار على جرى عادتهم فنادى النقيب وقال له لأى شىء لم يجتمع التجار على جرى عادتهم فقال له أنا ما أعرف نقل الفتن أن التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرءون لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وأنت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك أو يقرب لزوجتك وأظن أنك تعشقه وتميل إلى الغلام فصرخ عليه وقال له اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدى فقال له عمرنا مارأينا لك ولدًا فقال له لما جئتنى بمعكر البيض حملت زوجتى وولدته ولكن من خوفى عليه من العين ربيته فى طابق تحت الأرض وكان مرادى أنه لايطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت أمه وطلبت منى أن أفتح له دكانًا وأحط عنده بضائع وأعلمه البيع والشراء فذهب النقيب إلى التجار وأخبرهم بحقيقة الأمر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا إلى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرؤوا الفاتحة وهنؤوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقى الأصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولد أو بنت لابد أن يصنع لإخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه وأقاربه وأنت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم على ذلك ويكون اجتماعنا فى البستان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٢٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا فى البستان فلما أصبح الصباح أرسل الفراش للقاعة والقصر الذين فى البستان وأمره بفرشهما وأرسل آلة الطبخ من خرفان سمن وغير ذلك مما يحتاج إليه الحال وعمل سماطين سماطًا فى القصر وسماطًا فى القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له ياولدى إذا دخل الرجل الشائب فأنا أتلقاه وأجلسه على السماط الذى فى القصر وأنت يا ولدى

إذا دخل الولد الأمرد فخذه وادخل به القاعة وأجلسه على السماط فقال له لأى شىء يا أبى تعمل سماطين واحد للرجال وواحد للأولاد فقال ياولدى إن الأمرد يستحى أن يأكل عند الرجال فأستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم فى القصر وولده علاء الدين يقابل الأولاد ويجلسهم فى القاعة ثم وضعوا الطعام فأكلوا وشربوا ثم قعد الاختيارية فى مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم تاجر يسمى محمود البلخى وكان مسلمًا فى الظاهر ومجوسيًا فى الباطن وكان يبغى الفساد ويهوى الأولاد فنظر إلى علاء الدين نظرة أعقبته ألف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة فى وجهه فأخذ به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذى اسمه محمود البلخى يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم إن محمود البلخى قام يتمشى وأنعطف نحو الأولاد فقاموا لملتقاه فالتفت التاجر محمود إلى الأولاد وقال لهم أن طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معى أعطيت كل واحد منكم بدلة تساوى جملة من المال ثم توجه من عندهم إلى مجلس الرجال فبينما الأولاد جالسون وإذا بعلاء الدين أقبل عليهم فقاموا لملتقاه وأجلسوه بينهم وفى صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه ياسيدى حسن أخبرنى برأس المال من أين جاءك فقال له أنا لما كبرت ونشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لأبى يا والدى أحضر لى متجرا فقال ياولدى رح خذ مالا من واحد تاجر واتجر به وتعلم البيع والشراء وصار كل واحد من الأولاد يقول لرفيقه مثل ذلك إلى أن دار الدور وجاء الكلام إلى علاء الدين أبى الشامات فقالوا له وأنت ياسيدى علاء الدين فقال لهم إنها تربيت فى طابق تحت الأرض وطلعت منه فى هذه الجمعة وأنا أروح الدكان وأرجع منه إلى البيت فقال واحد منهم هذا مثل السمك إن فارق الماء مات ثم قالوا ياعلاء الدين ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الأولاد وهو باكى العين فقالت له أمه ما يبكيك ياولدى فقال لها إن أولاد التجار جميعًا يعايروننى وقالوا لى ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدراهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٢٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال لوالدته إن أولاد التجار عايرونى وقالوا لى ما فخر أولاد التجار إلا بالسفر لأجل أن يكسبوا الدارهم والدنانير فقالت أمه ياولدى هل مرادك السفر قال نعم فقالت يا ولدى إن أباك عنده مال كثير وإن لم يجهز لك متجراً من ماله أجهز لك متجراً من عندى فقال لها خير البر عاجله فإن كان معروفاً فهذا وقته فأحضرت العبيد وأرسلتهم إلى الذين يحزمون القماش وفتحت حاصلا وأخرجت له منه قماشاً وحزموا عشرة أحمال هذا ماكان من أمه (وأما) ما كان من أمر أبيه فإنه التفت فلم يجد ابنه علاء الدين فى البستان فسأل عنه فقالوا إنه ركب بغلته وراح إلى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأى أحمالاً محزومة فسأل عنها فأخبرته زوجته بما وقع من أولاد التجار لولده علاء الدين فقال له ياولدى خيب الله الغربة فقد قال رسول الله ﷺ من سعادة المرء أن يرزق فى بلده وقال الأقدمون دع السفر ولو كان ميلا ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لى من السفر فقال ياولدى خذ الأربعين حملا والعشرة أحمال الذى من عند أمك وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدى أخاف عليك من غابة فى طريقك تسمى غابة الأسد فقال له لماذا يا والدى فقال من بدوى قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق الله وإن كان لى فيه نصيب لم يصبنى فيه ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار إلى سوق الدواب فاشترى ستين بغلا وسترا لسيدى عبد القادر الجيلانى وقال له يا ولدى أنا غائب وهذا أبوك عوضاً عنى وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا تلك الليلة ختمة ومولد للشيخ عبد القادر الجيلانى ولما أصبح الصباح أعطى شاه بندر التجار لولده عشرة آلاف دينار وقال له إذا دخلت بغداد ولقيت القماش رائجا معه فبعه وإن لقيت حاله واقفاً فاصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين والعكام لما أمروا العبيد أن يحملوا البغال ودعوا شاه بندر التجار والد علاء الدين وساروا وخرجوا من المدينة ثم توجهوا للسفر وكان للتاجر محمود البلخى أربعة بيوت واحد فى مصر وواحد فى الشام وواحد فى حلب وواحد فى بغداد ولم يزالوا مسافرين فى البرارى والقفار حتى أشرفوا على الشام فأرسل محمود عبده إلى علاء الدين فرآه قاعداً يقرأ فتقدم وقبل يديه فقال ما تطلب فقال له ياسيدى يسلم عليك ويطلبك لعزومتك فى منزله فقال له لما أشاور أبى المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا ترح ثم سافروا من الشام إلى أن دخلوا حلب فعمل محمود البلخى عزومة وأرسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب إلى أن بقى بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخى عزومة وأرسل بطلب علاء الدين فشار المقدم فمنعه فقال علاء الدين لابد لى من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحت ثيابه وسار إلى أن دخل على محمود البلخى فقام لملتقاه وسلم عليه وأحضر له سفرة عظيمة فأكلوا وشربوا وغسلوا أيديهم ومال محمود البلخى على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها فى كتفه وقال له مامرادك أن تعمل فقال إنى أحضرتك ومرادى أعمل معك حظًا فى هذا المجال ثم إن محمود البلخى هم بعلاء الدين وأراد أن يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له واشيبتاه أما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال :

احفظ مشيبك من عيب يدنسه إن البياض سريع الحمل للدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود إن هذه البضاعة أمانة الله لا تباع ولو بعتها لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله ياخبيث ما بقيت أرافقك أبدا ثم رجع علاء الدين إلى المقدم كمال الدين وقال له أن هذا رجل فاسق فقال له يا ولدى أما قلت لك لا تروح عنده ولكن يا ولدى إن افترقنا منه نخشى على أنفسنا التلف فخلنا قفلا واحدا فقال له لايمكن أن أرافقه فى الطريق أبدًا ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه إلى أن نزلوا فى واد وأرادوا أن يحطوا



فيه فقال العكام لاتحطوا هنا واستمروا رائحين وأسرعوا فى المسير لعلنا نحصل بغداد قبل أن تقفل أبوابها فإنهم لايفتحونها ولا يقفلونها إلا بعد الشمس خوفًا على المدينة أن يملكها الروافض ويرموا كتب العلم فى الدجلة فقال له يا والدى أنا ما توجهت بهذا المتجر إلى هذه البلد لأجل أن أتسبب بل لأجل الفرجة على بلاد الناس فقال له العكام افعل ما تريد فأنا نصحتك وأنت تعرف خلاصك فأمرهم علاء الدين بتنزيل الأحمال على البغال فأنزلوا الأحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين إلى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيئًا يلمع على بعد فقال للعكام يامقدم ماهذا الشىء الذى يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذى يلمع أسنة ورماح حديد وسلاح وسيوفًا بدوية وأذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان أبوناب ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين للعكام حاس يا أقل العرب فلطشه أبوناب بحربته فى صدره فخرجت تلمع من ظهره ثم إن العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبق أحد من طائفة علاء الدين ثم حملوا الأحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء لنفسه مايقتلك إلا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقطع البدلة ورماها على ظهر البغلة وصار بالقميص واللباس فقط هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر شيخ العرب عجلان فإنه قال لجماعته ياعرب هذه القافلة داخلة فى مصر أو خارجة من بغداد .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

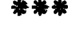
الليلـــة (٢٩٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن البدرى لما قال لجماعته ياعرب هذه القافلة داخلة من مصر وخارجة من بغداد فقالوا له داخلة من مصر إلى بغداد فقال لهم ردوا على القتلى لأنى أظن أن صاحب هذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى بالطعن والضرب إلى أن وصلوا إلى علاء الدين وكان قد ألقى نفسه بين القتلى فلما وصلوا إليه قالوا أنت جعلت نفسك ميتًا فنحن نكمل عليك فحسب البدوى الحربة وأراد أن يغرزها فى صدر علاء الدين فقال علاء الدين يابركتك ياسيدتى نفيسة هذا وقتك وإذا بعقرب لدغ البدوى فى كفه فصرخ وقالوا له أى

شيء أصابك فقال لهم لدغني عقرب ثم أخذوا القافلة وساروا هذا ماكان من أمرهم (وأما) ماكان من أمر محمود البلخي فإنه أمر بتحميل الأحمال وسافر إلى أن وصل إلى غابة الأسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى وعلاء الدين نائمًا وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الفعال وخلاك في أسوأ حال فقال له العرب فقال له ياولدي فداك البغال والأموال وتسل بقول من قال :

إذا سلمت هام الرجال من الردى   فما المال إلا مثل قص الأظافر

ولكن يا ولدي انزل ولا تخش بأسا فنزل علاء الدين من شباك الصهريج وأركبه بغلة وسافروا إلى أن دخلوا مدينة بغداد في دار محمود البلخي فأمر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والأحمال فداؤك ياولدي وإن طاوعتني أعطيك قدر مالك وأحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام أدخله قاعة مزركشة بالذهب لها أربعة لواوين ثم أمر بإحضار سفرة فيها جميع الأطعمة فأكلوا وشربوا ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل أنت إلى الآن تابع لضلالك أما قلت لك أنا لو كنت بعث هذه البضاعة لغيرك بالذهب ما كنت أبيعها لك بالفضة فقال أنا ما أعطيتك المتجر والبغلة والبدلة إلا لأجل هذه القضية فقال علاء الدين أن هذا شيء لايمكن أبدا فخذ بدلتك وافتح الباب حتى أروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر إذ رأى باب مسجد فدخل دهليز المسجد واستكن فيه وإذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين في يد عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثاني شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله ياعمي أن ترد لي بنت عمي فقال له أما نهيتك مرارًا عديدة وأنت جاعل الطلاق مصحفك ثم إن الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كان فلقه قمر فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال ياغلام من أنت فقال له أنا علاء الدين ابن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدي المتجر فجهز لي خمسين حملا من البضاعة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٢٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين قال فجهز لى خمسين حملا من البضاعة وأعطانى عشرة آلاف دينار وسافرت حتى وصلت إلى غابة الأسد فطلع على العرب وأخذوا مالى وأحمالى فدخلت هذه المدينة وما أدرى أين أبيت فرأيت هذا المحل فاستكنت فيه فقال له يا ولدى ما تقول إنى أعطيك ألف دينار وبدلة بألف دينار فقال له علاء الدين على أى وجه تعطينى ذلك يا عمى فقال إن هذا الغلام الذى معى ابن أخى ولم يكن لأبيه غيره وأنا عندى بنت لم يكن لى غيرها فزوجتها وهو يحبها وهى تكرهه فحنث فى يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته حتى افترقت منه فساق على جميع الناس إنى أردها له فقلت له هذا لا يصلح إلا بالمحلل واتفقت معه على أن يجعل المحلل له واحد غريبًا لا يعايره أحد بهذا الأمر وحيث كنت أنت غريبًا فتعال معنا لكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها فقال علاء الدين فى نفسه مبيتى ليلة مع عروس فى بيت على فراش أحسن من مبيتى فى الأزقة والدنانير فسار معهما إلى القاضى فلما نظر القاضى إلى علاء الدين وقعت محبته فى قلبه وقال لأبى البنت أى شيء مرادكم فقال مرادنا أن نعمل هذا محللا لبنتنا ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة آلاف دينار فإذا بات عندها وأصبح طلقها أعطيناه بدلة بألف دينار فعقدوا العقد على هذا الشرط وأخذ أبو البنت حجة ثم أخذ علاء الدين معه وألبسه البدلة وساروا به إلى أن وصلوا دار بنته فأوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذى حجة صداقك فإنى كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين أبا الشامات فتوصى به غاية الوصية ثم أعطاها الحجة وتوجه إلى بيته وأما ابن عم البنت فإنه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن إليها فقال لها يا أمى أن زبيدة بنت عمى متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلنى بعد ذلك فأنا أطلب منك أن تعملى حيلة وتمنعى الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما أخليه يقربها ثم إنها جاءت لعلاء الدين وقالت له يا ولدى أنصحك لله تعالى فاقبل نصيحتى ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها ولاتلمسها ولاتدن منها فقال لها لأى شيء فقالت له إن جسدها ملآن بالجذام وأخاف عليك منها أن تعدى شبابك المليح فقال لها ليس

لى بها حاجة ثم انتقلت إلى الصبية وقالت لها مثل ما قالت لعلاء الدين فقالت لها لا حاجة لى به بل أدعه ينام وحده ولما يصبح الصباح يروح لحال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها خذى سفرة الطعام وأعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فأكل حتى اكتفى ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل دواد فقالت فى نفسها الله ينكد على العجوز التى قالت إنه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لايكون صوته هكذا وإنما هذا الكلام كذب عليه فلما أقبلت عليه قال لها ابعدى عنى لئلا تعدينى فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين وبياضه كبياض اللجين ثم قالت له ابعد عنى فإنك مبتلى بالجذام لئلا تعدينى فقال لها من أخبرك أنى مجذوم فقالت له العجوز أخبرتنى بذلك فقال لها وأنا الآخر أخبرتنى العجوز أنك مصابة بالبرص ثم كشف لها عن ذراعه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته إلى حضنها وضمها إلى صدره واعتنق الاثنان ببعضهما فلما أصبح الصباح قال لها يا فرحة ما تمت أخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لها ياسيدتى ما بقى لى قعود معك غير هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها إن أباك كتب على حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وإن لم أردها فى هذا اليوم حبسونى عليه فى بيت القاضى والآن يدى قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة آلاف دينار فقالت له ياسيدى هل العصمة بيدك أو بأيديهم فقال لها العصمة بيدى ولكن ما معى شىء فقالت له إن الأمر سهل ولا تخش شيئًا ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معى غيرها لأعطيتك ما تريد فإن أبى من محبته لابن أخيه حول جميع ماله عندى إلى بيته حتى صيغتى أخذها كلها وإذا أرسل إليك رسولا من طرف الشرع فى غد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٢٩٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية قالت لعلاء الدين إذا جاءك رسول من طرف الشرع فى غدو وقال لك القاضى وأبى طلق فقال لهما فى أى مذهب يجوز أننى أتزوج فى العشاء وأطلق فى الصباح ثم إنك تقبل يد القاضى وتعطيه إحسانًا وكذا كل شاهد تقبل يده



وتعطيه عشرة دنانير فبينما هما فى الكلام وإذا برسول القاضى يدق الباب فخرج إليه فقال له الرسول كلم الأفندى فإن نسيبك طالبك فأعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر فى أى شرع أنى أتزوج فى العشاء وأطلق فى الصباح فقال له لايجوز عندئذ بدا وإن كنت تجهل الشرع فأنا أعمل وكيلك وساروا إلى المحكمة فقالوا لأى شىء لم تطلق المرأة وتأخذ ماوقع عليه الشرط فتقدم إلى القاضى وقبل يده ووضع فيها خمسين دينارا وقال له يا مولانا القاضى فى أى مذهب أنى أتزوج فى العشاء وأطلق فى الصباح قهرًا عنى فقال القاضى لايجوز الطلاق بالاجبار فى أى مذهب من مذاهب المسلمين فقال أبو الصبية إن لم تطلق فادفع الصداق عشرة آلاف دينار فقال علاء الدين أمهلنى ثلاثة أيام فقال القاضى لاتكف ثلاثة أيام فى المهلة يمهلك عشرة أيام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة أيام أما المهر وإما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فأخذ اللحم والأرز والسمن ومايحتاج إليه الأمر من المأكل وتوجه إلى البيت فدخل على الصبية وحكى جميع ما جرى له ثم قامت وهيأت الطعام وأحضرت السفرة فأكلا وشربا وتلذذا وطربا فبينما هما فى حظ ومزاج وبسط وانشراح وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فوجد أربعة دراويش بالباب واقفين فقال لهم أى شىء تطلبون فقالوا له يا سيدى نحن دراويش غرباء الديار وقوت أرواحنا السماع ورقائق الأشعار ومرادنا أن نرتاح عندك هذه الليلة إلى وقت الصباح فقال لهم على مشورة ثم طلع وأعلمها فقالت له افتح لهم الباب وأطلعهم وأجلسهم ورحب بهم فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التى كانت تعمل النوبة جارية بيضاء أو سوداء أو بنت ناس فقال لهم هذه زوجتى وحكى لهم جميع ماجرى له وقال لهم إن نسيبى عمل على عشرة آلاف دينار مهرها وأمهلونى عشرة أيام فقال درويش منهم لاتحزن ولا تأخذ فى خاطرك إلا الطيب فأنا شيخ التكية وتحت يدى أربعون درويشًا أحكم عليهم وسوف أجمع لك العشرة آلاف دينار منهم وتوفى المهر الذى عليك لنسيبك ولكن أمرها أن تعمل لنا نوبة لأجل أن ننحظ ويحصل لنا انتعاش فإن السماع لقوم كالغداء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الأربعة هم الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكى وأبو نواس الحسن بن هانئ ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت أن الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير إن مرادنا أن ننزل ونشق فى المدينة لأنه حاصل عندى ضيق صدر فلبسوا لبس

الدراويش ونزلوا فى المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فأحبوا أن يعرفوا حقيقة الأمر ثم إنهم باتوا فى حظ ونظام ومناقلة كلام إلى أن أصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم أخذوا خاطره وتوجهوا إلى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار



(زبيدة العودية وهى تضرب على العود)

تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التى وجدتها تحت السجادة لأن الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس عندى علم بذلك فأخذها علاء الدين وذهب إلى السوق واشترى منها اللحم بالأرز والسمن وجمع ما يحتاج إليه وفى ثانى ليلة قاد الشمع ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

***

الليلـــة (٢٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين قاد الشمع فى ثانى ليلة وقال لزوجته زبيدة إن الدراويش لم يأتوا بالعشرة آلاف دينار التى وعدونى بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما فى



الكلام وإذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له انزل افتح لهم ففتح لهم وطلعوا فقال لهم هل أحضرتم العشرة آلاف دينار التى وعدتمونى بها فقالوا له ما تيسر منها شىء ولكن لاتخش بأسا إن شاء الله فى غد نطبخ طبخة كيمياء وأمر زوجتك أن تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فإننا نحب السماع فعملت لهم نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا فى هناء وسرور ولم يزالوا يأتون إليها على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار إلى أن أقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب فى انقطاعهم أن الخليفة أرسل إلى رجل عظيم من التجار وقال له أحضر لى خمسين حملا من الأقمشة التى تجىء من مصر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٩٧)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لذلك التاجر أحضر لى خمسين حملا من القماش الذى يجىء من مصر يكون كل حمل ثمنه ألف دينار واكتب على كل حمل ثمنه وأحضر لى عبدًا حبشيًا فأحضر له التاجر جميع ما أمره به ثم إن الخليفة أعطى العبد طشتًا وإبريقًا من الذهب وهدية والخمسين حملا هذا ما كان من أمره (وأما) [illegible] عم الصبية فإنه توجه إلى أبيها وقال له تعالى نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمى [illegible] وسار وهو وياه وتوجها إلى علاء الدين فلما وصلا إلى البيت وجد خمسين بغلا وعليها خمسون حملا من القماش وعبدًا راكبًا بغلة فقالا له لمن هذه الأحمال فقال لسيدى علاء الدين أبى الشامات فإن أباه كان جهز له متجرًا وسفره إلى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فأخذوا ماله وأحماله فبلغ الخبر إلى أبيه فأرسلنى إليه بأحمال عوضها وأرسل له معى بغلا عليه خمسون ألف دينار وبقجة تساوى جملة من المال وكرك سمور وطشتا وإبريقا من الذهب فقال له أبو البنت هذا نسيبى وأنا أدلك على بيته فبينما علاء الدين قاعد فى البيت وهو فى غم شديد وإذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يازبيدة الله أعلم إن أباك [illegible] رسولا من [illegible]

طرف الوالى فقالت له أنزل وانظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار ووجد عبدًا حبشيًا أسمر اللون حلو المنظر راكبًا فوق بغلة فنزل العبد وقبل يده فقال له أى شىء تريد فقال له أنا عبد سيدى علاء الدين أبى الشامات بن شمس الدين شاه بندر التجار بأرض مصر وقد أرسلنى إليه أبوه وهذه الأمانة ثم أعطاه الكتاب فأخذه علاء الدين وفتحه وقرأه فرأى مكتوبًا فيه :

بعد السلام والتحية والإكرام من شمس الدين إلى ولده علاء الدين أبى الشامات أعلم ياولدى أنه بلغنى خبر قتل رجالك ونهب أموالك وأحمالك فأرسلت إليك غيرها هذه الخمسين حملا من القماش المصرى والبدلة والكرك والسمور والطشت الإبريق الذهب ولا تخش بأسا والمال فداؤك ياولدى وبلغنى ياولدى خبر وهو أنهم عملوا محللا للبنت زبيدة العودية وعلموا عليك مهرها خمسين ألف دينار فهى واصلة إليك صحبة الأحمال مع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الأحمال ثم التفت إلى نسيبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٩٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما التفت إلى نسيبه قال له يانسيبى خذ الخمسين ألف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الأحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لى رأس المال فقال له لا والله لا آخذ شيئًا وأما مهر زوجتك فاتفق أنت وإياها من جهته فقام علاء الدين وفتح الصندوق وعطاها إياه فقال الولد ابن عم البنت يا عم خل علاء الدين يطلق لى امرأتى قال له هذا شىء ما بقى يصح أبدًا والعصمة بيده فراح الولد مهمومًا مقهورًا ورقد فى بيته ضعيفًا فكانت القاضية فمات وأما علاء الدين فإنه طلع إلى السوق بعد أن أخذ الأحمال وأخذ ما يحتاج إليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظامًا مثل كل ليلة وقال لزبيدة انظرى هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا وأخلفوا وعدهم فقالت له أنت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك



قصيرة عن نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها أغنانا الله عنهم ولكن مابقيت أفتح لهم الباب إذا أتوا إلينا فقالت له لأى شىء والخبرماجاءنا إلا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السجادة مائة دينار فلابد أن تفتح لهم الباب إذا جاءوا فلما ولى النهار بضيائه وأقبل الليل قاد الشمع وقال لها يازبيدة قومى اعملى لنا نوبة وإذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرآهم الدراويش فقال مرحبًا بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه وأجلسهم وجاء لهم بسفرة الطعام فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك قالوا له ياسيدى إن قلوبنا عليك مشغولة أى شىء جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض الله علينا بما فوق المراد فقالوا له والله إنا كنا خائفين عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدراويش قالوا لعلاء الدين والله إنا كنا خائفين عليك وما منعنا إلا قصر أيدينا عن الدراهم فقال لهم قد أتانى الفرج القريب من ربى ثم إن الخليفة قام يزيل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له إلزام الأدب فإنك فى حضرة أمير المؤمنين فقال له أى شىء وقع منى من قلة الأدب فى حضرة أمير المؤمنين ومن هو أمير المؤمنين منكم فقال له إن الذى يكلمك وقام يزيل الضرورة هو أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وأنا الوزير جعفر وهذا مسرور سياف نقمته وهذا أبو نواس الحسن بن هانئ فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم فى السفر من مصر إلى بغداد فقال له خمسة وأربعون يومًا فقال له أن حمولك نهبت من منذ عشرة أيام فقط فكيف يروح الخبر لأبيك ويحزم لك الأحمال وتقطع مسافة خمسة وأربعين يومًا فى العشرة أيام فقال له ياسيدى ومن أين أتانى هذا فقال له من عند الخليفة أمير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم فى هذا الكلام وإذا بالخليفة قد أقبل فقام علاء الدين وقبل الأرض بين يديه وقال له الله يحفظك يا أمير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك وإحسانك فقال ياعلاء الدين خلى زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة

السلامة فعملت نوبة على العودة من غرائب الموجود إلى أن طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود فى الحضرة ياداود فباتوا على أسر حال إلى الصباح فلما أصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين فى غدا اطلع الديوان فقال له سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى وأنت بخير ثم إن علاء الدين أخذ عشرة أطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فى ثانى يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسى فى الديوان وإذا بعلاءالدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين :

تصحبك السعادة كل يوم ... بإجلال على رغم الحسود

ولا زالت لك الأيام بيضا ... وأيام الذى عاداك سود

فقال له الخليفة مرحبًا يا علاء الدين فقال علاء الدين يا أمير المؤمنين إن النبى ﷺ قبل الهدية وهذه العشرة أطباق وما فيها هدية منى إليك فقبل منه ذلك أمير المؤمنين وأمر له بخلعة وجعله شاه بندر التجار وأقعده فى الديوان فلما انفض الديوان نزل الوالى بالمنادى بين يدى علاء الدين وصار المنادى يقول ماشاه بندر التجار إلا سيدى علاء الدين أبو الشامات فلما أصبح الصباح فتح دكانا للعبد وأجلسه فيها يبيع ويشترى وأما علاء الدين فإنه كان يركب ويتوجه إلى مرتبته فى ديوان الخليفة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين كان يركب ويتوجه إلى ديوان الخليفة فاتفق أنه جلس فى مرتبته يومًا على عادته فبينما هو جالس وإذا بقائل يقول للخليفة يا أمير المؤمنين تعيش رأسك فى فلان النديم فإنه توفى إلى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة أين علاء الدين أبو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له حامكية ألف دينار فى كل شهر وأقام عنده يتنادم معه فاتفق أنه كان جالسًا يومًا من الأيام فى مرتبته على عادته فى خدمة الخليفة وإذا بأمير طالع إلى الديوان بسيف وترس وقال يا أمير



المؤمنين تعيش رأسك رئيس الستين فإنه مات فى هذا اليوم فأمر الخليفة لعلاء الدين أبى الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين له ولد له ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله ثم إن علاء الدين مكث فى خدمة الخليفة مدة أيام فاتفق أن علاء الدين نزل من الديوان يوما من الأيام وسار إلى بيته وصرف أحمد الدنف هو ومن معه إلى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة والعودية وقد أوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس فى مكانه إذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعًا لينظر الذى صرخ فرأى صاحب الصرخة زبيدة العودية وهى مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها مينة وكان بيت أبيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر يا سيدى علاء الدين فقال له تعيش رأسك يا والدى فى بنتك زبيدة العودية ولكن ياوالدى إكرام الميت دفنه فلما أصبح الصباح واروها فى التراب وصار علاء الدين يعزى أباها وأباها يعزيه هذا ما كان من أمر زبيدة العودية (وأما) ما كان من أمر علاء الدين فإنه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وهو باكى العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر ياوزير ماسبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير يا أمير المؤمنين إنه حزين القلب على امرأته زبيدة مشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير واجب علينا أن نعزيه فقال الوزير سمعًا وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير وبعض الخدم وركبوا وتوجهوا إلى بيت علاء الدين فبينما هو جالس وإذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فقام للتقاهم وقبل الأرض بين يدى الخليفة فقال له الخليفة عوضك الله خيرًا فقال علاء الدين أطال الله لنا بقاءك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة ياعلاء الدين ماسبب انقطاعك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لعلاءالدين ماسبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزنى على زوجتى زبيدة يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فإنها ماتت إلى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيدك شيئًا أبدًا فقال يا أمير المؤمنين أنا لا أترك الحزن

عليها إلا إذا مت ودفنونى عندها فقال له الخليفة فى الله عوضًا من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله در من قال :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يومًا على آلة حدباء محمول
وكيف يلهو بعيش أو يلذ به   من التراب على خديه مجعول

ولما فرغ الخليفة من تعزيته أوصاه أنه لا ينقطع عن الديوان وتوجه إلى محله ثم بات علاء الدين ولما أصبح الصباح ركب وسار إلى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الأرض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسى ورحب به وحياه وأنزله فى منزلته وقال له ياعلاء الدين أنت ضيفى فى هذه الليلة ثم دخل به سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها إن علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فماتت إلى رحمة الله تعالى ومرادى أن تسمعيه نوبة على العودة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٢)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادى أن تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود ولأجل أن يتسلى عن الهم والأحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ماتقول ياعلاء الدين فى صوت هذه الجارية فقال له إن زبيدة أحسن صوتًا منها لأنها صاحبة صناعة فى ضرب العود لأنها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هى أعجبتك فقال له أعجبتنى يا أمير المؤمنين فقال الخليفة وحياة رأسى وتربة جدودى إنها هبة منى إليك هى وجواريها فظن علاء الدين أن الخليفة يمزح معه ثم تحول الخليفة من قصر السراية إلى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم نقلوا أمتعة قوت القلوب وحطوها فى التختروان هى وجواريها إلى بيت علاء الدين فنقلوها هى وجواريها وأمتعتها إلى بيت علاء الدين وأدخلوها القصر هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قوت القلوب فإنها لما دخلت قصر علاء الدين هى وجواريها وكانوا أربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية أحد كما يقعد على كرسى فى ميمنة



الباب والثانى يقعد على كرسى ميسرته وحين يأتى علاء الدين قبلا يديه وقولا له إن سيدتنا قوت القلوب تطلبك إلى القصر فإن الخليفة وهبها لك هى وجواريها فقالا لها سمعًا وطاعة ثم فعلا ما أمرتهما فلما أقبل علاء الدين قاموا إليه وقبلوا يديه وقالوا نحن أتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهى تسلم عليك وتقول لك إن الخليفة قد وهبها لك هى وجواريها وتطلبك عندها فقال لهم قولوا لها مرحبا بك ولكن مادمت عنده ما يدخل القصر الذى أنت فيه لأن ما كان للمولى لايصلح أن يكون للخدام وقولا لها مامقدار مصروفك عند الخليفة فى كل يوم فطلعوا إليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال فى نفسه أنا ليس لى حاجة بأن يهب لى الخليفة قوت القلوب حتى أصرف عليها هذا المصروف ولكن لاحيلة فى ذلك ثم إنها قامت عنده مدة أيام وهو مرتب لها فى كل يوم مائة دينار إلى أن انقطع علاء الدين عن الديوان يومًا من الأيام فقال الخليفة للوزير جعفر أنا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين إلا لتسليه عن زوجته وماسبب انقطاعه عنا فقال يا أمير المؤمنين لقد صدق من قال من لقى أحبابه نسى أصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا إلا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بأيام قال علاء الدين للوزير أنا شكوت للخليفة ما أجده من الحزن على زوجتى زبيدة العودية فوهب لى قوت القلوب فقال له الوزير لولا أنه يحبك ما وهبها لك فقال له الخليفة وهل دخلت بها ياعلاء الدين فقال لا والله يا أمير المؤمنين الذى يصلح للمولى لايصلح للخدام وإنى إلى الآن ما دخلت عليها ولا أعرف لها طولا من عرض فأقلنى منها فقال الخليفة إن مرادى الاجتماع بها حتى أسألها حالها فقال علاء الدين سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الأرض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا أمير المؤمنين وقد أرسلت اطلبه للدخول فلم يرض فأمر الخليفة برجوعها إلى السراية وقال لعلاء الدين لاتنقطع عنا ثم توجه الخليفة إلى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما أصبح ركب وسار إلى الديوان فجلس

فى رتبة رئيس الستين فأمر الخليفة الخازندار أن يعطى للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فأعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير ألزمتك أن تنزل إلى سوق الجوارى وتشترى لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير أمر الخليفة وأخذ معه علاء الدين وسار به إلى سوق الجوارى فاتفق فى هذا اليوم أن والى بغداد الذى من طرف الخليفة وكان إسمه الأمير خالدى نزل إلى السوق لأجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك أنه كان له زوجة تسمى خاتون وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظة فلأمر قدره الله تعالى أن اليوم الذى نزل فيه الوزير وعلاء الدين إلى السوق نزل فيه الأمير خالد الوالى هو وولده حبظلم بظاظة فبينما هم فى السوق وإذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال فى يد رجل دلال فقال الوزير شاور يا دلال عليها بألف دينار فمر بها على الوالى فرآها حبظلم بظاظه فقال يادلال كم معك من الثمن قال ألف دينار قال على بألف دينار ودينار فجاء لعلاء الدين فعملها بألفين فصار كلما يزيد ابن الوالى ديناراً فى الثمن يزيد علاء الدين ألف دينار فاغتاظ ابن الوالى وقال يادلال من يزيد ثمن الجارية فقال له الدلال إن الوزير جعفر يريد أن يشتريها لعلاء الدين أبى الشامات فعملها علاء الدين بعشرة آلاف دينار فسمح له سيدهاوقبض ثمنها وأخذها علاء الدين وقال لها أعتقتك لوجه الله تعالى ثم إنه كتب كتابه عليها وتوجه بها إلى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه ابن الوالى وقال له أين الجارية فقال له اشتراها علاء الدين بعشرة آلاف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها فانكمد ابن الوالى وزادت به الحسرات ورجع ضعيفاً إلى البيت من محبته لها وأرتمى على الفراش وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت أمه بعصائب الحزن فبينما هى جالسة فى بيتها حزينة على ولدها وإذا بعجوز دخلت عليها اسمها أم أحمد قماقم السراق فقالت لها سلامة ولدك ما الذى أصابه فحكت لها الحكاية فقالت لها العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفا يكون فيه سلامة ولدك فقالت لها وما الذى تفعليه فقالت أنا لى ولد يسمى أحمد قماقم السراق وهو مقيد فى السجن مكتوب على قيده مخلد إلى الممات فأنت تقومين وتلبسين أفخر ما عندك وتتزينين بأحسن الزينة وتقابلين زوجك ببشر وبشاشة فإذا طلب منك ما يطلب الرجال من النساء فامتنعى منه ولا تمكنيه إلا إن حلف لك بالطلاق فإذا حلف لك بالطلاق فقولى له عندك فى السجن واحد مقدم اسمه أحمد



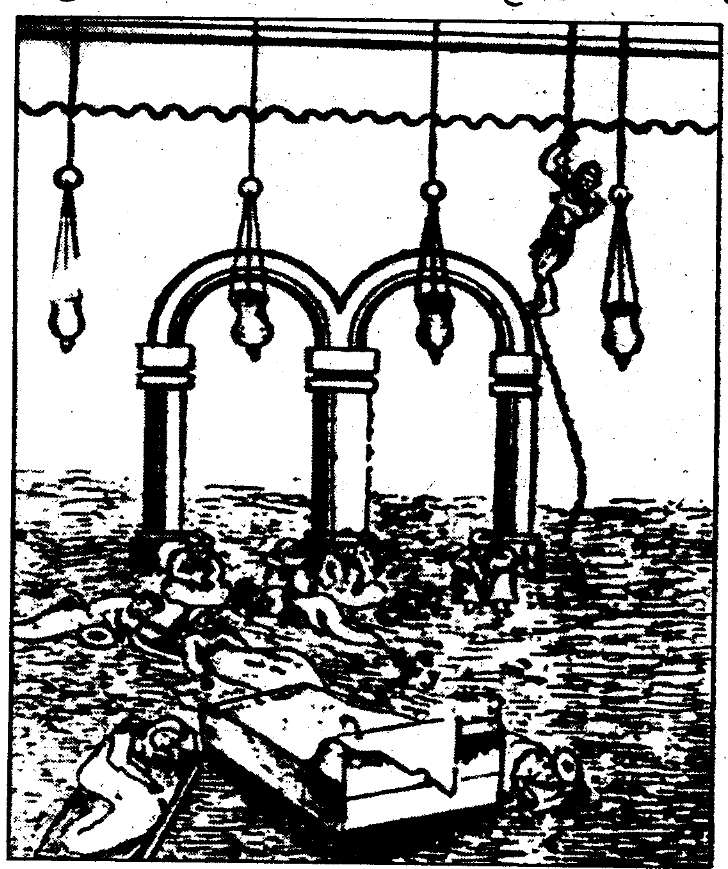
قماقم وله أم مسكينة وقد وقعت على وساقتنى عليك وقالت له خليه يشفع له عند الخليفة لأجل أن يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعًا وطاعة فلما دخل الوالى على زوجته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوالى لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف لها بالطلاق فمكنته ولما أصبح الصباح اغتسل وصلى الصبح وجاء إلى السجن وقال يا أحمد قماقم يا سراق هل تتوب مما أنت فيه فقال إنى تبت إلى الله ورجعت وأقول بالقلب واللسان أستغفر الله فأطلقه الوالى من السجن وأخذه معه إلى الديوان وهو فى القيد ثم تقدم إلى الخليفة فقال الخليفة لأحمد قماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت إلى الله يا أمير المؤمنين فأمر بإحضار الحداد وفك قيده على دكة المغسل وجعله مقدم الدرك وأوصاه بالمشى الطيب والاستقامة فقبل يد الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان فى منصبه ثم دخلت عليها زوجة الوالى فقالت لها الحمد لله الذى خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلأى شىء لم تقولى له يدبر أمرًا فى مجيئه بالجارية ياسمين إلى ولدى حبظلم بظاظة فقالت أقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكرانًا فقالت له ياولدى ماسبب خلاصك من السجن إلا زوجة الوالى وتريد منك أن تدبر لها أمرًا فى قتل علاء الدين أبى الشامات وتجىء بالجارية ياسمين إلى ولدها حبظلم بظاظة فقال لها هذا أسهل ما يكون ولابد أن أدبر أمرًا فى هذه الليلة وكانت تلك الليلة أول ليلة فى الشهر الجديد وعادة أمير المؤمنين أن يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية أو مملوك أو نحو ذلك وكان من عادة الخليفة أن يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسى فى قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة فى سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزاً عند الخليفة ثم إن الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقى الأمتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر أحمد قماقم السراق ولما انتصف الليل وأضاء سهيل

ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه فى يمينه وأخذ ملقفه فى يساره وأقبل على قاعة الجلوس التى للخليفة ونصب سلم التسليم ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم إلى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشية نائمين فبنجهم وأخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذى بالجواهر ثم نزل من الموضع الذى طلع منه وسار إلى بيت علاء الدين أبى الشامات وكان علاء الدين فى هذه الليلة مشغولا بفرح الجارية فدخل عليها وراحت منه حاملا فنزل أحمد قماقم السراق على قاعة علاءالدين وقلع لوحا رخامًا من دار القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح



(أحمد السراق وهو نازل على سلم التسليم فى قاعة جلوس الخليفة والطواشية نائمون فيها)



وأبقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان نزل من الموضع الذى طلع منه وقال فى نفسه أنا أقعد أسكر وأحط المصباح قدامى وأشرب الكأس على نوره ثم صار إلى بيته فلما أصبح الصباح ذهب الخليفة إلى القاعة فوجد الطواشية مبنحين فأيقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظًا شديدًا ولبس بدلة الغضب وهى بدلة حمراء وجلس فى الديوان فتقدم الوزير وقبل الأرض بين يديه وقال يكفى الله شر أمير المؤمنين فقال له ياوزير إن الشر فايض فقال له الوزير أى شىء حصل فحكى له جميع ما وقع وإذا بالوالى طالع وفى ركابه أحمد قماقم السراق فوجد الخليفة فى غيظ عظيم فلما نظر الخليفة إلى الوالى قال له يا أمير خالد كيف حال بغداد فقال له سالمة أمينة فقال له تكذب فقال له لأى شىء يا أمير المؤمنين فقص عليه القصة وقال له ألزمتك أن تجىء لى بذلك كله فقال له يا أمير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب أن يصل إلى هذا المحل أبدًا فقال إن لم تجئ لى بهذه الأشياء قتلتك فقال له قبل أن تقتلنى اقتل أحمد قماقم السراق فإنه لا يعرف الحرامى والخائن إلا مقدم الدرك فقام أحمد قماقم وقال للخليفة شفعنى فى الوالى وأنا أضمن لك عهدة الذى سرق وأقص الأثر وراءه حتى أعرفه ولكن أعطنى اثنين من طرف القاضى واثنين من طرف الوالى فإن الذى فعل هذا الفعل لايخشاك ولايخشى من الوالى ولا من غيره فقال الخليفة وحياة رأسى كل من ظهرت عليه هذه العملة لابد من قتله ولو كان ولدى ثم إن أحمد أخذ ما أراده وأخذ فرمانًا بالهجوم على البيوت وتفتيشها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أحمد قماقم أخذ ما أراده وأخذ فرمانًا بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من النحاس وثلثه من الحديد ومن الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب إلى أن مر على بيت علاء الدين أبى الشامات فلما سمع الضجة قدام بيته قام من عند ياسمين زوجته

ونزل فتح الباب فوجد الوالى فى كوكبة فقال له ما الخبر يا أمير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين ادخلوا بيتى وفتشوه قال الوالى العفو يا سيدى أنت أمين وحاشا أن يكون الأمين خائنًا فقال له لابد بدمن تفتيش بيتى فدخل الوالى والقضاة والشهود وتقدم أحمد قماقم إلى دار قاعة القاعة وجاء إلى الرخامة التى دفن تحتها الأمتعة وأرخى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة وإذا بشىء ينور تحتها فقال المقدم بسم الله ماشاء الله على بركة قدومنا انفتح الباب أريد أن أنزل إلى هذا المطلب وأنظر ما فيه فنظر القاضى والشهود إلى ذلك المحل فوجدوا الأمتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها إنهم وجدوا الأمتعة فى بيت علاء الدين ثم وضعوا فى تلك الورقة ختومهم وأمروا بالقبض على علاء الدين وأخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه فى قائمة وقبض أحمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملا من علاء الدين وأعطاها لأمه وقال لها سلميها لخاتون امرأة الوالى فأخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالى فلما رآها حبظلم بظاظة جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحًا شديداً وتقرب إليها فسحبت خنجراً من حياصتها وقالت له ابعد عنى وإلا أقتلك وأقتل نفسى فقالت أمه خاتون يا عاهرة خلى ولدى يبلغ منك مراده فقالت لها ياكلبة فى أى مذهب أن يجوز للمرأة أن تتزوج باثنين فزاد بالولد الغرام وأضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوساد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حبظلم بظاظة قطع الزاد ولزم الوساد فقالت لها امرأة الوالى يا عاهرة كيف تحسرينى على ولدى لابد من تعذيبك فقامت زوجة الوالى ونزعت ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبستها لباسا من الخيش وقميصًا من الشعر وأنزلتها فى المطبخ وعملتها من الجوارى هذا ما كان من أمر ياسمين (وأما) ماكان من أمر علاء الدين أبى الشامات فإنهم أخذوه وهو وأمتعة الخليفة وساروا به إلى أن وصلوا الديوان فبينما الخليفة جالسا



على الكرسى وإذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الأمتعة فقال الخليفة أين وجدتموها فقالوا فى وسط بيت علاء الدين أبى الشامات فامتزج الخليفة بالغضب وأخذ الأمتعة فلم يجد المصباح فقال ياعلاء الدين أين المصباح فقال أنا ماسرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معى خبر فقال يا خائن كيف أقربك إلى وتبعدنى عنك وأستأمنك وتخوننى ثم أمر بشنقه هذا ما كان من أمر علاء الدين (وأما) ما كان من أمر أحمد الدنف كبير علاء الدين فإنه كان قاعداً هو وأتباعه على بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور وإذا برجل سقا من السقاءين الذين فى الديوان دخل عليهم وقبل يد أحمد الدنف فقال له أحمد الدنف ما الخبر فقال السقا إن ولدك فى عهد الله علاء الدين نزلوا به على المشنقة فقال أحمد الدنف ماعندك من الحيلة ياحسن شومان فقال خلاصه علينا إن شاء المولى ثم إن حسن شومان ذهب إلى السجن وقال للسجان أعطنا واحداً يكون مستوجبا للقتل فأعطاه واحد وكان أشبه البرايا بعلاء الدين أبى الشامات فأخذ المشاعلى ذلك الرجل وشنقه عوضًا عن علاء الدين ثم إن أحمد الدنف وعلى الزيبق المصرى أخذا علاء الدين وسارا به إلى قاعة أحمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيراً يا كبيرى فقال له أحمد الدنف ما هذا الفعل الذى فعلته . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذى فعلته رحم الله من قال من ائتمنك فلا تخونه ولو كنت خائنًا فقال علاء الدين والاسم الأعظم ياكبيرى ماهى عملتى ولا لى فيها ذنب ولا أعرف من عملها فقال أحمد إن هذه العملة ماعملها إلا عدو مبين ومن فعل شيئًا يجازى به ولكن ياعلاء الدين أنت ما بقى لك إقامة فى بغداد فإن الملوك لاتعادى ياولدى ومن كانت الملوك فى طلبه يطول تعبه فقال علاء الدين أين أروح ياكبيرى فقال له أنا أوصلك إلى الإسكندرية فإنها مباركة وعتبتها خضراء وعيشتها هنيئة

فقال له سمعًا وطاعة يا كبيرى فقال أحمد الدنف لحسن شومان خل بالك وإذا سأل عنى الخليفة فقل له راح يطوف على البلاد ثم أخذه وخرج من بغداد ولم يزالوا سائرين حتى وصلا إلى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال أحمد الدنف لليهوديين

(السقا وهو يقول لأحمد الدنف الحق علاء الدين نازلين به المشنقة)



هاتوا الغفر فقال اليهوديان نعطيك الغفر على شيء فقال لهم أنا غفير هذا الوادى فأعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلهما أحمد الدنف وأخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا إلى مدينة أياس فأدخلا البغلتين فى خان وباتا فيه ولما أصبح الصباح باع علاء الدين بغلته وأوصى البواب على بغلة أحمد الدنف ونزل فى مركب من مينة أياس حتى وصلا إلى الإسكندرية فطلع أحمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا فى السوق وإذا بدلال يدلل على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين على بألف فسمح له البائع وكان لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلا فيه قلاع وصولر وحبال وصناديق وأجربة ملآنة خرزا وودعا وركابات وأطيار ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لأن صاحبه كان سقطيا فقعد علاء الدين أبو الشامات فى الدكان وقال له أحمد الدنف ياولدى الدكان والطبقة صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشترى ولاتنكرى فإن الله تعالى بارك فى التجارة وأقام عنده ثلاثة أيام ثم توجه مسافراً حتى وصل إلى أياس فأخذ البغلة من الخان وسار إلى بغداد فاجتمع شومان وأتباعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أحمد الدنف اجتمع بحسن شومان وأتباعه وقال ياحسن هل الخليفة سأل عنى فقال لا ولاخطرت على باله فقام فى خدمة الخليفة وصار يستنشق الأخبار فرأى الخليفة التفت إلى الوزير جعفر يومًا من الأيام وقال له انظر ياوزير هذه العملة التى فعلها معى علاء الدين فقال له يا أمير المؤمنين أنت جازيته بالشنق وجزاؤه ماحل به فقال له ياوزير مرادى أن أنزل وأنظر وهو مشنوق فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين أبى الشامات الثقة الأمين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت أنه غيره فقال له علاء الدين كان أبيض وهذا وجهه أسود فقال له

سبحان الله علام الغيوب ونحن لانعلم هل هذا علاء الدين أو غيره فأمر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسيا منسيا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر حبظلم بظاظة ابن الوالى فإنه قد طال به الشبق والغرام حتى مات وواروه فى التراب (وأما) ما كان من أمر الجارية ياسمين فإنها وقت حملها ولحقها الطلق فوضعت ذكراً كأنه القمر فقال لها الجوارى ماتسميه فقالت لو كان أبوه طيبا كان سماه ولكن أنا أسميه أصلان ثم إنها أرضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبى عامين فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الأمير خالد الوالى جالسًا فأخذه وأقعده فى حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرآه شبه البرايا بعلاء الدين أبى الشامات ثم إن أمه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الأمير خالد جالسًا والولد فى حجره يلعب وقد ألقى الله محبة الولد فى قلب الأمير خالد فالتفت الولد فرأى أمه فرمى نفسه عليها فزنقه الأمير خالد فى حضنه وقال لها تعالى ياجارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت هذا ولدى وثمرة فؤادى فقال لها ومن أبوه فقالت أبوه علاء الدين أبو الشامات والآن صار ولدك فقال لها إن علاء الدين خائنًا فقالت سلامته من الخيانة حاشا وكلا أن يكون الأمين خائنًا فقال لها إذا كبر هذا ونشأ الولد وقال لك من أبى فقولى له أنت ابن الأمير خالد صاحب الشرطة فقالت له سمعًا وطاعة ثم إن الأمير خالد طاهر الولد ورباه وأحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ وأعاد وختم وصار يقول للأمير خالد ياوالدى وصار الوالى فى الميدان يجمع الخيل وينزل يعلم الولد أرباب الحروب ومقام الطعن والضرب إلى أن انتهى فى الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر أربع عشرة سنة ووصل إلى درجة الإمارة فاتفق أن أصلان اجتمع مع أحمد قماقم السراق يومًا من الأيام وصار أصحابًا فتبعه إلى الخمارة وإذا بأحمد قماقم السراق أطلع المصباح الجوهر الذى أخذه من أمتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكأس على نوره وسكر فقال له أصلان يامقدم أعطنى هذا المصباح فقال له لا أقدر أن أعطيك إياه فقال له لأى شىء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٣٠٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أصلان قال لأحمد قماقم لأى شىء فقال لأنه راحت على شأنه الأرواح فقال له أى روح راحت على شأنه فأخبره بالقصة من أولها إلى آخرها وأعلمه بضعف حبظلم بظاظة وما وقع لعلاء الدين ظلمًا فقال أصلان فى نفسه لعل هذه الجارية ياسمين أمى وما أبى إلا علاء الدين أبو الشامات فطلع الولد أصلان من عنده حزينًا ثم دخل على أمه وسألها فقالت له أبوك الأمير خالد فقام لها ما أبى إلا علاء الدين أبوالشامات فبكت أمه وقالت له من أخبرك بهذا يا ولدى فقال المقدم أحمد الدنف أخبرنى بذلك فحكت له جميع ما جرى وقالت يا ولدى قد اظهر الحق واختفى الباطل واعلم أن أباك علاء الدين أبو الشامات إلا أنه ما رباك إلا الأمير خالد وجعلك ولده فيا ولدى إن اجتمعت بالمقدم أحمد الدنف قل له ياكبيرى سألتك بالله أن تأخذ لى ثأرى من قاتل أبى علاء الدين أبى الشامات فطلع من عندها وسار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أصلان طلع من عند أمه وسار إلى أن دخل على المقدم أحمد الدنف وقبل يده فقال له مالك يا أصلان فقال له إنى عرفت وتحققت أن أبى علاء الدين أبو الشامات ومرادى أنك تأخذ لى ثأرى من قاتله فقال له من الذى قتل أباك فقال له أحمد قماقم السراق فقال ومن أعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذى ضاع من جملة أمتعة الخليفة وقلت له أعطنى هذا المصباح فما رضى وقال لى هذا راحت على شأنه الأرواح وحكى أنه هو الذى نزل وسرق العملة ووضعها فى دار أبى فقال له أحمد الدنف إذا رأيت الأمير خالد الوالى يلبس لباس الحرب فقل له ألبسنى مثلك فإذا طلعت معه وأظهر بابا من أبواب الشجاعة قدام أمير المؤمنين فإن الخليفة يقول لك تمن على يا أصلان فقل له أتمنى عليك أن تأخذ ثأر أبى من قاتله فيقول لك إن أباك حى وهو الأمير خالد فقل له إن أبى علاء

الدين أبوالشامات وخالد الوالى له على حق التربية فقط وأخبره بجميع ما وقع بينك وبين أحمد قماقم السراق وقل له يا أمير المؤمنين أؤمر بتفتيشه وأنا أخرجه من جيبه فقال له سمعًا وطاعة ثم طلع أصلان فوجد الأمير خالد يتجهز إلى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادى أن تلبسنى لباس الحرب مثلك وتأخذنى معك إلى ديوان الخليفة فألبسه وأخذه معه إلى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلع بالأكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الأكرة بالصولجان فيردها عليه الفارس الثانى وكان بين العسكر واحد جاسوس مغرى على قتل الخليفة فأخذ الأكرة بالصولجان وحررها على وجه الخليفة وإذا بأصلان استلقاها عن الخليفة وضرب بها راميها فوقعت بين أكتافه فوقع على الأرض فقال الخليفة بارك الله فيك يا أصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسى وأمر الخليفة بإحضار الذى ضرب الأكرة فلما حضر بين يديه قال له من أغراك على هذا الأمر وهل أنت عدو أو حبيب فقال له أنا عدو وكنت مضمرًا قتلك فقال ما سبب ذلك أما أنت مسلم فقال لا وإنما أنا رافضى فأمر الخليفة بقتله وقال لأصلان تمن على فقال له أتمنى عليك أن تأخذ لى ثار أبى من قاتله فقال له إن أباك كان خائنًا فقال يا أمير المؤمنين حاشا أن يكون الأمين خائنًا ولكن ياسيدى لما عدمت بدلتك وعادت إليك هل رأيت المصباح رجع إليك أيضًا فقال وما وجدناه فقال أنا رأيته مع أحمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لى فقال الخليفة اقبضوا على أحمد قماقم فقبضوا عليه وقال أين المقدم أحمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فحط يده فى جيبه فأطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعالى ياخائن من أين لك هذا المصباح فقال له اشتريته يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة من أين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فأقر أنه هو الذى سرق البدلة والمصباح فقال الخليفة لأى شىء تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين أبا الشامات وهو الثقة الأمين ثم أمر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالى فقال أنا فى جيرتك يا أصلان فتشفع فيه أصلان عند الخليفة ثم قال أمير المؤمنين ما فعل الله بأم هذا الولد فقال له عندى فقال له أمرتك أن تأمر زوجتك أن تلبسها بدلتها وصيغتها وتردهما إلى سيادتها وأن تفك الختم الذى على بيت علاء الدين وتعطى ابنه رزقه وماله فقال سمعا وطاعة ، ثم قال الخليفة تمن على يا أصلان فقال له



تمنيت عليك أن تجمع شملى بأبى فبكى الخليفة وقال الغالب أن أباك هو الذى شنق ومات ولكن وحياة جدودى كل من يشرنى بأنه على قيد الحياة أعطيته جميع ما يطلبه فتقدم أحمد الدنف وقبل الأرض بين يديه وقال له أعطنى الأمان يا أمير المؤمنين فقال له عليك الأمان فقال أبشرك أن علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين طيب على قيد الحياة فقال له ما الذى تقول فقال له وحياة رأسك إن كلامى حق وفديته بغيره فقال الخليفة ألزمتك أن تجىء به . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة قال لأحمد الدنف الزمتك أن تجىء به فقال سمعًا وطاعة فأمر له الخليفة بعشرة آلاف دينار وسار متوجهًا إلى الإسكندرية هذا ما كان من أمر أصلان (وأما) ما كان من أمر والده علاء الدين أبى الشامات فإنه باع ما كان عنده فى الدكان جميعه ولم يبق فى الدكان لا القليل وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف فى سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه عليها أسماء وطلاسم فقال فى نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها فى الدكان وإذا بقنصل فائت فى الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له ياسيدى هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ماعندى للبيع فقال له أتبيعنى إياها بثمانين ألف دينار فقال له علاء الدين يفتح الله فقال له أتبيعها بمائة ألف دينار قال فأنقدنى الدنانير فقال له القنصل ما أقدر أن أحمل ثمنها معى والإسكندرية فيها حرامية وشرطية فأنت تروح معى إلى مركبى وأعطى لك الثمن فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد أن أعطاه الخرزة وأعطى المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك أمانة حتى أروح إلى المركب مع هذا القنصل وأجىء بثمن خرزتى فإن عوقت عنك وورد عليك المقدم أحمد الدنف الذى كان وطننى فى هذا المكان فأعطه المفاتيح وأخبره بذلك ثم توجه مع القنصل إلى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسيًا وأجلسه عليه

وقال هاتوا المال فدفع له الثمن وقال له يا سيدى أقصد جبرى بلقمة أو شربة ماء فقال إن كان عندك ماء فاسقنى فأمر بالشربات فإذا فيها بنج فلما شرب انقلب على ظهره فرفعوا الكرسى وحطوا المدارى وحلوا القلوع وأسعفتهم الرياح حتى وصلوا إلى وسط البحر فأمر القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشمموه ضد البنج ففتّح عينيه وقال أين أنا فقال له أنت معى مربوط وديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت أزيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له أنا قبطان ومرادى أن آخذك إلى حبيبة قلبى فبينما هما فى الكلام وإذا بمركب فيها أربعون من تجار المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب فى مراكبهم نزل هو ورجال فنهبوها وأخذها وساروا بها إلى مدينة جنوة فأقبل القبطان الذى معه علاء الدين إلى باب قصر قيطون وإذا بصبية نازلة وهى ضاربة لثامًا فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات الخرزة فأعطاها لها وتوجه إلى الميناء وضرب مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان فخرج إلى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جدًا وقد كسبت فيها مركبا فيها واحد وأربعون من تجار المسلمين فقال له أخرجهم إلى المدينة فى الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب الملك هو والقبطان وأمشوهم قدامهم إلى أن وصلوا إلى الديوان وقدموا أول واحد فقال له الملك من أين يامسلم فقال من الإسكندرية فقال ياسياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثانى والثالث وهكذا إلى تمام الأربعين وكان علاء الدين فى آخرهم فقال له الملك وأنت من أى البلاد فقال من الإسكندرية فقال ياسياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف وأراد أن يرمى رقبة علاء الدين وإذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين أيادى الملك فقام إليها تعظيمًا لها فقالت يا ملك أما قلت لك لما يجى القبطان بالأسارى تذكر الدير باسيرين يخدمان فى الكنيسة فقال لها يا أمى ليتك سبقت بساعة ولكن خذى هذا الأمير الذى فضل فالتفتت إلى علاء الدين وقالت له هل أنت تخدم فى الكنيسة أو أخلى الملك يقتلك فقال لها أنا أخدم فى الكنيسة فقالت له أن خدمت ووفيت الخدمة التى عليك خلصت من القتل وإن لم

توف خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان فى الكنيسة عشرة عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لى قصرية فأتى له فتغوط فيها وقال له ارم الغائط فرماه فقال له يبارك المسيح فيك ياخدام الكنيسة وإذا بالعجوز إذا اقبلت وقالت له لأى شىء ما وفيت الخدمة فى الكنيسة فقال لها أنا لى كم يد حتى أقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يامجنون أنا ماجئت بك للخدمة ثم قالت يا إبنى خذ هذا القضيب وكان من النحاس وفى رأسه صليب وأخرج إلى الشارع فإذا قابلك والى البلد فقل له إنى أدعوك إلى خدمة الكنيسة من أجل السيد المسيح فإنه لايخالفك ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك اضربه ولاتخف من أحد فقال سمعا وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الأكابر والأصاغر مدة سبعة عشرة عاما فبينما هو قاعد فى الكنيسة وإذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له اطلع إلى خارج الدير فقال لها لأى شىء تطردينى من الكنيسة فقالت له إن حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها أن تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغى أن تقعد فى طريقها فامتثل كلامها وقام وأراها أنه رائح إلى خارج الكنيسة وقال فى نفسه ياهل ترى بنت الملك مثل نسائنا أو أحسن منهن فأنا لا أروح حتى أتفرج عليها فأختفى فى مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر فى الكنيسة وإذا ببنت الملك مقبلة فنظر إليها نظرة أعقبته ألف حسرة لأنه وجدها كأنها البدر إذا بزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين لما نظر إلى بنت الملك ورأى صحبتها صبية وهى تقول لتلك الصبية آنست يازبيدة فأمعن علاء الدين النظرة فى تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التى كانت ماتت ثم إن بنت الملك قالت لزبيدة قومى اعملى لنا نوبة على العود فقالت لها أنا ما أعمل لك نوبة حتى تبلغينى مرادى وتفى لى بما وعدتنى به فقالت لها ما

الذى وعدتك به قالت وعدتينى بجمع شملى بزوجى علاء الدين أبى الشامات الثقة الأمين فقالت لها يازبيدة طيبى نفسا وقرى عينا وأعملى لنا نوبة حلاوة اجتماع شملك بزوجك علاء الدين فقالت لها وأين هو فقالت لها إنه هنا فى هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما وأخذ زوجته زبيدة العودية بالحضن وعرفته فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا على الأرض مغشيًا عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد ونبهتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها علاء الدين على محبتك ياسيدتى ثم التفت علاء الدين إلى زوجته زبيدة العودية وقال لها أنت قدمت يازبيدة ودفناك فى القبر فكيف حييت وجئت إلى هذا المكان فقالت له ياسيدى أنا مامت وإنما اختطفنى عون من أعوان الجان وطار بى إلى هذا المكان وأما التى دفنتموها فإنها جنية وتصورت فى صورتى وعملت أنها ميتة وبعدما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت إلى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك وأما أنا فإنى صرعت وفتحت عينى فرأيت نفسى عند حسن مريم بنت الملك وهى هذه فقلت لها لأى شىء جئت بى إلى هنا فقالت لى أنا موعودة بزواجى بزوجك علاء الدين أبى الشامات فهل تقبلينى يازبيدة أن أكون ضرتك ويكون لى ليلة ولك ليلة فقلت لها سمعًا وطاعة ياسيدتى ولكن أين زوجى فقالت إنه مكتوب على جبينه ماقدره الله عليه فمتى استوفى ماعلى جبينه لابد أن يجىء إلى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه المدة إلى أن جمع الله شملى بك فى هذه الكنيسة ثم إن حسن مريم التفتت إليه وقالت له يا سيدى علاء الدين هل تقبلنى أن أكون لك أهلا وتكون لى بعلا فقال لها ياسيدتى أنا مسلم وأنت نصرانية فكيف أتزوج بك فقالت حاش لله أن أكون كافرة بل إن مسلمة ولى ثمانية عشر عامًا متمسكة بدين الإسلام وإنى بريئة من كل دين يخالف دين الإسلام ثم إن حسن مريم جددت إسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها اخبرينى عن فضيلة هذه الخرزة من أين هى فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فصائل تنفعنا عند الاحتياج إليها وأن جدتى أم أبى كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما فى الكنوز فوقعت لها



هذه الخرزة من كنز فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر قرأت الإنجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد ﷺ فى الأربعة كتب التوراة والإنجيل والزبور والفرقان[1] فآمنت بمحمد وأسلمت وتحققت بعقلى أنه لايعبد بحق إلا الله تعالى وإن رب الآنام لا يرضى إلا دين الإسلام وكانت جدتى حين ضعفت وهبت لى هذه الخرزة وأعلمتنى بما فيها من الخمس فضائل وقبل أن تموت جدتى قال لها أبى اضربى لى تخت رمل وانظرى عاقبة أمرى وما يحصل لى فقالت له إن البعيد يموت قتيلا من أسير يجىء من الإسكندرية فحلف أبى أن يقتل كل أسير يجئ منها وأخبر القبطان بذلك وقال له لابد أن تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الإسكندرية تقتله أو تجىء به إلى فامتثل أمره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتى فطلعت أنا وضربت لى تحت رمل وأضمرت مافى نفسى وقلت ياهل ترى من يتزوج بى فظهر لى أنه لا يتزوج بى إلا واحد يسمى علاء الدين أبا الشامات الثقة الأمين فتعجبت من ذلك وصبرت إلى أن آن الأوان واجتمعت بك ثم إنه تزوج بها وقال لها أنا مرادى أن أروح إلى بلادى فقالت له إذا كان الأمر كذلك فتعالى معى ثم أخذته وخبأته فى مخدع فى قصرها ودخلت على أبيها فقال لها يابنتى أنا اليوم عندى قبض زائد فاقعدى حتى أسكر معك فقعد ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم إنها وضعت له البنج فى قدح فشرب بالقدح وانقلب على قفاه ثم جاءت إلى علاء الدين وأخرجته من المخدع وقالت له إن خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فإنى أسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرآه مبنجًا فكتفه تكتيفًا وثيقًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن علاء الدين أعطى أبا حسن مريم ضد البنج فأفاق فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره فقال لها يابنتى تفعلين معى هذه الفعال فقالت له إن كنت بنتك فاسلم فان أسلمت حبا وكرامة وإلا فقتلك أولى من حياتك ثم نصحه علاء الدين

فأبى وتمرد فسحب علاء الدين خنجراً ونحره من الوريد إلى الوريد وكتب ورقة بصورة الذى جرى ووضعها على جبهته وأخذ ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر و توجها إلى الكنيسة فأحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذى هو منقوش عليه السرير ودعكته وإذا بسرير

(الملك أبا حسن مريم وهو ملقى على ظهره وفى يديه ورجليه غل حديد
وبجانبه علاء الدين وحسن مريم وهما ينصحانه بدخوله فى دين الإسلام)



وضع قدامها كبت وهى وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية على ذلك السرير وقالت بحق ما كتبت على هذه الخرزة من الأسماء والطلاسم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنايا سرير فارتفع بهم السرير وسار إلى واد لا نبات فيه فأقامت الأربعة وجوه الباقية من الخرزة إلى السماء وقبلت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم إلى الأرض وقبلت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقال لينتصب صيوان فى هذا الوادى فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادى أقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الأربعة وجوه إلى السماء وقالت بحق أسماء الله تنبت هنا أشجار ويجرى بجانبها بحر فنبتت الأشجار فى الحال وجرى بجانبها بحر عجاج متلاطم بالأمواج فتوضأوا منه وصلوا وشربوا هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه دخل ينبه أباه فوجده قتيلا ووجد الورقة التى كتبها علاء الدين فقرأها وعرف مافيها ثم فتش على أخته فلم يجدها فذهب إلى العجوز فى الكنيسة وسألها عنها فقالت من أمس مارأيتها فنادى إلى العسكر وقال لهم الخيل يا أربابها وأخبرهم بالذى جرى فركبوا الخيل وسافروا إلى أن قربوا من الصيوان فالتفتت حسن فرأت الغبار قد سد الأقطار وبعد أن علا وطارا انكشف فظهر من تحته أخوها والعسكر وهم يتادون إلى أين تقصدون نحن وراء كما فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك فى الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد فى النخال فإنى ما أعرف الحرب و الكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس وإذا بفارس ظهر من البر ولم يزل يضرب فيهم بالسيف إلى أن كسرهم وطردهم ثم قالت له أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن حسن مريم قالت أتسافر إلى مصر أو إلى الإسكندرية فقال إلى الإسكندرية فركبوا على السرير وعزمت فسار بهم لحظة إلى أن نزلوا إلى الإسكندرية فأدخلهم علاء الدين فى مغارة وذهب إلى الإسكندرية فأتاهم بثياب وألبسهم إياها وتوجه بهم إلى الدكان والطبقة ثم طلع يجىء لهم بغداء وإذا بالمقدم أحمد الدنف قادم من بغداد فرآه فى

الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب بهم ثم إن أحمد الدنف أخبر علاء الدين بأن الخليفة يطلبه فقال له أنا رائح إلى مصر أسلم على أبى وأمى وأهل بيتى فركبوا السرير جميعًا وتوجهوا إلى مصر السعيدة ونزلوا فى الدرب الأصفر لأن بيتهم كان فى تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت أمه من بالباب بعد فقد الأحباب فقال أنا علاء الدين فنزلوا وأخذوه بالأحضان ثم أدخل زوجتيه وما معه فى البيت وبعد ذلك دخل وأحمد الدنف صحبته وأخذوا لهم الراحة ثلاثة أيام ثم إنه أخذ أباه وأمه معه وسافروا إلى بغداد فدخل أحمد الدنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه وأخذ معه ولده أصلان وقابلوه بالأحضان وأمر الخليفة بإحضار أحمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال ياعلاء الدين دونك خصمك فسحب علاء الدين السيف وضرب أحمد قماقم فرمى عنقه ثم إن الخليفة عمل لعلاء الدين فرحًا عظيمًا بعد أن أحضر القضاء والشهود وكتب على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تنقب ثم جعل ولده أصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية وأقاموا فى أرغد عيش وأهناه إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات .

(بعض حكايات تتعلق بالكرام)

أما حكايات الكرام فإنها كثيرة جدًا (منها) ما روى عن حاتم الطائى أنه لما مات دفن فى رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصور بنات محلولات الشعر من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فإذا نزلت الوفود ويسمعون الصراخ فى الليل من العشاء إلى الصباح فإذا أصبحوا لم يجدوا أحد غير البنات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادى خارجًا عن عشيرته بات تلك الليلة هناك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد إن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادى بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ماهذا العويل الذى فوق الجبل فقالوا إن هذا قبر حاتم الطائى وإن عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعر وكل ليلة يسمع



النازلون في هذا المكان هذا العويل والصراخ فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائى ياحاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال ياعرب الحقونى وأدركوا راحلتى فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشوو لحمها وأكلوه ثم سألوه عن سبب ذلك فقال إنى نمت فرأيت حاتمًا الطائى فى المنام قد جاءنى بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شىء وعقر ناقتى بالسيف ولو لم تنحروها لماتت فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحدًا من أصحابه ثم أردفه خلفه فلما كان في وسط النهار رأوا راكبًا على راحلة وفى يده راحلة أخرى فقالوا له من أنت قال أنا عدى بن حاتم الطائى ثم قال أين ذو الكراع أمير حمير فقالوا له هذا فقال اركب هذه الناقة عوضًا عن راحلتك فإن ناقتك قد نحرها أبى لك قال ومن أخبرك قال أتانى فى المنام فى هذه الليلة وقال لى ياعدى إن ذا الكراع ملك حميرًا استضافنى فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها فإنى لم يكن عندى شىء فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حيًا وميتًا .

(ومن حكايات الكرام أيضًا)

ما يروى عن معن بن زائدة أنه كان فى يوم من الأيام فى الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك وإذا بثلاث جوار قد أقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوارى أقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستسقاهن فأسقيته فطلب شيئًا من غلمانه ليعطيه للجوارى فلم يجد معهم مالا فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من الذهب فقالت إحداهن لصاحبتيها لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئًا من الشعر مد حافية فقالت الأولى :

يركب فى السهام نصول تبر ... ويرمى للعدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية :

ومحارب من فرط جود بنانه عمت مكارمه الأحبة والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد كيلا تعوقه الحروب عن الندا

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمى العداة بأسهم من الذهب الأبريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند دوائه ويشترى الأكفان منها قتيلها

(حكاية تتعلق ببعض بلاد الأندلس التى فتحها طارق بن زياد)

وبلغنى أيها الملك السعيد أن بلدة يقال لها لبطة وكانت مملكة للإفرنج وكان بها قصر مقفل دائمًا وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمى عليه قفلا محكمًا فاجتمع على الباب أربعة وعشرون قفلا من كل ملك ثم تولى بعدهم رجل ليس من أهل بيت المملكة فأراد فتح تلك الأقفال ليرى ما فى ذلك القصر فمنعه من ذلك أكابر الدولة وأنكروا عليه وزجره فأبى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميع ما بأيديهم من نفائس الأموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما فى أيديهم من الأموال والذخائر على عدم فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم إنه زال الأقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبأيديهم الرماح الطوال ووجد كتابًا فيه فأخذ الكتاب وقرأه ووجد مكتوبًا فيه إذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصور فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالأندلس ففتحها طارق بن زياد فى تلك السنة فى خلافة الوليد



ابن عبدالملك من بنى أمية وقتل ذلك الملك أقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بها من النساء والغلمان وغنم أموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيهاماينوف عن مائية وسبعين تاجًا من الدر والياقوت ووجد كتابًا آخر يحكى فيه صناعة صياغة اليواقيت والأحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن ووجد فيها ليوانا فيه من الياقوت البهرمانى مالا يحيط به وصف فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبدالملك وتفرق العرب فى مدنها وهى من أعظم البلاد .

(حكاية هشام بن عبدالملك مع غلام من الأعراب)

ومما يحكى أيضًا أن هشام بن عبدالملك بن مروان كان ذاهبًا إلى الصيد فى بعض الأيام فنظر إلى ظبى فتبعه بالكلاب فبينما هو خلف الظبى إذ نظر إلى صبى من الأعراب يرعى غنما فقال هشام له يا غلام دونك هذا الظبى فائتنى به فرفع رأسه إليه وقال ياجاهلا بقدر الأخيار لقد نظرت إلى بالاستصغار وكلمتنى بالأحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ويلك أما تعرفنى فقال وقد عرفنى بك سوء أدبك إذا بدأتنى بكلامك دون سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبدالملك فقال له الأعرابى لا قرب الله ديارك ولا حيا مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام إلى قصره وجلس فى مجلسه وقال على بالغلام البدوى فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأرباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه إلى أن وصل إلى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدام ياكلب العرب مامنعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت إلى الخادم مغضبًا وقال يابردعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبى لقد حضرت فى يوم حضر فيه أجلك وغاب عنك أملك وانصرم عمرك فقال والله ياهشام لئن كان فى المدة تأخير

ولم يكن فى الأجل تقصير فما ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعًا لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهبل أما سمعت ماقال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظًا شديدًا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فإنه أكثر بالكلام ولم يخش الملام فأخذ الغلام ونزل به إلى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا أمير المؤمنين هذا عبدك المذل بنفسه السائر إلى رمسه هل اضرب عنقه وأنا برىء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فأذن له فستأذن ثالثًا ففهم الفتى أنه إن أذن له فى هذه المرة يقتله فضحك حتى بدت نواجذه فازداد هشامًا غضبًا وقال ياصبى أظنك معتوها أما أنك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزوا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لإن ان فى العمر تأخير لا يضرنى قليل ولا كثير ولكن حضرتنى أبيات فاسمعها فإن قتلى لا يفوتك فقال هشام هات وأوجز فأنشد هذه الأبيات :

نبئت أن الباز صادف مرة ... عصفور برساقه المقدور
فتكلم العصفور فى أظفاره ... والباز منهمك عليه يطير
ما فى ما يغنى لمثلك شبعة ... ولئن أكلت بأننى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه ... عجبا وأفلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتى من رسول الله ﷺ لو تلفظ بهذا اللفظ فى أول كلامه وطلب ما دون الخلافة لأعطيتها إياه يا خادم أحش فاه جواهر وأحسن جائزته فأعطاه الخادم وصلة عظيمة فأخذها وانصرف إلى حال سبيله انتهى .

(حكاية حسن الموصلى وتزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل)

(ومما) يحكى أن إسحق الموصلى قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجهًا إلى بيتى فتضايقنى حصر البول فعمدت إلى زقاق وقمت أبول خوفًا أن يضر بى شىء إذا جلست فى جانب الحيطان فرأيت شيئًا معلقا فى تلك الدور فلمسته لأعرف ما هو فوجدته زنبيلا كبيرًا بأربعة آذان ملبسا ديباجًا فقلت فى نفسى لابد لهذا من سبب وصرت متحيرًا فى أمرى



فحملنى السكر على أن أجلس فيه فجلست فيه وإذا بأصحاب الدار جذبوه بى وظنوا أننى الذى كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل إلى رأس الحائط وإذا بأربع جوار يقلن لى أنزل على الرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت إلى دار فيها مجالس مفروشة لم أر مثلها إلا فى دار الخلافة .فجلست فما شعرت بعد بساعة إلا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدار وإذا بوصائف يتماشين وفى أيديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلى وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر ثم أجلستنى وسألتنى عن خبرى فقلت لها إنى انصرفت من عند بعض إخوانى وغرنى الوقت وحصرنى البول فى الطريق فملت إلى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا ملقى فأجلسنى النبيذ فى الزنبيل ورفع بى الزنبيل إلى هذا الدارهذا ماكان من أمرى فقالت لا ضير عليك وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت لى فما صنعتك فقلت تاجر فى سوق بغداد فقالت هل تروى من الأشعار شيئًا قلت شيئًا ضعيفًا قالت فذاكرنا فيه وأنشدنا شيئًا منه فقلت أن للداخل دهشة ولكن تبدئين أنت قالت صدقت ثم أنشدت شعرًا رقيقًا من كلام القدماء والمحدثين وهو من أجود أقاويلهم وأنا أسمع ولا أدرى أأعجب من حسنها وجمالها أم من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت أى والله قالت إن شئت فأنشدنا شيئاً من روايتك فأنشدتها شعر الجماعة من القدماء مافيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أنه يوجد فى أبناء السوقة مثل هذا ثم أمرت بالطعام فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك وأحسنه وأطيبه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقانى الملك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٣١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن إسحق الموصل قال ثم إن الجارية أمرت بإحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامى وكان فى المجلس من أصناف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون إلا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحًا ثم ناولتنى قدحًا وقالت هذا أوان المذاكرات والأخبار ثم أخذنا المذاكرة وكلما أسكت ابتدأت هى حتى قطعنا أكثر الليل وبخور

العود يعبق وأنا فى حالة لو توهمها المأمون لطار شوقًا إليها فقالت لى إنك من ألطف الرجال وأظرفهم لأنك ذو أدب بارع وما بقى إلا شىء واحد فقلت لها وما هو قالت لوكنت تترنم بالأشعار على العود فقلت لها إنى كنت تعلقت بهذا قديمًا ولكن لما لم أرزق حظا فيه أعرضت عنه وفى قلبى منه حرارة وكنت أحب فى هذا المجلس أن أحسن شيئًا منه لتكمل ليلتى قالت كأنك عرضت بإحضار العود فقلت الرأى لك وأنت صاحبة الفضل ولك المنة فى غاية ذلك فأمرت بعود فحضرت وغنت بصوت ما سمعت ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغنى لاسحق قلت وهل إسحق جعلت فداءك بهذه الصفة قالت بخ بخ إسحق بارع فى هذا الشأن فقلت سبحانه الله الذى أعطى هذا الرجل مالا يعطه أحدًا سواه ثم لم نزل على ذلك حتى إذا كان انشقاق الفجر أقبلت عليها عجوز كأنها داية لها وقالت أن الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت لتستر ما كان منا . فإن المجالس بالأمانات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لتستر ما كان منا فإن المجالس بالأمانات فقلت لها جعلت فداءك لست محتاجًا إلى وصية فى ذلك ثم ودعتها وخرجت متوجهًا إلى دارى فصليت الصبح ونمت فأتانى رسول المأمون فسرت إليه وأقمت نهارى عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شىء لا يصبر عنه الجهلاء فخرجت وجئت إلى الزنبيل وجلست فيه ورفعت إلى موضعى الذى كنت فيه البارحة فقالت لى الجارية لقد عاودت فقلت لا أظن أننى قد غفلت ثم أخذنا فى المحادثة على عادتنا فى الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومنى إلى الفجر ثم انصرفت إلى منزلى وصليت الضبح ونمت فأتى رسول المأمون فمضيت إليه وأقمت نهارى عنده فلما كان وقت العشاء قال لى أمير المؤمنين أقسمت عليك أن تجلس حتى أذهب إلى غرض وأحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عنى جالت وساوسى وتذكرت ماكنت فيه فهان على مايحصل لى من أمير المؤمنين فوثبت مدبرًا وخرجت



جارياً حتى وصلت إلى الزنبيل فجلست فيه ورفع بى إلى مجلسى فقالت لعلك صديقنا قلت أى والله قالت أجعلتنا دار اقامة قلت جعلت فداءك حق الضيافة ثلاثة أيام فإن رجعت بعد ذلك فأنتم فى حل من دمى ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت أن المأمون لابد أن يسألنى فلا يقنع ألا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم أحسن منى



(اسحق الموصلى عندما رأى الزنبيل معلقاً من الدار التى كان يبول بجوار حائطها)

وجها وأشرف قدراً وأكثر أدباً وأعرف خلق الله تعالى بإسحق قالت أطفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة فى الأمر فقالت إن كان ابن عمك كما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجهاً إلى دارى فلم أصل إلى دارى إلا ورسل المأمون هجموا على وحملونى حملاً عنيفاً . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أسحق الموصلى قال فلم أصل إلى دارى إلا ورسل المأمون هجموا علىّ وحملونى حملاً عنيفا وذهبوا بى إليه فوجدته قاعداً على كرسى وهو مغتاظ منى فقال يا إسحق أخروجا عن الطاعة فقلت لا والله يا أمير المؤمنين فقال فما قصتك أصدقنى الخبر فقلت نعم ولكن فى خلوة فأومأ إلى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له إنى وعدتها بحضورك قال أحسنت ثم سرنا إلى أن أتينا مكان الزنبيل فوجدنا زنبيلين فقعدنا فيهما ورفعنا إلى الموضع المعهودة فأقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها وأخذت تذاكره الأخبار وتنشده الأشعار ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه مسرورة به وهو أيضًا مقبل إليها مسروراً بها ثم أخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لى : هل ابن عمك من التجار وأشارت إلى المأمون قلت نعم قالت إنكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا إسحق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غن بهذه الطريقة فلما علمت أنه الخليفة مضت إلى مكان ودخلت فيه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية دخلت فى المكان ولما فرغ إسحق من الغناء قال له المأمون انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هى للحسن بن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة وإذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون ألك بنت قال نعم ما اسمها قال اسمها خديجة قال له هل هى متزوجة قال لا والله قال فإنى أخطبها منك قال هى جاريتك وأمرها إليك يا أمير المؤمنين قال الخليفة قد تزوجتها على نقد ثلاثين ألف دينار تحمل إليك صبيحة يومنا هذا فإذا قبضت المال فاحملها إلينا من ليلتها قال سمعًا وطاعة ثم خرجنا فقال يا إسحق والله مارأيت أحداً مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهما ولا عقلا ولا لفظا والله أعلم .



(حكاية الحشاش مع حريم بعض الأكابر)

(ومما) يحكى أنه كان أوان الحج والناس فى الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس وإذا بانسان متعلق باستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه أسألك يا الله أنك تغضب على زوجها وأجامعها قال فسمعه جماعة من الحجاج فقبضوا عليه وأتوا إلى أمير الحجاج بعد أن أشبعوه ضربًا وقالوا له أيها الأمير إنا وجدنا هذا فى الأماكن الشريفة يقول كذا وكذا فأمر أمير الحجاج بشنقه فقال له أيها الأمير بحق رسول الله ﷺ أن تسمع قصتى وحديثى وبعد ذلك افعل بى ماتريد قال حدث قال اعلم أيها الأمير أننى رجل حشاش أعمل فى مسالخ الغنم فاحمل الدم والوسخ إلى الكيمان فاتفق أننى رائح بحمارى يومًا من الأيام وهو محمل فوجدت الناس هاربين فقال واحد منهم ادخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت ما للناس هاربين فقال لى واحد خدام هذا حريم لبعض الأكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالى بأحد فدخلت بالحمار عطفة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت أنتظر انقضاض الزحمة فرأيت الخدم وبأيديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين امرأة بينهم واحدة كأنها قضيب بأن كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع فى خدمتها فلما وصلت إلى باب العطفة التى أنا واقف فيها التفتت يمينًا وشمالا ثم دعت بطواشى فحضر بين يديها فساورته فى أذنه وإذا بالطواشى جاء إلى وقبض فى فتهاربت الناس وإذا بطواشى آخر أخذ حمارى ومضى به ثم جاء الطواشى وربطنى بحبل وجرنى خلفه وأنا لم أعرف ما الخبر فقلت فى نفسى لابد أنهم يعاقبوننى فى هذا البيت حتى أموت ولايعلم بموتى أحد ثم بعد ذلك أدخلونى حمامًا لطيفًا من داخل القاعة فبينما أنا فى الحمام وإذا بثلاث جوار دخلن وقعدن حولى وقلن لى اقلع شراميطك فقلعت ما علىّ من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلى وواحدة منهن تغسل

رأسى وواحدة تكبسنى فلما فرغن من ذلك حطوا إلى بقجة قماش وقالوا لى ألبس هذه فقلت والله ما أعرف كيف ألبس فتقدمن إلى وألبسننى وهن يتضاحكن على ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن على وخرجت معهن إلى قاعة أخرى فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الرجل قال لما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتنى قامت إلىّ ونادتنى فجئت عندها فأمرتنى بالجلوس فجلست إلى جانبها وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام فقدمن لى طعامًا فاخراً من سائر الألوان فأمرتنى بالأكل فأكلت فلما فرغنا من الأكل أمرت بعض الجوارى بإحضار سلاحيات الشراب فأحضرن شيئًا مختلف الألوان ثم أطلقن المباخر من جميع البخور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الأوتار فسكرت أنا وتلك السيدة الجالسة كل ذلك جرى وأنا أعتقد أنه حلم فى المنام ثم بعد ذلك أشارت لى بعض الجوارى أن يفرش لنا فى مكان ففرش فى المكان الذى أمرت به ثم قامت وأخذت بيدى إلى ذلك المكان المفروش ونامت ونمت معها إلى الصباح وكنت كلما ضممتها إلى صدرى أشم منها رائحة المسك والطيب وما أعتقد إلا أنى فى الجنة أو إنى أحلم فى المنام فلما أصبحت سألتنى عن مكانى فقلت فى المحل الفلانى فأمرت بخروجى وأعطيتنى منديلا مطرزاً بالذهب والفضة وعليه شىء مربوط فقالت لى ادخل الحمام بهذا ففرحت وقلت فى نفسى إن كان ما عليه خمسة فلوس فهى غذائى فى هذا اليوم ثم خرجت من عندها كأنى خارج من الجنة وجئت إلى المخزن الذى أنا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالا من الذهب فدفنتها ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية أيام أدخل عندها فى كل يوم وقت العصر وأخرج من عندها فى أول النهار فبينما أنا نائم عندها ليلة ثامن يوم وإذا بجارية دخلت وهى تجرى وقالت لى قم واطلع إلى هذه الطبقة فطلعت فى تلك الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما أنا جالس وإذا بضجة



عظيمة ودربكة خيل فى الزقاق وكان فى الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شابا كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون فى خدمته فتقدم إلى الباب وترحل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الأرض بين يديها ثم تقدم وقبل يدها فلم تكلمه فما برح يتخضع لها حتى صالحها ونام عندها تلك الليلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما أصبح الصباح أتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندى وقالت لى أرأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجى وأحكى لك ماجرى لى معه اتفق أننى كنت أنا وإياه قاعدين فى الجنينة داخل البيت وإذا هو قد قام من جانبى غاب عنى ساعة طويلة فاستبطأته فقلت فى نفسى لعله يكون فى بيت الخلاء فنهضت إلى بيت الخلاء فلم أجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فأرتنى إياه وهو راقد مع جارية من جوارى المطبخ فعند ذلك حلفت يمينًا عظيمًا أننى لابد أن أزنى مع أوسخ الناس وأقذرهم ويوم قبض عليك الطواشى كان لى أربعة أيام وأن أدور فى البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت أحدًا أوسخ ولا أقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التى حلفتها فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبى من ألحاظها بالسهام جرت دموعى حتى قرحت المحاجر ثم إنها أمرت بخروجى من عندها وقد تحصل لى منها أربعمائة مثقال من الذهب فأنا أصرف منها وجئت إلى ههنا أدعو الله سبحانه وتعالى أن زوجها يعود إلى الجارية مرة لعلى أعود إلى ما كنت عليه فلما سمع أمير الحج قصة الرجل أطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم أن تدعوا له فإنه معذور .

(حكاية هارون الرشيد مع محمد بن على الجوهرى)

(ومما) يحكى أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى قلقًا شديدًا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكى وقال له إن صدرى ضيق ومرادى فى هذه الليلة أن أتفرج فى شوارع بغداد وانظر

فى مصالح العباد بشرط أننا نتزيا بزى التجار حتى لايعرفنا أحد من الناس فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قاموا فى الوقت والساعة ونزعوا ماعليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليفة وجعفر ومسرور السياف وتمشوا من مكان إلى مكان حتى وصلوا إلى الدجلة فرأوا شيخا قاعدا فى زورق فتقدموا إليه وسلموا عليه وقالوا له ياشيخ إنا نشتهى من فضلك وإحسانك أن تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا الدينار فى أجرتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنهم قالوا للشيخ إنا نشتهى أن تفرجنا فى مركبك وخذ هذا الدينار أجرتك قال لهم من ذا الذى يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل فى كل ليلة بحر الدجلة فى زورق صغير ومعه منادى ينادى ويقول يا معشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام وصبى وغلام كل من نزل فى مركب وشق الدجلة ضربت عنقه أو شنقته على صارى مركبه وكأنكم به فى هذه الساعة وزورقه مقبل فقال الخليفة وجعفر ياشيخ خذ هذين الدينارين وأدخل بنا قبة من هذه القباب إلى أن يروح زورق الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على الله فأخذ الذهب وعوم بهم قليلا وإذا بالزورق قد أقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ أما قلت لكم أن الخليفة يشق فى كل ليلة ثم إن الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الأستار ودخل بهم فى قبة ووضع عليهم مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر فلما رأى الخليفة ذلك قال ياجعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال لعل هذا واحد من أولادى أما المأمون وأما الأمين ثم تأمل الشاب وهوجالس على الكرسى فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت إلى الوزير وقال يا وزير قال لبيك قال والله إن هذا الجالس لم يترك شيئا من شكل الخلافة والذى بين يديه كأنه أنت ياجعفر والخادم الذى وقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء كأنهم ندمائى وقد حار عقلى فى هذا الأمر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٣٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما رأى هذا الأمر تحير فى عقله وقال والله إنى تعجبت من هذا الأمر ياجعفر فقال له جعفر وأنا والله يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا شيخ وهل للخليفة فى كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدى وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال ياشيخ نشتهى من فضلك أن تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهبًا فإننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون فى الخندق فقال له الشيخ حبا وكرامة ثم إن الخليفة وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ إلى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد فى مرتبته ودخل الأمراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى المجلس قال الخليفة هارون الرشيد ياجعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثانى فخرجوا يشقون وهم فى غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا إلى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدا لهم فى الانتظار فنزلوا عنده فى المركب فما استقر بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثانى وأقبل عليهم فالتفتوا إليه وأمعنوا النظر فوجدوا فيها مائتى مملوك غير المماليك الأول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شىء لو سمعت به ما كنت أصدقه ولكننى رأيت ذلك عيانًا ثم إن الخليفة قال لصاحب الزورق الذى هم فيه خذ ياشيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا فى محاذاتهم فإنهم فى النور ونحن فى الظلام فننظرهم ونتفرج عليهم وهم لاينظروننا فأخذ الشيخ العشرة دنانير ومشى بزورقه فى محاذاتهم وساروا فى ظلام زورقهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير وسر بنا فى محاذاتهم فقال سمعا وطاعة ثم أخذ الدنانير وسار بهم وما زالوا سائرين فى ظلام الزورق إلى البساتين فلما وصلوا إلى البستان رأوا زريبة فرسى عليها الزورق وإذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة وسار بين الندماء فلاحت من

المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة أشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فأنكروا عليهم وغمزوا عليهم وأحضروهم بين يدى الخليفة الثانى فلما نظر قال لهم كيف وصلتم إلى هذا المكان وما الذى جاء بكم فى هذا الوقت قالوا يا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا فى هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليلة وإذا بكم قد أقبلتم فجاء هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثانى لا بأس عليكم لأنكم غرباء ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم ثم التفت إلى وزيره وقال خذ هؤلاء صحيتك فإنهم ضيوفنا هذه الليلة فقال له سمعًا وطاعة لك يامولانا ثم سار وهم معه إلى أن وصلوا إلى قصر عال عظيم الشأن محكم البنيان ماحواه سلطان ثم دخل الخليفة الثانى والجماعة صحبته إلى أن جلس على كرسى من ذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسى سجادة من الحرير الأصفر وقد جلست الندماء ووقف سياف النقمة بين يديه فمدوا السماط وأكلوا ورفعت الأوانى وغسلت الأيادى وأحضروا آلة المدام واصطفت القنانى والكاسات ودار الدور إلى أن وصل إلى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر مابال صاحبك لا يشرب فقال يامولاى إن له مدة ماشرب من هذا فقال الخليفة الثانى عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفاح ثم أمر به فأحضروه فى الحال فتقدم الخليفة الثانى بين يدى هارون الرشيد وقال له كلما وصل إليك الدور فاشرب من هذا الشراب ومازالوا فى انشراح وتعاطى أقدام الراح إلى أن تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هو وجلساؤه مازالوا يشربون حتى تمكن الشرب من رؤسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره ياجعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الآنية فيا ليت شعرى ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سرًا إذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتسارر مع الخليفة فقال إن المساررة عربدة فقال الوزير ما تم عربدة إلا أن رفيقى هذا يقول إنى سافرت إلى غالب البلاد ونادمت أكابر الملوك وعاشرت الأجناد فما



رأيت أحسن من هذا النظام ولا أبهج من هذه الليلة غير أن أهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما أورث الصداع فلما سمع الخليفة الثانى ذلك تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة وإذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيًا من العاج مصفحًا بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وهى كالشمس الضاحية فى السماء الصافية وبيدها عمود عمل صناع الهنود فوضعته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد أن أطربت وقلبت أربعا وعشرين طريقة حتى أذهلت العقول ثم عادت إلى طريقتها الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق يخبر عنى أننى لك عاشق
ولى شاهد من حر قلب معذب وطرف قريح والدموع سوابق
وما كنت أدرى قبل حبك ما الهوى ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

فلما سمع الخليفة هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التى كانت عليه إلى الذيل وأسبلت عليه الستارة وأتوه ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل إليه القدح وضرب بالقضيب على المدورة وإذا بباب قد فتح وخرج خادم يحمل كرسيًا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الجارية الأولى فجلست على ذلك الكرسى وبيدها عود يكمد قلب الحسود فغنت بهذين البيتين :

كيف اصطبارى ونار الشوق فى كبدى والدمع فى مقلتى طوفانه أبدى
والله ما طاب لى عيش أسر به فكيف يفرح قلب حشوه كمدى

فلما سمع الشاب صرخ صرخة عظيمة وشق عليه من الثياب فارخوا عليه الستارة وأتوه بثياب غيرها ثم عاد إلى حالته ندمائه ودارت الأقداح فلما وصل القدح إليه ضرب على المدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام ومعه كرسى وخلفه جارية فنصب لها الكرسى وجلست عليه وأخذت العود وأصلحته وغنت عليه بهذه الأبيات .

حتى متى يمضى التهاجر والقلى ويعود لى ما قد مضى لى أولا
من أمس كنا والديار تلمنا فى أنسنا ونرى الحواسد عقلا

غدر الزمان بنا وفرق شملنا | من بعد ما ترك المنازل كالخلا
أتروم منى يا عذولى سلوة | وأرى فؤادى لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلنى بصبابتى | فالقلب من أنس الأحبة ما خلا
يا سادة نقضوا العهود وبدلوا | لا تحسبوا قلبى ببعد كم سلا

فلما سمع الخليفة الثانى إنشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . .

***

الليلة (٣٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب وخر مغشياً عليه فأرادوا أن يخرجوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاحت من هارون الرشيد التفاتة إليه فنظرعلى بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيدى بعد النظر والتأكيد ياجعفر والله أن شاب مليح إلا أنه لص قبيح فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفر يتحدثان سراً فقال لهما ما الخبر يافتيان فقال جعفر يامولانا خير غير أنه لا خفاء عليك أن رفيقى هذا من التجار وقد سافر جميع الأمصار والأقطار وصحب الملوك والأخيار وهو يقول إن الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة إسراف عظيم فقال الخليفة الثانى يا هذا إن المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض الأنعام على الخدام والحواشى فإن كل بدلة شققتها لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم من كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم ما فعلت يامولانا ثم أنشد هذين البيتين :

بنت المكارم وسط كفك منزلا | وجعلت مالك للأنام مباحا
فإذا المكارم أغلقت أبوابها | كانت يداك لقفلها مفتاحا

فلما سمع الشاب هذه الشعر من الوزير جعفر رسم له بألف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الأقداح وطاب لهم الراح فقال الرشيد ياجعفر اسأله عن الضرب الذى على جنبيه حتى ننظر



ما يقول في جوابه فعند ذلك التفت الشاب إلى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتساروان فأخبرني بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك بالله أن تخبرني بخبركما ولاتكتما عني شيئًا من أمركما فقال يا مولاي إنه أبصر على جنبيك ضربًا وأثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده أن يعلم ما السبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا أن حديثي غريب وأمري عجيب لو كتب بالإبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزافرات وأنشد هذه الأبيات :

حديثي عجيب فاق كلّ العجائب ... وحق الهوى ضاقت على مذاهبي
فإن شئتموا أن تسمعوا إلى فأنصتوا ... ويسكت هذا الجمع من كل جانب
واصغوا إلى قولي ففيه إشارة ... وإن كلامي صادق غير كاذب
فإني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواكب
لها مقلة كحلاء مثل مهند ... وترمي سهامًا من قسي الحواجب
وقد حس قلبي أن فيكم أمامنا ... خليفة هذا الوقت وابن الأطايب
وثانيكم هو المنادي بجعفر ... لديه وزير صاحب وابن الأصاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة ... فإن كان هذا القول ليس بكاذب
لقد نلت ما أرجو من الأمر كله ... وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا هذا الكلام حلف له جعفر وروى في يمينه إنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا ياسادتي أني لست أمير المؤمنين وإنما سميت نفسي بهذا لأبلغ ما أريد من أولاد المدينة وإنما اسمي محمد علي بن علي الجوهري وكان أبي من الأعيان فمات وخلف لي مالاً كثيرًا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر فاتفق في بعض الأيام أني كنت جالسًا في دكاني وحولي الخدم والحشم وإذا بجارية قد أقبلت راكبة على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهم الأقمار فلما قربت مني نزلت على دكاني وجلست عندي وقالت لي هل أنت محمد الجوهري فقلت لها نعم هو أنا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك جوهر يصلح لي فقلت ياسيدتي الذي عندي أعرضه عليك وأحضره بين يديك فإن أعجبك مني شيء كأن يسعد المملوك وإن لم يعجبك فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها

الجميع فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت أريد أحسن مما رأيت فقلت لها ياسيدتي بقي عندي عقد من الفصوص والجواهر الذي لايملك مثله أحد من الأكابر والأصاغر فقالت لي أرني إياه فلما رأته قالت هذا مطلوبي هو الذي طول عمري أتمناه ثم قالت لي كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدي مائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف دينار فائدة فقلت ياسيدتي العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندي فقالت لابد من الفائدة ولك المنة الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لي ياسيدي باسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فإن نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها في أمان إلى أن وصلنا الدار فوجدتها دارًا عليها آثار السعادة لائحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد مكتوب عليه هذان البيتان :

ألا يا دار لا يدخلك حـزن ولا يغدو بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف إذا ماضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرتني بالجلوس على مصطبة الباب إلى أن يأتي الصيرفي فجلست على باب الدار ساعة وإذا بجارية خرجت إلى وقالت ياسيدي ادخل الدهليز فإن جلوسك على الباب قبيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما أنا جالس وإذا بجارية خرجت إلى وقالت ياسيدي إن سيدتي تقول لك ادخل واجلس على باب الديوان حتى تقبض مالك ودخلت البيت وجلست لحظة وإذا بكرسي من الذهب وعليه ستارة من الحرير وإذا بتلك الستارة وقد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني ذلك العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دارة القمروالعقد في عنقها فطاش عقلي واندهش لبي من تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتني قامت من فوق الكرسي وسعت إلى نحوي وقالت لي يانور عيني هل كل من كان مليح مثلك ما يرثي لمحبوبته فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا جوهري اعلم أني أحبك وماصدقت أني أجيء بك عندي ثم إنها مالت على فقبلتها وقبلتني وإلى وجهتها جذبتني وعلى صدرها رمتني . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٣٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال ثم إنها مالت على وقبلتنى وإلى وجهتها جذبتنى وعلى صدرها رمتنى وعلمت من حال أننى أريد وصالها فقالت ياسيدى أتعلم من أنا فقلت لا والله ياسيدتى فقالت أنا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى وأخى جعفر وزير الخليفة فلما سمعت منها أحجمت بخاطرى عنها وقلت لها ياسيدتى مالى ذنب فى التهجم عليك أنت التى أطمعتينى فى وصالك بالوصول إليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد ثم إنها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد على بن على الجوهرى وقد طلب زواجى ودفع لى هذا العقد فى مهرى وأنا قبلت ورضيت فكتبوا كتابى عليها ودخلت بها وأحضرت آلات الراح ودارت الأقداح بأحسن نظام وأتم أحكام ولما شعشعت الخمرة فى رؤوسنا أمرت جارية عوادة أن تغنى فأخذت العود وأطربت النغمات وأنشدت هذه الأبيات :

بدا فأرانى الظبى والغصن والبدرا	فتبا لقلب لايبيت بـه مغـرى
مليح أراد الله بـه إطفـاء فتنة	بعارضه فاستؤنفت فتنة أخـرى
أغالط عذالى إذا ذكروا لـه	حديثا كأنى لا أحب لـه ذكـرا
وأصغى إذا فاهـوا بغير حـديثه	بسمعى ولكـن أذوب بـه فكـرا
نبـى جـمال كل مـا فـيه معـجز	من الحسن لكن وجه الآية الكبرى
أقام بلال الخال فى صحـن خـده	يـراقب مـن لألاء غـرته الفجـرا
يريد سلـوى العـاذلون جهـالة	وما كنت أرضى بعد إيمانى الكفرا

فأطربت الجارية بما أبدته من نغمات الأوتار ورقيق الأشعار ولم تزل الجوارى تغنى جارية بعد جارية وينشدن الأشعار إلى أن غنت عشر جوار ثم إنها صرفت الجوارى وقمنا إلى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من فرش من سائر الألوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الأحباب فوجدتها درة لم تنقب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم أر فى عمرى ليلة أطيب من تلك الليلة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣١)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي رأيتها درة ولم تثقب ومهرة لم تركب ثم أقمت عندها شهرًا كاملا وقد تركت الدكان والأهل والأوطان فقالت لي يومًا من الأيام يانور العين ياسيدي محمد إني قد عزمت اليوم على المسير إلى الحمام فاستقر أنت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك إلى أن أرجع إليك وحلفتني على ذلك فقلت لها سمعًا وطاعًا ثم إنها حلفتني لا أنتقل من موضعي وأخذت جواريها وذهبت إلى الحمام فو الله يا إخواني ما لحقت أن تصل إلى رأس الزقاق إلا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وقالت يا سيدي محمد إن السيدة زبيدة تدعوك فإنها سمعت بأدبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها والله ما أقوم من مكاني حتى تأتي السيدة دنيا فقالت العجوز ياسيدي لاتجعل السيدة زبيدة تغضب عليك وتبقى عدوتك فقم كلمها وارجع إلى مكانك فقمت من وقتي وتوجهت إليها والعجوز أمامي إلى أن وصلتني إلى السيدة زبيدة فلما وصلت إليها قالت لي يانور العين هل أنت معشوق السيدة دنيا فقلت أنا مملوكك وعبدك فقالت صدق الذي وصفك بالحسن والجمال والأدب والكمال فإنك فوق الوصف والمقال ولكن غن لي حتى أسمعك فقلت سمعا وطاعة فاتتني بعود فغنيت عليه بهذه الأبيات :

قلب المحب مع الأحباب مغلوب	وجسمه بيد الأسقام منهوب
مافي الرجال وقد زمت ركائبهم	إلا محب له في الركب محبوب
استودع الله في أطنابكم قمرا	يراه قلبي وعن عيني محجوب
يرضى ويغضب ما أحلى تدلله	وكل ما يفعله المحبوب محبوب

فلما فرغت من الغناء قالت لي أصلح الله بدنك وطيب أنفاسك فقم وامض إلى مكانك قبل أن تجيء السيدة دنيا فلا تجدك فتغضب عليك فقبلت الأرض بين يديها وخرجت والعجوز أمامي إلى أن وصلت إلى الباب الذي خرجت منه فدخلت وجئت إلى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهي نائمة على السرير فقعدت عند رجليها كبستها ففتحت عينيها فرأتني تحت رجلها فرفستني ورمتني من فوق السرير وقالت لي يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه



ووعدتنى أنك لا تنتقل من مكانك وأخلفت الوعد وذهبت إلى السيدة زبيدة والله لولا خوفى من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها ياصواب قم اضرب رقبة الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى وأراد أن يضرب عنقى - وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن محمد الجواهرجى قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى وأراد أن يضرب عنقى فقامت إليها الجوارى وقلن لها ياسيدتنا ليس هذا أول من أخطأ وما فعل ذنبًا يوجب القتل فقالت والله لابد أن أعمل فيه أثر ثم أمرت بضربى فضربونى على أضلاعى وهذا الذى رأيتموه أثر ذلك الضرب فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامة قال سبحان الله الذى جعل لكل شىء سببا ثم إنهم استأذنوا الشاب فى الانصراف فأذن لهم وأضمر له الرشيد على الإنصاف وأن يتحفه غاية الإتحاف ثم انصرفوا من عنده سائرين وإلى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلوس قال الخليفة لجعفر ياوزير على بالشاب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة قال للوزير على بالشاب الذى كنا عنده فى الليلة الماضية فقال سمعا وطاعة ثم توجه إليه وسلم عليه وقال له أجب أمير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار معه إلى القصر فلما دخل على الخليفة قبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والإقبال وبلوغ الآمال ودوام النعم وإزالة البؤس والنقم وقد أحسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامى حومة الدين ثم أنشد هذين البيتين :

لازال بابك كعبة مقصودة ... وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد بأسرها ... هذا المقام وأنت إبراهيم

فتبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام والتفت إليه بعين الإكرام وقربه لديه وأ جلسه بين يديه وقال له يا محمد أريد منك أن تحدثنى بما وقع لك فى هذه الليلة فإنه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا أمير المؤمنين أعطنى منديل الأمان ليسكن روعى ويطمئن قلبى فقال له الخليفة الأمان من الخوف والأحزان فشرع الشاب يحدثه بالذى حصل له من أوله إلى آخره فعلم الخليفة أن الصبى عاشق وللمعشوق مفارق فقال له أتحب أن أردها عليك قال هذا من فضل أمير المؤمنين ثم أنشد هذين البيتين :

الثم أنامله فلسن أنامـلا | لكنهـن مفـاتح الأرزاق
وأشكر صنائعه فلسـن صنائعا | لكنهن قلائـد الأعنـاق

فعند ذلك التفت الخليفة إلى وزيره وقال له ياجعفر أحضر لى أختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أحضرها فى الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة أتعرفين من هذا قالت يا أمير المؤمنين من أين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يادنيا هذا حبيبك محمد بن على الجوهرى وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها إلى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والأمر لايخفى وإن كان مستوراً فقالت يا أمير المؤمنين كان ذلك فى الكتاب مسطوراً وأنا أستغفر الله العظيم مما جرى منى وأسألك من فضلك العفو عنى فضحك الخليفة هارون الرشيد وأحضر القاضى والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد بن على الجوهرى وحصل لها وله سعد السعود وإكماد الحسود وجعله من جملة ندمائه واستمروا فى سرور ولذة وحبور إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات .

(حكاية هارون الرشيد مع على العجمى ومايتبع ذلك)

(من حديث الجراب والكردى)

ومما يحكى أن الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر إنى قلقت الليلة قلقًا عظيمًا وضاق صدرى وأريد منك شيئًا يسر خاطرى وينشرح به صدرى فقال له جعفر يا أمير المؤمنين إن لى صديقا اسمه على العجمى وعنده من



الحكايات والأخبار المطربة ما يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال له على به فقال سمعًا وطاعة ثم إن جعفر خرج من عند الخليفة فى طلب العجمى فأرسل خلفه فلما حضر قال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجمى قال سمعًا وطاعة ثم توجه معه إلى الخليفة فلما تمثل بين يديه أذن له فى الجلوس وجلس فقال له الخليفة يا على إنه ضاق صدرى فى هذه الليلة وقد سمعت عنك أنك تحفظ حكايات وأخبار وأريد منك أن تسمعنى ما يزيل همى ويصقل فكرى فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بالذى رأيته بعينى أو بالذى سمعته بأذنى فقال إن كنت رأيت شيئًا فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين أنى سافرت فى بعض السنين من بلدى هذه وهى مدينة بغداد وصحبتى غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبينما أنا أبيع وأشترى وإذا برجل كردى ظالم متعدى قد هجم على وأخذ منى الجراب وقال هذا جرابى وكل ما فيه متاعى يا معشر المسلمين خلصونى من يد أفجر الظالمين فقال الناس جميعًا اذهبا إلى القاضى واقبلا حكمه بالتراضى فتوجهنا إلى القاضى وأنا بحكمه راض فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضى فى أى شىء جئتما فقلت نحن خصمان إليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال أيكما المدعى فتقدم الكردى وقال أيد الله مولانا القاضى إن هذا الجراب جرابى وكل ما فيه متاعى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى ومتى ضاع منك فقال الكردى من أمس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضى إن كنت تعرفه فصف لى مافيه فقال الكردى فى جرابى هذا مردوان من لجين وفيه أكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شرابتين مذهبتين وشمعدانين وجماعة أكراد يشهدون أن الجراب جرابى فقال القاضى ماتقول أنت ياهذا فتقدمت إليه يا أمير المؤمنين وقد أبهتنى الكردى بكلامه فقلت أعز الله مولانا القاضى أنا مافى جرابى هذا إلا دويرة خراب وأخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وأوتاد وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابى فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال

ياmولانا القاضى أن جرابى هذا معروف وكل مافيه موصوف فى جرابى هذا حصون وقلاع وكراكى وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفى جرابى هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وأرنبين وبطريق وراهبين وقاض وشاهدين وهم يشهدون أن الجراب جرابى فقال القاضى ماتقول ياعلى فامتلأت غيظًا يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد الله مولانا القاضى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجمى قال فامتلأت غيظًا يا أمير المؤمنين وتقدمت إليه وقلت أيد الله مولانا القاضى أنا فى جرابى هذا زرد وصفاح وخزائن سلاح وألف كبش نطاح وفيه للغنم مراح وألف كلب نباح وبساتين وكروم وأزهار ومشموم وتين وتفاح وصور وأشباح وقنانى وأقداح وعرائس ومغانى وأفراح وهرج وصياح وأقطار فساح إخوة ونجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح ملامح وقوس ونشاب وأصدقاء وأحباب وخلان وأصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات وأعلام وفيه أطال الله عمر مولانا القاضى غلائل وغراضى وألف موس ماض تحلق ذقن القاضى إن لم يخش عقابى ولم يحكم بأن الجراب جرابى فلما سمع القاضى هذا الكلام تحير عقله من ذلك وقال ما أراكما إلا شخصين نحسين أو رجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لأنه ما وصف الواصفون ولاسمع السامعون بأعجب مما وصفتما ولا تكلموا بمثل ما تكلمتما ثم إن القاضى أمر بفتح الجراب ففتحه وإذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردى ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من على العجمى استلقى على قفاه من الضحك وأحسن جائزته .

(حكاية هارون الرشيد مع جعفر والجارية والإمام أبى يوسف)

(ومما) يحكى أن جعفر البرمكى نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد ياجعفر بلغنى أنك اشتريت الجارية الفلانية ولى مدة أطلبها فإنها فى غاية الجمال وقلبى بحبها فى اشتغال فبعها لى فقال



لا أبيعها يا أمير المؤمنين فقال هبها لى فقال لا أهبها فقال هارون الرشيد زبيدة طالق ثلاثا إن لم تبعها لى أو تهبها لى قال جعفر زوجتى طالق ثلاثا إن بعتها لك ثم أفاقا من نشوتهما وعلما أنهما وقعا فى أمر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال هارون الرشيد هذه وقعة ليس لها غير أبى يوسف فطلبوه وكان ذلك نصف الليل فلما جاءه الرسول قام فزعًا وقال فى نفسه ماطلبت فى هذا الوقت إلا لأمر حدث فى الإسلام ثم خرج مسرعًا وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فقال له الغلام سمعا وطاعة فلما دخل على هارون الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لايجلس معه أحد غيره وقال له ماطلبناك فى هذا الوقت إلا لأمر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال ياأمير المؤمنين إن هذا الأمر أسهل مايكون ثم قال ياجعفر بع لأمير المؤمنين نصفها وتبرآن فى يمينكما بذلك فسر أمير المؤمنين بذلك وفعلا ما أمرهما به ثم قال هارون الرشيد أحضروا الجارية فى هذا الوقت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد قال أحضروا الجارية فى هذا الوقت فإنى شديد الشوق إليها فأحضروها وقال للقاضى أريد وطأها فى هذا الوقت فإنى لا أطيق الصبر عنها إلى مضى مدة الاستبراء وما الحيلة فى ذلك فقال أبو يوسف ائتونى بمملوك من مماليك أمير المؤمنين الذى لم يجر عليهم العتق فاحضرا مملوكًا فقال أبويوسف ائذن لى أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى هذا الوقت من غير استبراء فأعجب هارون الرشيد ذلك أكثر من الأول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضى أذنت لك فى العقد فأوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضى طلقها ولك مائة دينار فقال لا أفعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع إلى أن عرض عليه ألف دينار ثم قال للقاضى هل الطلاق بيدى أم بيد أمير المؤمنين قال بل بيدك قال الله لا أفعل أبدا فاشتد غضب أمير المؤمنين وقال ما الحيلة يا أبا

يوسف قال القاضي أبو يوسف يا أمير المؤمنين لاتجزع فإن الأمر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال القاضي قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بينهما بالتفريق لأنه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيًا في زماني واستدعى بأطباق الذهب فأفرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء تضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبًا فأخذها وانصرف إلى بيته فلما أصبح الصباح قال لأصحابه لا طريق إلى الدين والدنيا أسهل وأقرب من طريق العلم فإني أعطيت هذا المال العظيم في مسئلتين أو ثلاث فانظر أيها المتأدب إلى لطف هذه الوقعة فإنها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على هارون الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين .

(حكاية خالد بن عبدالله القسري مع الشاب السارق)

(ومما) يحكى أن خالد بن عبدالله القسري كان أمير البصرة فجاءت إليه جماعة متعلقون بشاب ذي جمال باهر وأدب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته فقالوا لو هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا فنظر إليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال إن القوم صادقون فيما قالوه والأمر على ما ذكر فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له إن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقًا ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها قال أيها الأمير لايقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت ما أمكنني فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجليه الحديد تنفس الصعداء وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

هددني خالد بقطع يدي ... إذ لم أبح عنده بقصتها

فقلت هيهات أن أبوح بما ... تضمن القلب من محبتها

قطع يدي الذي اعترفت به ... أهون للقلب من فضيحتها



فسمع ذلك الموكلون به فأتوا خالد وأخبروه بما حصل منه فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلا أديبًا فطنا ظريفًا لبيبًا فأمر له بالطعام فأكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فإذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضي وسألك عن السرقة فأنكرها أذكر ما يدرأ عنك حد القطع فقد قال رسول الله ﷺ : «ادرؤا الحدود بالشبهات» ثم أمر به إلى السجن . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٧)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن خالد بعد أن تحدث مع الشاب أمر به إلى السجن فمكث فيه ليلته ولما اصبح الصباح وحضر الناس يقطعون يد الشاب ولم يبق أحد في البصرة من رجل ولا امرأة وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد معه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاء أمر بإحضار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يره أحد من الناس إلا بكى عليه ثم قال له القاضي إن هؤلاء القوم يزعمون إنك دخلت دارهم وسرقت ما لهم فلعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابًا كاملا قال لعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لاحق لي فيه فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت :

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده وضع عليها السكين فبادرت جارية من وسط النساء ثم نادت تلك الجارية بأعلا صوتها ناشدتك الله أيها الأمير لاتعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد وقرأها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات .

أخالد هذا مستهام متيم رمته ألحاظي عن قسي الحمالق
فأصماه سهم اللحظ مني لأنه حليف من دائه غير فائق
أقر بما لم يقترفه كأنه رأى ذاك خيرًا من هتيكة عاشق
فمهلا عن الصب الكئيب فإنه كريم السجايا في الورى غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى وانفرد عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها وهى عاشقة وإنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورمى حجرًا فى الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحسن بهم جمع قماش البيت كله وأراهم أنه سارق سترا على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة أخذوه وقالوا هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لايفضحنى فقال خالد إنه لخليق بأنه يسعف بمراده ثم استدعى الفتى إليه وقبله بين عينيه وأمر بإحضار أبى الجارية وقال له يا شيخ إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم مع هذا الفتى بالقطع ولكن الله عز وجل قد حفظه من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظًا لعرضك وعرض ابنتك وصيانتكما من العار وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث أخبرتنى بحقيقة الأمر وأنا أسألك أن تأذن فى تزويجها منه فقال له الشيخ أيها الأمير قد أذنت لك فى ذلك فحمد الله خالدا وأثنى عليه وخطب خطبة حسنة ..وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن خالد أحمد الله وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة بإذنها ورضاها وإذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم إن خالد أمر بحمل المال إلى دار الفتى مزفوفًا فى الصوانى وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يومًا أعجب من ذلك اليوم أوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور .

(حكاية أبى محمد الكسلان مع الرشيد)

(ومما) يحكى أن هارون الرشيد كان جالسًا ذات يوم فى تخت الخلافة إذا دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر اليواقيت والجواهر



ما لا يفى به مال ثم إن الغلام قبل الأرض بين يدى الخليفة وقال له يا أمير المؤمنين إن السيدة زبيدة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٣٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام قال للخليفة إن السيدة زبيدة تقبل الأرض بين يديك وتقول لك إنك تعرف أنها قد عملت هذا التاج وأنه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون فى رأسه وفتشت فى ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيئًا يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف أكون خليفة وملك ملوك الأرض وأعجز عن جوهرة يا ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم ولايجد مولانا الخليفة الجوهرة إلا عند رجل من البصرة يسمى أبا محمد الكسلان فأخبروا الخليفة بذلك فأرسل مسرور مع جماعة من أتباعه إلى أبى محمد الكسلان فتوجهوا إليه وطرقوا عليه الباب فخرجوا لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك إن أمير المؤمنين يطلبك فدخل الغلام وأخبره بذلك فخرج فوجد مسرور حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيد فقبل الأرض بين يديه وقال سمعا وطاعة لأمير المؤمنين ولكن أدخلوا عندنا فقالوا مانقدر على ذلك لأننا على عجل كما أمرنا أمير المؤمنين فإنه ينتظر قدومك فقال له أبو محمد الكسلان يامولانا اصبر علينا إلى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصباح ثم إن الغلمان شدوا لأبى محمد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بأنواع الدرر والجواهر فقال مسرور فى نفسه ياترى إذا حضر أبو محمد بين يدى الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال ثم بعد ذلك ودعوا أبا محمد الزبيدى وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه أمره بالجلوس فجلس ثم تكلم بأدب وقال يا أمير المؤمنين إنى جئت معى بهدية على وجه الخدمة فهل أحضرها عن إذنك قال الرشيد لا بأس بذلك فأمر بصندوق

وفتحه وأخرج منه تفاحًا من جملتها أشجارًا من الذهب وأوراقها من الزمرد الأبيض وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض فتعجب الخليفة من ذلك ثم أحضر صندوقا ثانيا وأخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ واليواقيت والزمرد الأخضر ثم قال أبو محمد الكسلان يا أمير المؤمنين لاتظن إنى حملت لك هذا فزعًا من شيء ولاطمعًا فى شيء وإنما رأيت نفسى رجلا عاميًا ورأيت هذا لايصلح إلا لأمير المؤمنين فإن أذنت لى فرجتك على بعض ما أقدر عليه فقال الرشيد افعل ما شئت حتى ننظر فقال سمعا وطاعة ثم حرك شفتيه وأومأ إلى شراريف القصر فمالت إليه ثم أشار إليها فرجعت إلى موضعها فتعجب الرشيد من ذلك غاية العجب وقال له من أين لك هذا كله وأنت ماتعرف إلا بأبى محمد الكسلان وأخبرونى أن أباك كان رجلاً حلاقًا يخدم فى حمام وما خلف لك شيئًا فقال ياأمير المؤمنين اسمع حديثى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال للخليفة يا أمير المؤمنين اسمع حديثى فإنه عجيب وأمره غريب لو كتب بالإبر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بما عندك وأخبرنى به يا أبا محمد فقال يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين أن أخبار الناس تعرف بأنى أعرف بابو محمد الكسلان وأن أبى لم يخلف لى مالا صدق لأن أبى لم يكن إلا كما ذكرت لك كان حلاقًا فى حمام وكنت أنا فى صغرى أكسل من يوجد على وجه الأرض وبلغ من كسلى أنى إذا كنت نائمًا فى أيام الحر وطلعت على الشمس أكسل أن أقوم وأنتقل من الشمس إلى الظل وأقمت على ذلك خمسة عشر عامًا ثم إن أبى توفى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف لى شيئًا وكانت أمى تخدم الناس وتطعمنى وتسقينى وأنا راقد على جنبى فاتفق أن أمى دخلت على فى بعض الأيام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت يا ولدى بلغنى أن الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصين وكان ذلك



الشيخ يحب الفقراء من أهل الخير فقالت أمي يا ولدى خذ هذه الخمسة دراهم وامض بنا إليه واسأله أن يشترى لك بها شيئًا من بلاد الصين لعله يحصل لك فيه ربح من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فأقسمت بالله إن لم أقم معها لاتطعمنى ولا تسقينى ولاتدخل على بل تركتنى أموت جوعًا وعطشًا فلما سمعت كلامها يا أمير المؤمنين علمت أنها تفعل ذلك لما تعلم من كسلى فقلت لها أقعدينى فأقعدتنى وأنا باكى العين وقلت لها أئتينى بمداسى فأتتنى به فقلت ضعيه فى رجلاى فوضعته فيهما فقلت اسندينى حتى أمشى فصارت تسندنى وما زلت أمشى وأتعثر فى أذيالى إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر فسلمنا على الشيخ وقلت له ياعم أنت أبو المظفر قال لبيك قلت خذه هذه الدراهم واشتر لى بها شيئًا من بلاد الصين عسى الله أن يربحنى فيه فقال الشيخ المظفر لأصحابه أتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بأبى محمد الكسلان ما رأيناه قط خرج من داره إلا فى هذا الوقت فقال الشيخ أبو المظفر ياولدى هات الدراهم على بركة الله تعالى ثم أخذ منى الدراهم وقال باسم الله ثم رجعت مع أمي إلى البيت وتوجه الشيخ أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بلاد الصين ثم إن الشيخ باع واشترى وبعد ذلك عزم على الرجوع هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم وساروا فى البحر ثلاثة أيام فقال الشيخ لأصحابه قفوا بالمركب فقال التجار ماحاجتك فقال اعلموا أن الرسالة التى معى لأبى محمد الكسلان نسيتها فارجعوا بنا حتى نشترى له بها شيئًا حتى ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى أن لاتردنا فإننا قطعنا مسافة طويلة زائدة وحصل لنا فى ذلك أهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لا بد لنا من الرجوع فقالوا خذ منا أضعاف ربح الخمسة دراهم ولاترد فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلا ساروا حتى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثيرة فأرسوا عليها وطلع التجار يشترونى منها متجرًا من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى أبو المظفر رجلا جالسًا وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم ويضربهم ويقيدهم ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد

ويضربونه ثم إن الشيخ أبو المظفر لما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه أتبيعنى هذا القرد قال اشتر وقال إن معى لصبى يتيم خمسة دراهم هل تبيعنى إياه بها فقال له بعتك بارك الله لك فيه ثم تسلمه وقبض الدراهم وأخذ عبيد الشيخ القرد وربطوه فى المركب ثم حلوا وسافروا إلى جزيرة أخرى فأرسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن واللؤلؤ والجواهر وغير ذلك فأعطاهم التجار دراهم أجر على الغطاس فغطسوا فرآهم القرد يفعلون ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطس معهم فقال أبو المظفر لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذى أخذناه له ويأسوا على القرد ثم طلع جماعة من الغطاسين وإذا بالقدر طلع معهم وفى يده نفائس الجواهر فرماها بين يدى أبى المظفر فتعجب من ذلك وقال إن هذا القرد فيه سر عظيم ثم حلوا وسافروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من السودان يأكلون لحم بنى آدم فلما رأوهم السودان ركبوا عليهم فى القوارب وأتوا إليهم وأخذوا كل من فى المركب وكتفوهم وأتوا بهم إلى الملك فأمر بذبح جماعة من التجار فذبحوهم وأكلوا لحومهم ثم إن بقية التجار باتوا محبوسين وهم فى نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القرد إلى أبى المظفر وحل قيده فلما رأى التجار أبا المظفر قد انحل قالوا عسى الله أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفر فقال لهم اعلموا أنه ما خلصنى بارادة الله تعالى إلا هذا القرد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا المظفر قال ماخلصنى بإرادة الله تعالى إلا هذا القرد وقد خرجت له عن ألف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن ألف دينار إن خلصنا فقام القرد إليهم وصار يحل واحداً بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا إلى المركب ثم حلوا وسافر وافقال أبوالمظفر يا تجار أوفوا الذى قلتم عليه فقالوا سمعًا وطاعة ودفع له كل واحد منهم ألف دينار فاجتمع للقرد من المال شىء عظيم ثم سافروا حتى وصلوا إلى مدينة البصرة فتلقاهم أصحابهم حين طلعوا من المركب فقال أبو المظفر أين محمد الكسلان فقلت لهم



نعم فلما رآنى قال لى أهلا بمن كانت دراهمه سببًا لخلاصى وخلاص هؤلاء التجار بإرادة الله تعالى ثم قال لى خذ هذا القرد فإنى اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتى أجىء إليك فبينما أنا جالس وإذا بعبيد أبا المظفر قد أقبلوا علىّ وقالوا هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت لهم نعم وإذا بأبى المظفر أقبل خلفهم فقمت إليه وقبلت يديه فقال لى سير معى إلى دارى فقلت سمعا وطاعة وسرت معه إلى أن دخلت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٤٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم سرت معه ودخلت الدار فأمر عبيده أن يحضروا بالمال فحضروا به فقال ياولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه فى صناديقه على رؤسهم وأعطانى مفاتيح تلك الصناديق وقال لى امض قدام العبيد إلى دارك فإن هذا المال كله لك فمضيت إلى أمى ففرحت بذلك وقالت ياولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل وأنزل إلى السوق وبع واشترى فتركت الكسل وفتحت دكانًا فى السوق وصار القرد يجلس معى على مرتبتى فإذا أكلت يأكل معى وإذا شربت يشرب معى وصاركل يوم من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهر ثم يأتى ومعه كيس فيه ألف دينار فيضعه فى جانبى ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندى مال كثير فاتفق فى بعض الأيام أننى كنت جالسًا والقرد جالس معى على المرتبة وإذا به تلفت يمينًا وشمالا فقلت فى نفسى أى شىء خبر هذا فأنطق الله القرد بلسان فصيح وقال يا أبا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعًا شديدًا فقال لاتفزع أنا أخبرك بحالى أنى أنا مارد من الجن ولكن جئتك بسبب ضعف حالك وأنت اليوم لاتدرى قدر مالك وقد وقعت لى عندك حاجة وهى خير لك فقلت ماهى قال أريد أن أزوجك بصبية مثل البدر فقلت له وكيف ذلك فقال لى غد ألبسك قماشك الفاخر واركب بغلتك بالسرج المذهب وامض إلى سوق العلافين وأسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له إنى جئت خاطبًا راغبًا فى ابنتك فإن قال لك أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له ألف دينار فإن قال زدنى ، فزده ورغبه فى المال

فقال سمعا وطاعة فى غدا افعل ذلك إن شاء الله تعالى ، قال أبو محمد الكسلان فلما أصبحت لبست أفخر قماشى وركبت البغلة بالسرج المذهب ثم مضيت إلى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالسًا فى دكانه فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

(أبا المظفر وبجواره القرد وهو يقول لأبى محمد الكسلان هذا الذى اشتريته لك)



الليلة (٣٤٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معى عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل ذلك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لى عندك حاجة قال وما حاجتك فقلت جئتك خاطبًا راغبًا فى ابنتك فقال لى ليس لك مال ولاحسب ولانسب فاخرجت له كيسا فيه ألف دينار ذهبًا أحمر وقلت له هذا حسبى ونسبى وقال ، قال ﷺ : «نعم الحسب بالمال» ، فلما سمع الشريف هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه وقال لى أن كان ولابد فإنى أريد منك ثلاثة آلاف دينار أخرى فقلت سمعًا وطاعة ثم أرسلت بعض المماليك إلى منزلى فجاءنى بالمال الذى طلبه فلما رأى ذلك وصل إليه وقام من الدكان وقال لغلمانه اقفلوها ثم دعا أصحابه من السوق إلى داره وكتب كتابى على وقال لى بعد عشرة أيام أدخلك عليها ثم مضيت إلى منزلى وأنا فرحان فخلوت مع القرد وأخبرته بما جرى لى فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال القرد وأنا لى عندك حاجة أن قضيتها إلى فلك عندى ما شئت قلت وما حاجتك قال لى إن فى صدر القاعة التى تدخل فيها على ابنته بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد صندوقًا من حديد على أركانه أربع رايات من الطلسم وفى وسط ذلك طشت ملآن من المال وفى جانبه إحدى عشرة حية وفى وسط الطشت ديك أفرق أبيض مربوط وهناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين وأذبح بها الديك واقطع الرايات واقلب الصندوق وبعد ذلك اخرج للعروسة وأزل بكارتها فهذه حاجتى عندك فقلت سمعا وطاعة ثم مضيت إلى دار الشريف فدخلت القاعة ونظرت إلى الخزانة التى وصفها إلى القرد فلما خلوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها ففرحت فرحًا شديدًا فلما كان نصف الليل ونامت العروسة وقمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخذت السكين وذبحت الديك وقطعت الرايات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٣٤٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه قال لما ذبحت الديك وقطعت الرايات وقلبت الصندوق فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لاحول ولا قوة إلا باالله العلى العظيم قد أخذنى المارد فلما استتمت كلامها إلا وقد أحاط المارد بالدار وخطف العروسة

(المارد وهو يأخذ العروسة بعدما قلب أبا محمد الكسلان الصندوق الذى فيه الطلاسم وقطع الرايات التى بجانبه)



فعند ذلك وقعت الضجة وإذا بالشريف قد أقبل وهو يلطم على وجهه وقال يا أبا محمد هل هذا جزاؤنا منك وأنا عملت هذا الطلسم فى هذه الخزانة خوفًا على بنتى من هذا الملعون فإنه كان يقصد أخذ هذه الصبية منذ ست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقى لك عندنا مقام فامض إلى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت إلى دارى وفتشت على القرد فلم أجده فندمت وقطعت أثوابى ولطمت على وجهى ولم تسعنى الأرض فخرجت من ساعتى وقصدت البرية ولم أزل سائر إلى أن أمسى على المساء ولم أعلم أين أروح فبينما أنا مشغول الفكر إذ أقبل على حيتان واحدة سمراء والأخرى بيضاء وهما يتقاتلان فأخذت حجرًا من الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فإنها كانت باغية على البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشرة حيات بيض فجاءوا إلى الحية التى ماتت وقطعوها قطعًا حتى لم يبق إلا رأسها ثم مضوا إلى حال سبيلهم واضطجعت فى مكانى من التعب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال ثم اضطجعت من التعب فبينما أنا مضطجع متفكر فى أمرى وإذا أنا بهاتف أسمع صوته ولم أر شخصه وهو يقول هذين البيتين :

دع المقادير تجرى فى أعنتها　　　ولا تبيتن إلا خالى البال
مابين طرفة عين وانتباهتها　　　يغير الله من حال إلى حال

فلما سمعت ذلك لحقنى يا أمير المؤمنين أمرشديد وفكر ما عليه من مزيد وإذا بصوت من خلفى ينشد هذه البيتين :

يا مسلما أمامه القرآن　　　أبشر به قد جاءنا الأمان
ولاتخف ماسول الشيطان　　　فنحن نقوم ديننا الإيمان

فقلت له بحق معبودك أن تعرفنى من أنت فانقلب ذلك الهاتف فى صورة إنسان وقال لى لا تخف فإن جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جن المؤمنين فإن كان لك حاجة فأخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له إن لى حاجة عظيمة فقال لعلك أبو محمد الكسلان فقلت نعم

(أبا محمد الكسلان وهو راكب على ظهر المارد وهو طائر به عندما أقبل عليهما الشخص وقال له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله)



فقال يا أبا محمد أنا أخو الحية البيضاء التى قتلت أنت عدوها ونحن أربعة إخوة من أم وأب وكلنا شاكرون لفضلك واعلم أن الذى كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولولا أنه تخيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبدا لأن له مدة طويلة وهو يريد أخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقى هذا الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها ولكن لاتجزع من هذا الأمر فنحن نوصلك إليها ونقتل المارد فإن جميلك لايضيع عندنا ثم إنه صاح صيحة عظيمة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريت قال فإن جميلك لايضيع عندنا ثم إنه صاح صيحة عظيمة بصوت هائل وإذا بجماعة قد أقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم أنا أعرف مستقرة قال فى مدينة النحاس التى لا تطلع عليها الشمس فقال يا أبا محمد خذ عبدًا من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم أن ذلك العبد مارد من المردة فإذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حاملك فإنه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعًا وطاعة وأخذت عبدًا من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طار فى الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسى وسمعت تسبيح الملائكة فى السماء كل هذا والمارد يحدثنى ويفرجنى وينهينى عن ذكر الله تعالى فبينما أنا كذلك وإذا بشخص عليه لباس أخضر ذوائب شعر ووجه منير وفى يده حربة يطير منها الشرر قد أقبل على وقال لى يا أبا محمد قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وإلا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتى قد تقطعت من سكوتى عن ذكر الله فقلت لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم إن ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رمادًا فسقطت من فوق ظهره فصرت أهوى إلى الأرض حتى وقعت فى بحر عجاج متلاطم بالأمواج وإذا بسفينة فيها خمسة أشخاص بحرية فلما رأونى أتوا إلىّ وحملونى فى السفينة ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بى مدينتهم فدخلوا بى إلى ملكهم وأوقفونى بين يديه

فقبلت الأرض فخلع على خلعة وكان ذلك الملك يعرف اللغة العربية فقال قد جعلتك من أعوانى فاقمت فيها مدة شهر ثم أتيت على نهر وجلست على شاطئه فبينما أنا جالس وإذا بفارس قد أتى وقال هل أنت أبو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لاتخف فإن جميلك وصل إلينا فقلت له من أنت قال أنا أخو الحية وأنت قريب من مكان الصبية التى تريد الوصول إليها ثم خلع أثوابه وألبسنى إياها وقال لاتخف فإن العبد الذى هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم إن ذلك الفارس أردفنى خلفه وسار بى إلى برية وقال أنزل من خلفى وسر بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيدًا عنها ولاتدخلها حتى أعود إليك وأقول لك كيف تصنع فقلت له سمعا وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت إلى المدينة فرأيت سورها فجعلت أدور حولها فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخ الحية قد أقبل على وأعطانى سيفًا مطلسمًا حتى لايرانى أحد ثم إنه مضى إلى حال سبيله فلم يغب عنى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا محمد الكسلان قال لم يغب عنى إلا قليلا وإذا بصياح قد علا ورأيت خلقا كثيرًا وأعينهم فى صدورهم فلما رأونى قالوا من أنت وما الذى رماك فى هذا المكان فأخبرتهم بالواقعة فقالوا إن الصبية التى ذكرتها مع المارد فى هذه المدينة وما ندرى مافعل بها ونحن إخوة ثم قالوا امض إلى تلك العين وأنظر من أين يدخل الماء وادخل معه فإنه يوصلك إلى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء فى سرداب تحت الأرض ثم طلعت معه فرأيت نفسى فى وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه أشجار من الذهب فلما رأتنى تلك الصبية عرفتنى وابتدأتنى بالسلام وقالت لى ياسيدى من أوصلك إلى هذا المكان فأخبرتها بما جرى فقالت لى أعلم أن هذا الملعون من كثرة محبته لى اعلمنى بالذى يضره والذى ينفعه وأعلمنى أن فى هذه

المدينة طلسمان أن شاء هلاك جميع من فى المدينة أهلكهم به ومهما أمر العفاريت فإنهم يمتثلون أمره وذلك الطلسم فى عمود فقلت لها وأين العمود فقالت فى المكان الفلانى فقلت وأى شىء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وارم فيها شيئاً من المسك فيطلع دخان ويجذب العفاريت فإذا فعلت ذلك فإنهم يحضرون بين يديك كلهم ولايغيب منهم أحد ويمتثلون أمرك ومهما أمرتهم فإنهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت وذهبت إلى ذلك العمود وفعلت جميع ما أمرتنى به فجاءت العفاريت فقلت لهم قيدوا المارد الذى جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا إلى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه ورجعوا إلى وقالوا قد فعلنا ما أمرتنا به فأمرتهم بالرجوع ثم رجعت إلى الصبية وأخبرتها بما حصل وقلت يا زوجتى هل تروحين معى فقالت نعم ثم إنى طلعت بها من السرداب الذى دخلت منه وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذى كانوا دلونى عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه قال وسرنا حتى وصلنا إلى القوم الذين كانوا دلونى عليها ثم قلت دلونى على طريق توصلنى إلى بلادى فدلونى ومشوا معى إلى ساحل البحر وأنزلونى فى مركب وطاب لنا الريح فسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار أبيها رأوها أهلها ففرحوا فرحًا شديداً ثم إنى بخرت العقاب بالمسك وإذا بالعفاريت قد أقبلوا من كل مكان وقالوا لبيك فيما تريد أن تفعل فأمرتهم أن ينقلوا كل مافى مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى دارى التى فى البصرة ففعلوا ذلك ثم أمرتهم أن يأتوا بالقرد فأتوا به ذليلا حقيراً فقلت له ياملعون لأى شىء غدرت بى ثم أمرتهم أن يدخلوه فى قمقم نحاس فأدخلوه فى قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه الرصاص وأقمت وأنا وزوجتى فى هناء وسرور فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم أعطاه مواهب الخلافة عوضًا عن هديته وأنعم عليه إنعامًا يليق به .

(حكاية على شار مع زمرد الجارية)

(وحكى) أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان تاجر من التجار فى بلاد خراسان اسمه محمد وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان إلا أنه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولداً وبعد ذلك رزقه الله تعالى ولدا فسماه علياً فلما نشأ ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال يا ولدى إنه قد قرب وقت المنية وأريد أن أوصيك بوصية فقال له وماهى ياوالدى فقال له أوصيك إنك لاتعاشر أحد من الناس وتجنب مايجلب الضر والباس وإياك وجليس السوء فإنه كالحداد إن لم تحرقك ناره يضرك دخانه وما أحسن قول الشاعر :

ما فى زمانك من ترجو مودته   ولا صديق إذا خان الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن إلى أحد   ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

فقالت سمعت وأطعت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٤٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبى قال لأبيه سمعت وأطعت ثم كما قال ياولدى احفظ الله يحفظك وصن مالك ولاتفرط فيه فإنك أن فرطت فيه تحتاج إلى أقل الناس واعلم أن قيمة المرء ما ملكت يمينه .

فقال ثم ماذا قال ياولدى شاور من هو أكبر منك سناً ولا تعجل فى الأمر الذى تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولاتظلم أحد فيسلط الله عليك من بظلمك وما أحسن قول الشاعر :

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر   فالرأى لايخفى على الاثنين
فالمـــرء مـــرآة تـــريـه وجـهـه   ويـــرى قفاه بجمع مرآتين



وقول الآخر :

تأن ولا تعجل لأمر تريده وكن راحمًا للناس تبلى براحم
فما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وإياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشر به مذهب العقول ويزرى بصاحبه وما أحسن قول الشاعر :

تالله لا خامرتنى الخمر ماعلقت روحى وجسمى وأقوالى بإفصاحى
ولا صوت إلا مشمولة أبدا يومًا ولا اخترت ندمانا سوى الصاحى

فهذه وصيتى لك فاجعلها بين عينيك والله خليفتى عليك ثم غشى عليه فسكت ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهد وتوفى إلى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم أخذ فى تجهيزه على ما يجب ومشيت فى جنازته الأكابر والأصاغر وصار القراء يقرءون حول تابوته وما ترك من حقه شيئًا إلا وفعله ثم صلوا عليه وواروه فى التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين :

خلقت من التراب فصرت حيا وعلمت الفصاحة فى الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت ميتا كأنك ما برحت من التراب

ثم حزن عليه ولده شا حزنًا شديدًا وعمل عزاء على عادة الأعيان واستمر حزينًا على أبيه إلى أن ماتت أمه بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل مافعل بأبيه ثم بعد ذلك جلس فى الدكان يبيع ويشترى ولايعاشر أحدًا من خلق الله تعالى عملا بوصية أبيه واستمر على ذلك مدة سنة وبعد السنة دخلت عليه النساء الزوانى بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم إلى الفساد وأعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالأقداح إلى الملاح غدا ورواح وقال فى نفسه إن والدى جمع لى هذا المال وأنا أن لم أتصرف فيه فلمن أخليه .

ومازال على شار يبذل فى المال بآناء الليل وأطراف النهار حتى ذهب ماله كله وافتقر فساء حاله وتكدر باله وباع الدكان والأماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع فى الحسرة وقعد يومًا من الصبح إلى العصر

بغير إفطار فقال فى نفسه أنا أدور على الذين كنت أنفق مالى عليهم لعل أحدًا منهم يطعمنى فى هذا اليوم فدار عليهم جميعًا وكلما طرق باب أحد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى أحرقه الجوع ثم ذهب إلى سوق التجار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على شار أحرقه الجوع فذهب إلى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال فى نفسه يا ترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا أنتقل من هذا المكان حتى أتفرج على هذه الحلقة ثم تقدم فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت أهل زمانها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال .

وكانت تلك الجارية اسمها زمردة فلما نظرها على شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله لا أبرح حتى أنظر القدر الذى يبلغه ثمن هذه الجارية وأعرف الذى يشتريها ثم وقفت بجملة التجار فظنوا أنه يشترى لما يعلمون من غناه بالمال الذى ورثه من والده ثم إن الدلال وقف على رأس الجارية وقال ياتجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر فى هذه الجارية سيدة الأقمار السنية زمردة السنورية فقال بعض التجار على بخمسمائة دينار وقال آخر وعشرة فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان أزرق العين قبيح المنظر ومائة وقال آخر وعشرة قال الشيخ بألف دينار فحبس التجار السنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال أنا حالف أنى ما أبيعها إلا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال إليها وقال ياسيدة الأقمار إن هذا التاجر يريد أن يشتريك فنظرت إليه فوجدته كما ذكرت فقالت للدلال أنا لا أباع لشيخ أوقعته الهموم فى أسوأ حال ولله در من قال :

سـألتها قبلة يومـا وقـد نظـرت ... شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعـرضت عـن مـرامى وهى قـائلة ... لا والذى خلق الإنسان من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب ... أفى الحياة يكون القطن حشو فمى



فلما سمع الدلال قولها قال لها والله أنك معذورة وقيمتك عشرة آلاف دينار ثم اعلم سيدها أنها ما رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها فى غيره فتقدم إنسان آخر وقال على بما أعطى فيها الشيخ فشاورها فنظرت إليه فوجدته أعور فقالت هذا باعور فقال لها الدلال ياسيدتى انظرى من يعجبك من الحاضرين وقولى عليه حتى أبيعك له فنظرت إلى حلقة التجار وتفرستهم واحداً بعد واحد فوقع نظرها على على شار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما وقع نظرها على على شار نظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فقالت يادلال أنا لا أباع إلا لسيدى صاحب هذا الوجه المليح والقد الرجيح الذى قال فيه بعض واصفيه :

أبرزوا وجهك الجميل ولاموا من افتتن لو أرادوا صيانتى ستروا وجهك الحسن

فلا يمكننى إلا هو لأن خده أسيل ورضا به سلسبيل وريقه يشفى العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر :

فريقه خمر وأنفاسه مسك وذا الثغر كافور
أخرجه رضوان من داره مخافة أن تفتن الحور
يلومه الناس على تيهه والبدر مهما تاه معذور

فلما سمع الدلال ما أنشدته من الأشعار فى محاسن على شار تعجب من فصاحتها وإشراق بهجتها فقال لها صاحبها بعها لكل من أرادته فرجع الدلال على على شار وقبل يديه وقال ياسيدى اشترى هذه الجارية فإنها اختارتك وذكر له صفتها وماتعرفه وقال له هنيئا لك إذا اشتريتها فإنه قد أعطاك من لايبخل بالعطاء فأطرق على شار برأسه ساعة إلى الأرض وهو يضحك على نفسه ويقول فى سره أنا إلى هذا الوقت من غير افطار ولكن أختشى من التجار أن أقول ما عندى مال أشتريها به فنظرت الجارية إلى أطرافه وقالت للدلال خذ بيدى وامض بى

إليه حتى أعرض نفسى عليه وأرغبه فى أخذى فإنى ما أباع إلا له فأخذها الدلال وأوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك ياسيدى فلم يرد عليه جوابًا فقالت الجارية ياسيدى وحبيب قلبى مالك لاتشترينى فاشترنى بما شئت وأكون سبب سعادتك فرفع رأسه إليها وقال هل الشراء بالغصب أنت غالية بألف دينار فقالت له ياسيدى اشترنى بتسعمائة دينار قال لا قالت بثمانمائة قال لا فمازالت تنقص بالثمن إلى أن قالت له بمائة دينار قال ما معى مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال لا معى مائة ولاغيرها وأنا والله ما أملك أبيض ولا أحمر من درهم ولا دينار فانظرى لك زبونًا غيرى فلما علمت أنه ما معه شىء قالت له خذ بيدى على أنك تقبلنى فى عطفة ففعل ذلك فأخرجت من جيبها كيسا فيه ألف دينار وقالت زن منه تسعمائة فى ثمنى وأبق المائة معك تنفعنا ففعل ما أمرته به واشتراها بتسعمائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها إلى الدار فلما وصلت إلى الدار وجدتها قاعا صفصفًا لا فرش بها ولا أوانى فأعطته ألف دينار وقالت له امضى إلى السوق واشتر لنا بثلثمائة دينار فرشًا وأوانى للبيت ففعل ثم قالت له اشتر لنا مأكولا ومشروبًا . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت له اشتر لنا مأكولا ومشروبًا بثلاثة دنانير ثم قالت له اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصبًا أصفر وأبيض وحريرًا ملونًا سبعة ألوان ففعل ثم إنها فرشت البيت وأوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هى وإياه وبعد ذلك قاموا إلى الفراش وقضوا الغرض من بعضهما ثم باتا متعانقين خلف الستائر واستمرا متعانقين إلى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما فى قلب صاحبه ثم أخذت بستر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت فى دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشا فى الدنيا إلا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيها ثمانية أيام فلما فرغ صقلته



وطوته ثم أعطته لسيدها وقالت له اذهب به إلى السوق ربعه بخمسين دينارًا للتاجر واحذر أن تبيعه لأحد عابر طريق فإن ذلك يكون سببًا فى الفراق بينى وبينك لأن لنا أعداء لا يغفلون عنا فقال سمعا وطاعة ثم ذهب به إلى السوق وباعه لتاجر كما أمرته وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة ومايحتاجان إليه من الطعام وأحضر لها ذلك وأعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية أيام تعطيه سترًا يبيعه بخمسين دينار ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح إلى السوق بالستر على العادة وأعطاه للدلال فعرض له نصرانى فدفع له ستين دينارا فأمتنع فما زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على على شار وأخبره بالثمن وتحيل عليه فى أن تبيع الستر للنصرانى بذلك المبلغ وقال له ياسيدى لاتخف من هذا النصرانى وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصرانى وقلبه مرعوب ثم قبض المال ومضى إلى البيت فوجد النصرانى ماشيًا خلفه فقال له يانصرانى مالك ماشيا خلفى فقال له ياسيدى إن لى حاجة فى صدر الزقاق الله لايحوجك فما وصل على شار إلى منزله إلا والنصرانى لاحقه فقال يا ملعون مالك تتبعنى بينما أسير فقال ياسيدى اسقنى شربة ماء فإنى عطشان وأجرك على الله تعالى فقال على شار فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا أخيبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على شار قال فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا أخيبه ثم دخل البيت وأخذ كوز ماء فرأته جاريته زمرد فقالت ياحبيبى هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر أو لعابر سبيل قد أحس قلبى بالفراق قال ما بعته إلا لتاجر قالت أخبرنى بحقيقة الأمر حتى أتدارك شأنى وما بالك أخذت كوز الماء فقالت لاحول ولاقوة إلا بالله العظيم ثم أنشدت هذين البيتين :

يا طالبا للفراق مهلا فلا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر وآخر الصحبة الفراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصرانى داخلا فى دهليز البيت فقال له هل وصلت إلى هنا ياكلب كيف تدخل بغير إذنى فقال ياسيدى لافرق بين الباب والدهليز وما بقيت أنتقل من مكانى هذا إلا للخروج وأنت لك الفضل والاحسان والجود والامتنان ثم إنه تناول كوز الماء وشرب منه وبعد ذلك ناوله إلى على شار فأخذه وأنتظر أن يقوم فما قام فقال له لأى شىء لم تقم وتذهب إلى حال سبيلك فقال يامولاى إنى قد شربت ولكن أريد منك أن تطعمنى مهما كان من البيت حتى إذا كان كسرة قرقوشة وبصلة فقال له قم بلا مماحكة ما فى البيت شىء فقال يامولاى إن لم يكن فى البيت فخذ هذه المائة دينار واتتنى بشىء من السوق ولو برغيف واحد ليصير بينى وبينك خبز وملح فقال على شار فى سره إن هذا النصرانى مجنون فأنا آخذ منه المائة دينار آتى له بشىء يساوى درهمين وأضحك عليه فقال النصرانى يا سيدى إنما أريد شيئًا يطرد الجوع ولو رغيفًا واحدًا وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع فقال على شار اصبر هنا حتى أقفل القاعة وآتيك بشىء من السوق فقال له سمعا وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا وأخذ المفتاح معه وذهب إلى السوق واشترى جبنًا مقليا وعسلا أبيض وموزًا وخبزًا وأتى به إليه فلما نظر النصرانى إلى ذلك قال يامولاى هذا شىء كثير يكفى عشرة رجال وأنا وحدى فلعلك تأكل معى فقال له كل وحدك فإنى شبعان فقال له يامولاى قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع على شار من النصرانى هذا الكلام جلس وأكل معه شيئًا وأراد أن يرفع يده . وهنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على شار جلس وأكل معه شيئًا قليلا وأراد أن يرفع يده فأخذ النصرانى موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل فى نصفها بنجا مكررًا ممزوجًا بأفيون الدرهم منه يرمى الفيل ثم غمس نصف الموز فى العسل وقال يامولاى وحق دينك أن تأخذ هذه فاستحى على شار أن يحنثه فى يمينه فأخذها منه وابتلعها فما استقرت فى بطنه حتى سبقت



رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلما رأى النصرانى ذلك قام على قدميه كأنه ذئب أمعط أو قضاء مسلط وأخذ منه مفتاح القاعة وتركه مرميًا وذهب يجرى إلى أخيه وأخبره بالخبر وسبب ذلك أن أخا النصرانى هو الشيخ الهرم الذى أراد أن يشتريها ألف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافرًا فى الباطن ومسلمًا فى الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين ولما هجته



(برسوم النصرانى عندما أتى بزمرد من منزل على شار ووضعها أمام أخيه الكاهن)

ولم ترض به شكا إلى أخيه النصرانى الذى تحيل فى أخذها من سيدها على شار وكان اسمه برسوم فقال لاتحزن من هذا الأمر فأنا أتحيل لك فى أخذها بلا درهم ولا دينار لأنه كان كاهنًا ماكرًا مخادعًا فاجرًا ثم إنه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التى ذكرناها وأخذ المفتاح وذهب إلى أخيه وأخبره لما حصل وركب بغلته وأخذ غلمانه وتوجه مع أخيه إلى بيت على شار وأخذ معه كيسًا فيه ألف دينار إذا صادفة الوالى فيعطيه إياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد وأخذوها قهرًا وهددوها بالقتل أن تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيئًا وتركوا على شار راقدًا فى الدهليز ثم ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة فى جانبه ومضى بها النصرانى إلى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها يا فاجرة يا عاشقة سوف تنظرين ما أفعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء إن لم تطاوعينى وتدخلى فى دينى لأعذبنك بأنواع العذاب فقالت له لوقطعت لحمى قطعًا ما أفارق دين الإسلام ولعل الله تعالى يأتينى بالفرج القريب إنه على مايشاء قدير وقالت العقلاء مصيبة فى الأبد ولامصيبة فى الأديان فعند ذلك صاح على الخدم والجوارى وقال لهم اطرحوها فطرحوها ومازال يضربها ضربًا عنيفًا وصارت تستغيث فلا تُغاث ثم استغاثت بسيدنا محمد ﷺ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زمرد استغاثت بسيدنا محمد ﷺ هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر على شار فإنه لم يزل راقدًا إلى ثانى يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلا يا زمرد فلم يجبه أحد فدخل القاعة فوجد الجو قفرًا والمزار بعيد فعلم أنه ماجرى عليه هذا إلا من النصرانى فحن وبكى وأن واشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

يا وجد لا تبقى على ولا تذر ... ها مهجتى بين المشقة والخطر

يا سادتى رقوا لعبد ذل فى ... شرع الهوى وغنى قوم افتقر



ما حيلة الرامى إذا التقت العدا وأراد يرمى السهم فانقطع الوتر
وإذا تكاثرت الهموم على الفتى وتراكمت أين المفر من القدر
ولكم أحاذر من تفرق شملنا ولكن إذا نزل القضاء عمي البصر

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق أثوابه وأخذ بيديه حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما فى صدره ويصيح قائلاً يازمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكل من عرفه يبكى عليه ويقول هذا فلان ما الذى جرى له ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار وبعد ذلك رجع إلى قاعة البيت فيها فنظرته جارته وكانت امرأة عجوز من أهل الخير فقالت له يا ولدى سلامتك متى جننت فأجابها بهذين البيتين :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ما لذة العيش إلا للمجانين
دعوا جنونى وهاتوا من جننت به إن كان يشفى جنونى لاتلومونى

فعلمت جارته العجوز أنه عاشق مفارق فقالت لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ياولدى أشتهى منك أن تحكى لى خبر مصيبتك عسى الله أن يقدرنى على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها ماحصل مع برسوم النصرانى أخى الكاهن الذى سمى نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدى إنك معذور ثم أفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

كفى المحبين فى الدنيا عذابهم تالله لاعذبتهم بعدها سقر
لأنهم هلكوا عشقًا وقد كتموا مع العفاف بهذا يشهد الخبر

فلما فرغت من شعرها قالت ياولدى قم الآن واشتر قفصًا مثل أقفاص أهل الصاغة واشتر أساور وخواتم وحلقانًا وحليًا يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك فى القفص وهات القفص وأنا أضعه على رأسى فى صورة دلالة وأدور وأفتش عليها فى البيوت حتى أقع على خبرها إن شاء الله تعالى ففرح على شار بكلامها وقبل يدها ثم ذهب بسرعة وأتى لها بما طلبته فلما أحضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعة ووضعت على رأسها . ازارًا عمليًا وأخذت فى يدها عكاز وحملت القفص ودارت فى العطف والبيوت ولم تزل دائرة من مكان إلى آخر إلى أن

دلها الله تعالى على قصر الملعون رشيد الدين النصرانى فسمعت من داخله أنينًا فطرقت الباب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت من داخل البيت أنينًا طرقت الباب فنزلت جارية ففتحت الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز معى هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشترى منها شيئًا فقالت لها الجارية نعم ثم أدخلتها الدار وأجلستها وجلس الجوارى حولها وأخذت كل واحدة شيئًا منها وصارت العجوز تلاطف الجوارى وتتساهل معهن فى الثمن ففرح بها الجوارى بسبب معروفها فلاحت منها التفاتة إليها فحابتهم وأحسنت وتأملت فوجدت زمرد مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا أولادى مابال هذه الصبية فى هذا الحال فحكى لها الجوارى جميع القصة وقلن لها الأمر ليس باختيارنا ولكن سيدنا أمر بهذا وهو مسافر الآن فقالت لهم يا أولادى عندكم حاجة وهى أنكم تحلون هذه المسكينة من الرباط إلى أن تعلموا بمجىء سيدكم فتربطوها كما كانت وتكسبوا الأجر من رب العالمين فقلن لها سمعًا وطاعة ثم قالت العجوز يا ليت رجلى انكسرت ولا دخلت لكم بعد ذلك ذهبت إلى زمرد وقالت لها يابنتى سلامتك سيفرج الله عنك ثم ذكرت لها إنها جاءت من عند سيدها على شار ووعدتها أنها فى ليلة غد تكون حاضرة وتلقى سمعها للحس وقالت لها إن سيدك يأتى إليك تحت مصطبة القصر ويصفر لك فإذا سمعت ذلك فصفرى له وتدلى له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضى فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت إلى على شار وأعلمته وقالت له توجه فى الليلة القابلة نصف الليل إلى الحارة الفلانية فإن بيت الملعون هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره وصفر فإنها تتدلى إليك فخذها وامض بها إلى حيث شئت فشكرها على ذلك ثم إنه صبر إلى أن جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب إلى تلك الحارة التى وصفتها له جارته ورأى القصر فعرف وجلس على مصطبة تحته وغلب عليه النوم فنام فبينما هو نائم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٢٥٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه بينما هو نائم وإذا بلص من اللصوص وخرج تلك الليلة فى أطراف المدينة ليسرق شيئًا فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصرانى فدار حوله فلم يجد له سبيلا إلى الصعود إليه فصار دائر حوله إلى أن وصل إلى المصطبة فرأى على شار نائمًا فأخذ عمامته وبعد أن أخذها لم يشعر إلا وزمرد طلعت فى تلك الوقت فرأته واقفًا فى الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامى فتدلت له بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبًا فلما رآه اللص قال فى نفسه ما هذا إلا أمر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملها على أكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له إن العجوز أخبرتنى أنك ضعيف بسببى وها أنت أقوى من الفرس فلم يرد عليها جوابًا فحسست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام ففزعت منه وقالت له أى شىء أنت فقال لها ياعاهرة أنا الشاطر جوان الكردى من جماعة أحمد الدنف ونحن أربعون شاطرًا وكلهم فى هذه الليلة يفسقون فى رحمك من العشاء إلى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها فصبرت وسلمت الحكم لله تعالى وقالت لا إله إلا الله كما خلصنا من هم وقعنا فى هم أكبر وكان السبب فى مجىء جوان إلى هذا المحل أنه قال لأحمد الدنف ياشاطر أنا دخلت هذه المدينة قبل الآن وأعرف فيها غارا خارج البلد يسع أربعين نفسًا وأنا أريد أن أسبقكم إليه وأخلى أمى فى ذلك الغار ثم أرجع إلى المدينة وأسرق منها شيئًا على بختكم فقال له أحمد الدنف افعل ماتريد فخرج قبلهم وسبقهم إلى ذلك المحل ووضع أمه فى ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جنديًا راقدا وعنده فرس مربوط فذبحه وأخذ فرسه وسلاحه وثيابه وأخفاها فى الغار عند أمه وربط الحصان هناك ثم رجع المدينة ومشى حتى وصل إلى قصر النصرانى وفعل ماتقدم ذكره من أخذ عمامة على شار ومن أخذ زمرد جاريته ولم يزل يجرى بها إلى أن حطها عند أمه وقال لها احتفظى عليها إلى حين أرجع إليك فى بكرة النهار ثم ذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٥٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جوان الكردى قال لأمه احتفظى عليها حتى أرجع إليك فى بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد فى نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحى بالحيلة كيف أصبر إلى أن يجىء هؤلاء الأربعون رجلا فيتعاقبون على حتى يجعلونى كالمركب الغريقة فى البحر ثم إنها التفتت إلى العجوز أم جوان الكردى وقالت لها ياخالتى أما تقومين بنا إلى خارج الغار حتى أفليك فى الشمس فقالت أى والله يابنتى فإن لى مدة وأنا بعيدة عن الحمام لأن هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بى من مكان إلى مكان فخرجت معها فصارت تفليها وتقتل القمل من رأسها إلى أن استلذت بذلك ورقدت فقامت ولبست ثياب الجندى الذى قتله جوان الكردى وشدت سيفه فى وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كأنها رجل وركبت الفرس وأخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرنى بجاه محمد ﷺ ثم إنها قالت فى نفسها إن رحت إلى البلد ربما ينظرنى أحد من أهل الجندى فلا يحصل لى خبر ثم أعرضت عن دخول المدينة وسارت فى البر الأقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الأرض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيه من الأنهار مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر أقبلت على مدينة فلما وصلت إلى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والأمراء وأكابر أهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت فى نفسها أن أهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولا بد لذلك من سبب ثم إنها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق العساكر وترجلوا وقبلوا الأرض بين يديها وقالوا الله ينصرك يامولانا السلطان فقالت لهم زمرد ما خبركم يا أهل هذه المدينة فقال الحاجب إنه أعطاك من لا يبخل بالعطاء وجعلك سلطانًا على هذه المدينة وحاكمًا على رقاب جميع من فيها واعلم أن عادة أهل هذه المدينة إذا مات ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر إلى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة أيام فأى إنسان جاء من طريقك التى جئت منها يجعلونه سلطانًا عليهم والحمد لله فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت فى نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلـة (٣٥٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زمرد قالت فى نفسها بعد أن وصلت إلى هذا الأمر لعل الله يجمعنى بسيدى فى هذا المكان إنه على ما يشاء قدير ثم سارت فسارت العساكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى أدخلوها القصر فنزلت وأخذها الأمراء والأكابر من تحت إبطيها حتى أجلسوها على الكرسى وقبلوا الأرض جميعًا بين يديها فلما جلست على الكرسى وأمرت بفتح الخزائن ففتحت وأنفقت على جميع العسكر فأحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكى وتدعو الله أن يجمع بينها وبينه واتفق أنها تذكرته فى بعض الليالى وتذكرت أيامها التى مضت لها معه فأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين :

شوقى إليك على الزمان جديد	والدمع قرح مقلتى ويزيد
وإذا بكيت بكيت من ألم الجوى	إن الفراق على المحب شديد

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وأفردت للجوارى والسرارى منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وجلست فى تخت الملك سنة وهى لم تسمع لسيدها خبراً ولم تقف له على أثر فقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وأمرتهم أن يحضروا لها المهندسين والبنائين وأن يبنوا لها تحت القصر ميدانًا طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما أمرتهم به فى أسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيه كراسى الأمراء وأمرت أن يمدوا سماطًا من سائر الأطعمة الفاخرة فى ذلك الميدان ففعلوا ما أمرتهم به ثم أمرت أرباب الدولة أن يأكلوا فأكلوا ثم قالت للأمراء أريد إذا هل الشهر الجديد أن تفعلوا هكذا وتنادوا فى المدينة أن لا يفتح أحد دكانه بل يحضرون جميعًا يأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما أمرتهم به واستمروا على هذه العادة إلى أن هل أول شهر فى السنة الثانية فنزلت إلى الميدان ونادى المنادى يامعشر الناس كافة كل من فتح دكانه أو حاصله أو منزله شنق فى الحال على باب دكانه بل يجب عليكم أن تحضروا جميعا لتأكلوا من

سماط الملك فلما فرغت المناداة ووضع السماط جاءت الخلق أفواجًا فأمرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا فسار كل من جلس على السماط يقول فى نفسه إن الملك لاينظر إلا إلىّ وجعلوا يأكلون وصار الأمراء يقولون للناس كلوا ولاتستحوا فإن الملك يحب ذلك فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك بطول البقاء وذهبت إلى قصرها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة زمرد ذهبت إلى قصرها وهى فرحانة بما رتبته وقالت فى نفسها إن شاء الله تعالى بسبب ذلك أقع على خبر سيدى على شار ولما هل الشهر الثانى فعلت ذلك الأمر على جرى العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وأمرت الناس أن يجلسوا ويأكلوا فبينما هى جالسة على رأس السماط إذ وقعت عينها على برسوم النصرانى الذى كان اشترى السترمن سيدها فعرفته فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذى قدامه الصحن الأرز الحلو فجاء أربعة من العساكر وسحبوه على وجهه وأوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الأكل وقال بعضهم لبعض والله إنه ظالم لم يأكل من طعام أمثاله فقال الناس لبعض اصبر وحتى تنظر ما يجرى عليه فلما قدموه بين يدى الملكة زمرد قالت له ويلك يا أزرق العينين ما اسمك فقال ياملك اسمى على وصنعتى حباك وجئت إلى هذه المدينة من أجل التجارة فقالت زمرد ائتونى بتخت رمل وقلم من نحاس فجاؤوا بما طلبته فى الحال فأخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وقالت له يا كلب كيف تكذب على الملوك أما أنت نصرانى واسمك برسوم وقد أتيت إلى حاجة تفتش عليها فأصدقنى الخبر وإلا وعزة الربوبية لأضربن عنقك فتلجلج النصرانى فقال الأمراء والحاضرون إن هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من أعطاه ثم صاحت على النصرانى وقالت له أصدقنى الخبر وإلا أهلكتك فقال النصرانى العفو



ياملك الزمان إنك صادق فى ضرب الرمل فأنا الأبعد نصرانى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن النصرانى قال العفو يا ملك الزمان إنك صادق فى ضرب الرمل فإن الأبعد نصرانى فتعجب الحاضرون من الأمراء وغيرهم وقالوا إن هذا الملك منجم ما فى الدنيا مثله ثم إن الملكة أمرت بأن يسلخ النصرانى ويحشى جلده تبنًا ويعلق على باب الميدان وأن يحفر وأحفره فى خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمة وترمى عليه الأوساخ والأقذار فقالوا سمعًا وطاعة وفعلوا جميع ما أمرتهم به فلما نظر الخلق ماحل بالنصرانى قالوا أجزاؤه ماحل به فما كان أشأمها لقمة عليه فقال الحشاش الحمد لله الذى عافانى مما حل بهذا حيث حفظنى من أكل ذلك الأرز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الأرز الحلو فى موضع ذلك النصرانى ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جرى العادة وملؤوه بالأصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسى ووقفت العسكر على جرى العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من أهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا إلى موضع الصحن فقال واحد منهم للآخر يا حج خلف قال له لبيك ياحج خالد قال تجنب صحن الأرز الحلو واحذر أن تأكل منه وإن أكلت منه تصبح مشنوقًا ثم إنهم جلسوا حول السماط للأكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة إذ حانت منها التفاتة إلى رجل داخل يهرول من باب المدينة فتأملته فوجدته جوان الكردى اللص الذى قتل الجندى وسبب مجيئه أنه كان ترك أمه ومضى إلى رفقائه وقال لهم إنى كسبت البارحة كسبًا طيبًا وقتلت جنديا وأخذت فرسه وحصل لى فى تلك الليلة خرج ملآن ذهبًا وصبية قيمتها أكثر من الذهب الذى فى الخرج ففرحوا بذلك وتوجهوا إلى الغار فى آخر النهار ودخل الجوان الكردى قدامهم وهم خلفه وأراد أن يأتى لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفرًا فسأل أمه عن حقيقة الأمر فأخبرته بجميع ماجرى

فعض على كفيه ندماً وقال والله لأدورن على هذه الفاجرة وأخذها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائراً فى البلاد وحتى وصل إلى مدينة الملكة زمرد فلما دخل المدينة فلم يجد فيها أحد فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فأعلمنه أن كل شهر يمد السلطان سماطاً وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذى يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكاناً خالياً يجلس فيه إلا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده إليه فقال له واحداً إن أكلت تصبح مشنوقاً فقال له اسكت ولاتنطق بهذا الكلام ثم مد يده إلى الصحن وجره قدامه وكان الحشاش جالساً فى جنبه ولما رآه جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيداً وقال أنا مالى حاجة بهذا الصحن ثم إن جوان الكردى مد يده إلى الصحن وهى فى صورة رجل غراب وغرف بها وأطلعها منه وهى فى صورة خف الجمل : وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جوان الكردى أطلع يده من الصحن وهى فى صورة خف الجمل ودور اللقمة فى كفه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها فى فمه بسرعة فانحدرت فى حلقة ولها قرقعة مثل الرعد وبان قعر الصحن فى موضعها فقال له من بجانبه الحمد الله الذى لم يجعلنى طعاماً بين يديك لأنك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فإنى تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت إليه وقال له على لا هناك الله فمد يده إلى اللقمة الثانية وأراد أن يدورها فى يده مثل اللقمة الأولى وإذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة فى يده فتجارت إليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه وأخذوه قدام الملكة زمرد فقالت له ما أسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا قال يامولانا السلطان أسمى عثمان وصناعتى خولى بستان وسبب مجىء إلى هذه المدينة أننى دائر أفتش على شىء ضاع منى فقالت الملكة على بتخت



الرمل فأحضروه بين يديها فأخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك ياخبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرنى أن اسمك جوان الكردى وصنعتك أنك لص تأخذ أموال الناس بالباطل وتقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق فلما سمع كلامنها أصفر لونه واصطكت أسنانه وظن أن فى نطقه بالحق ينجو فقال صدقت أيها الملك ولكننى أتوب على يديك من الآن وأرجع إلى الله تعالى فقالت له الملكة لايحل لى أن أترك آفة فى طريق المسلمين ثم قالت لبعض أتباعها خذوه وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره ففعلوا ما أمرتهم به ولما هل الشهر الرابع نزلوا إلى الميدان على جرى العادة وأحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الإذن وإذا بالملكة قد اقبلت وجلست على الكرسى وهى تنظر إليهم فوجدت موضع الصحن الأرز خاليًا وهو يسع أربع أنفس فتعجبت من ذلك فبينما هى تجول بنظرها إذا حانت منها التفاتة فنظرت إنسانًا داخلا من باب الميدان يهرول ومازال يهرول حتى وقف على السماط فلم يجد مكانًا خاليًا إلا عند الصحن فجلس فتأملته فوجدته الملعون النصرانى الذى سمى نفسه رشيد الدين وكان لمجيئه سبب عجيب وهو أنه لما رجع من سفره . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملعون الذى سمى نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره أخبره أهل بيته أن زمردًا قد فقدت أرسل أخاه برسوما يفتش عليها فى البلاد فلما أبطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على أخيه وعلى زمرد فى البلاد فرمته المقادير إلى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة فى أول يوم من الشهر فلما مشى فى شوارعها فوجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء فى الطيقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له إن الملك يعمل سماطا لجميع الناس فى أول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعًا وما يقدر أحد أن يجلس فى بيته ولا فى دكانه ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجد

موضعًا خاليًا إلا الموضع الذى فيه صحن الأرز المعهود فجلس فيه ومد يده ليأكل فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت لهم هاتوا الذى قعد على الصحن الأرز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه وأوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى مدينتنا فقال ياملك الزمان اسمى رستم ولا صنعة لى لأنى فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا لى تخت الرمل والقلم والنحاس فأتوها مما طلبته على العادة فأخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيها ساعة ثم رفعت رأسها إليه وقالت له يا كلب كيف تكذب على الملوك وأنت اسمك رشيد الدين النصرانى وصنعتك أنك تنصب الحيل لجوارى المسلمين وتأخذهن وأنت مسلم فى الظاهر ونصرانى فى الباطن فانطق بالحق وإن لم تنطق بالحق فإنى أضرب عنقك فتلجلج فى كلامه ثم قال صدقت يا ملك الزمان فأمرت به أن يمد ويضرب على كل رجل مائة سوط وعلى جسده ألف سوط وبعد ذلك يسلخ ويحشى جلده ففعلوا ما أمرتهم به ثم أذنت للناس بالأكل فأكلوا وأنصرفوا إلى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد إلى قصرها وقالت الحمد الله الذى أراح قلبى من الذين آذونى ثم إنه خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت إلى عقلها وقالت فى نفسها لعل الله مكننى من أعدائى يمن على برجوع أحبائى فاستغفرت الله عز وجل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملى بحبيبى على شار قريبًا إنه على مايشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله ووالت الاستغفار وسلمت لمواقع الأقدار وأيقنت أنه لابد لكل أول من آخر ولما هل الشهر الجديد أمرت بمد السماط فى الميدان على جرى العادة وصاروا ينتظرون الإذن فى الأكل وكان موضع الصحن الأرز حاليًا وجلست هى على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل وصارت تقول فى سرها يامن رد يوسف على يعقوب وكشف البلاء عن أيوب أمنن على

برد سيدى على شار فلم يتم دعاؤها إلا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان إلا أنه نحيل البدن يلوح عليه الأصفرار وهو أحسن مايكون من الشباب فلما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها أنه سيدها على شار فأرادت أن تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكن تقلقلت أحشاؤها واضطرب قلبها فكتمت مابها وكان السبب فى مجىء على شار لما أنه رقد على المصطبة ونزلت زمرد وأخذها جوان الكردى استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف أن إنسانا تعدى عليه وأخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التى لايخجل قائلها وهى إنا لله وإنا إليه راجعون ثم إنه رجع إلى العجوز التى كانت أخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت إليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشيًا عليه فلما أفاق أخبرها بجميع ما حصل له . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على شار لما أفاق من غشيته رأى العجوز تبكى من أجله وتفيض دمع العين فتضجر وأنشد هذين البيتين :

ما أمر الفراق للأحباب ... وألذ الوصال للعشاق
جمع الله شمل كل محب ... ووعانى لأننى فى السياق

فحزنت عليه العجوز وقالت ياولدى شد حيلك وفتش عليها فى البلاد لعلك تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وأدخلته الحمام وسقته الشراب وأطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وسافر ولم يزل مسافرًا إلى أن وصل إلى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له ياشاب لا تأكل من هذا الصحن لأن من أكل منه يحصل له ضرر فقال دعونى آكل منه ويفعلون بى مايريدون لعلى استريح من هذه الحياة المتعبة ثم أكل أول لقمة وأرادت زمرد أن

تحضره بين يديها فخطر ببالها أنه جائع فقالت فى نفسها المناسب إنى أدعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة ينتظرون الذى يجرى له فلما أكل وشبع قالت لبعض الطواشية امضوا إلى ذلك الشاب الذى يأكل من الأرز وهاتوه برفق وقولوا له كلم الملك فقالوا سمعًا وطاعة ثم ذهبوا إليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له ياسيدى تفضل كلم ا لملك فقال سمعًا وطاعة ثم مضى مع الطواشية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٦٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على شار قال سمعًا وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فلما وقف قدام زمرد سلم عليها وقبل الأرض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالإكرام وقالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال لها ياملك اسمى على شار وأنا من أولاد التجار وبلدى خراسان وسبب مجيئى إلى هذه المدينة جارية ضاعت منى وكانت عندى أعز من سمعى وبصرى فروحى متعلقة من حين فقدتها وهذه قصتى قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاءوا به فأخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت صدقت فى كلامك الله يجمعك عليها قريبا فلا تقلق ثم أمرت الحاجب أن يمضى به إلى الحمام ويلبسه بدلة حسنة من ثياب الملوك فقال الحاجب سمعا وطاعة ثم أخذه من قدامها وتوجه به فقال الناس لبعضهم مابال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم أما قلت لكم إنه لا يسيئه فإن شكله حسن وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس إلى حال سبيلهم وما صدقت زمرد أن الليل أقبل حتى تختلى بمحبوب قلبها فلما أتى الليل دخلت محل مبيتها وأظهرت أنه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بأن ينام عندها أحد غير خادمين برسم الخدمة فلما استقرت فى ذلك المحل أرسلت إلى محبوبها على شار وقد جلست على السرير والشمع يضىء فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة فى ذلك المحل فلما سمع الناس بارساله إليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظنا ويقول مقالة



فلما دخلوا به عليها قبل الأرض بين يديها ودعا لها فقالت فى نفسها لابد أن أمزح معه ساعة ولا أعلمه بنفسى ثم قالت ياعلى ذهبت إلى الحمام قال نعم يامولاى قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر الشراب فقال سمعا وطاعة ثم فعل ما أمرته به ولما فرغ من الأكل والشرب قالت له اطلع عندى على السرير وكبسنى فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها أنعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس إلى فوق فقال العفو يامولاى من عند الركبة ما أتعدى قالت أتخالفنى فتكون فى ليلة مشؤومة عليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زمرد قالت لسيدها على شار أتخالفنى فتكون ليلة مشؤومة عليك بل ينبغى لك أن تطاوعنى وأنا أعملك معشوقي وأجعلك أميرًا من أمرائى فقال على شار ياملك الزمان ما الذى أطيعك فيه قالت حل لباسك ونم على وجهك فقال هذا شىء عمرى مافعلته ثم بكى وانتحب فقالت حل لباسك ونم على وجهك وإلا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره ثم إنها صبرت ساعة وهى على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الأرض فقال على شار الحمد لله كأن ذكره لم ينتصب فقالت إن من عادة كرى لم ينتصب إلا إذا عركوه بأيديهم فقم أعركه بيدك حتى ينتصب وإلا قتلتك ثم رقدت على ظهرها وأخذت بيده ووضعتها على فرجها فوجد فرجًا أنعم من الحرير فأدركته الشهوة وصار فى غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت له ياسيدى قد حصل هذا كله وماتعرفنى فقال ومن أنت أيها الملك قال أنا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقض عليها مثل الأسد على الشاة وتحقق أنها جاريته بلا اشتباه فلما أصبحت زمرد وأرسلت إلى كامل العسكر وأرباب الدولة وأحضرتهم وقالت لهم أنا أريد أن أسافر إلى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبًا يحكم بينكم حتى أحضر عندكم فأجابوا زمرد بالسمع والطاعة ثم شرعت فى تجهيز آله السفر من زادوا

أموال وأرزاق وتحفة وجمال وبغال وسافرت من المدينة ولم تزل مسافرة إلى أن وصلت إلى بلد علي شار ودخل منزله وأعطى وتصدق ووهب ورزق منها الأولاد وعاشا في أحسن المسرات إلى أن أتاهما هاذم اللذات ومفرق الأحباب فسبحان والباقى بلا زوال والحمد الله على كل حال .

(حكاية بدور بنت الجوهرى مع جبير بن عمير الشيبانى)

(ومما) يحكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أرق ليلة من الليالى وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلب من جنب إلى جنب لشدة أرقة فلما أعياه ذلك أحضر مسرورًا وقال له يامسرور انظر إلى من يسلينى على هذا الأرق فقال يا مولاى هل لك أن تدخل البستان الذى فى الدار وتتفرج على مافيه من الأزهار وتنظر إلى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينهما مشرف على الماء قال له يامسرور أن نفسى لاتهفو إلى شىء من ذلك قال يامولاى مر العلماء والندماء الظرفاء أن يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يامسرور إن نفسى ما تهفوا إلى شىء من ذلك قال يا مولاى فاضرب عنقى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٦٨)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرور قال للخليفة يامولاى فاضرب عنقى لعله يزيل أرقك ويذهب القلق عنك فضحك الرشيد من قوله وقال يامسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد قال يامولاى الذى على الباب على بن منصور الخليع الدمشقى قال على به فذهب وأتى به فلما دخل قال السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصورحدثنى بشىء من أخبارك فقال يا أمير المؤمنين هل أحدثك بشىء رأيته عيانًا أو شىء سمعت به فقال أمير المومنين إن كنت عاينت شيئًا غريبا فحدثنا به فإنه ليس الخبر كالعيان فقال يا أمير المؤمنين أجل لى سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها أنا سامع لك بأذنى ناظر لك بعينى مصغ لك بقلبى قال يا أمير المؤمنين اعلم أن لى كل سنة رسمًا على محمد بن سليمان الهاشمى سلطان البصرة فمضيت إليه على عادتى فلما وصلت إليه وجدته متهيئًا للركوب إلى



الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لى يا ابن منصور اركب معنا إلى الصيد فقلت له يامولاى مالى قدرة على الركوب فاجلسنى فى دار الضيافة وأوصى على الحجاب والنواب ففعلوا فقلت فى نفسى يا الله العجب إن لى مدة أقدم من بغداد إلى البصرة ولم أعرف فى البصرة سوى من القصر إلى البستان ومن البستان إلى القصر ومتى يكون لى فرصة انتهزها فى الفرجة على جهات البصرة مثل هذه النوبة فأنا أقوم هذه الساعة وأتمشى وحدى وأتفرج وينهضم عنى الأكل فلبست أفخر ثيابى وتمشيت فى جانب البصرة ومعلومك يا أمير المؤمنين أن فيها سبعين دربًا طول كل درب سبعين فرسخًا بالعراقى فتهت فى أزقتها ولحقنى العطش فبينما أنا ماش ياأمير المؤمنين وإذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الأصفر ومرخى عليه ستور من الديباج الأحمر وفى جانبه مصطبتان وفوقه مكعب لدوالى العنب فوقفت أتفرج على هذا المكان فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين يقلب النغمان وينشد هذه الأبيات :

جسمى غدا منزل الأسقام والمحن — من أجل ظبى بعيد الدار والوطن

فيا نسيمى زرود هيجا شجنى — بالله ربكما عوجا عن سكنى

وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحسنا القول إذ يصغى لقولكما — واستدرجا خبر العشاق بينكما

وأوليانى جميلا من صنيعكما — وعرضا بى وقولا فى حديثكما

ما بال عبد بالهجران تتلفه

فقلت فى نفسى إذا كان صاحب هذه النغمة مليحًا فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحسن الصوت ثم دنوت من الباب وجعلت أرفع الستر قليلا قليلا وإذا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشرة بحاجبين مقرونين وجفنين ناعمين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كأنهما أقحوانتان وفم كأنه خاتم سليمان فبينما أنا أنظر إليها من خلال الستارة وإذا هى التفتت فرأتنى واقفا على الباب فقالت لجاريتها انظرى من بالباب فقامت الجارية وأتت إلى وقالت ياشيخ أليس عندك حياء وشيب وعيب فقلت لها يا سيدتى أما الشيب فقد عرفناه وأما العيب فما أظن أنى أتيت بعيب فقالت سيدتها وأى عيب أكثر من تهجمك على دار غيرك ونظرك إلى حريم غير حريمك فقلت لها ياسيدتى إلى عذر فى ذلك فقالت وما عذرك

فقلت لها إنى رجل غريب عطشان وقد قتلنى العطش فقالت قبلنا عذرك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٦٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يالطف اسقيه شربة بالكوز الذهب فجاءتنى بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن ماء ممزوج بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر فجعلت أشرب وأطيل فى شربى وأنا أسارق النظر إليها حتى طال وقوفى ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت يا شيخ امض إلى حال سبيلك فقلت لها ياسيدتى أنا مشغول الفكر فقالت فيما ذا فقلت فى تقلب الزمان وتصرف الحادثات قالت يحق لك لأن الزمان ذو عجائب ولكن ما الذى رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها افكر فى صاحب هذه الدار لأنه كان صديقى فى حال حياته فقالت لى ما اسمه فقلت محمد بن على الجوهرى وكان ذا مال جزيل فهل خلف أولاد قالت نعم خلف بنتا يقال لها بدور وقد ورثت أمواله جميعها فقلت لها كأنك ابنته قالت نعم وضحكت ثم قالت ياشيخ قد أطلت الخطاب فاذهب إلى حال سبيلك فقلت لها لابد من الذهاب ولكنى أرى محاسنك متغيرة فأخبرينى بشأنك لعل الله أن يجعل لك على يدى فرجا فقالت لى ياشيخ إن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فأخبرنى من أنت حتى أعرف هل أنت محل الأسرار أولا فقد قال الشاعر :

لا يكتم السر إلا كل ذى ثقة   والسر عند خيار الناس مكتوم
قد صنت سرى فى بيت له غلق   وقد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

فقلت لها يا سيدتى إن كان قصدك أن تعلمى من أنا فأنا بن منصور الخليع الدمشقى نديم أمير المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت باسمى نزلت من على كرسيها وسلمت على وقالت لى مرحباً بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالى وأستأمنك على سرى أنا عاشقة مفارقة فقلت



لها يا سيدتى وما سبب الفراق بينكما فقالت سببه أنى كنت يومًا جالسة وجاريتى هذه تسرح شعرى فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبى فأعجبها حسنى وجمالى فطأطأت على وقبلت خدى وكان فى ذلك الوقت جبير داخلا فلما رأى الجارية تقبل خدى ولى من وقته ومن حين ولى معرضا إلى الآن لم يأتنا من عنده كتاب ولاجواب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت أريد أن أرسل إليه معك كتابا فإن أتيتنى بجوابه ولك عندى خمسمائة دينار وإن لم تأتنى بجوا به فلك حق مشيك مائة دينار فقلت لها افعلى مابدا لك فقالت سمعًا وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت ائتينى بدواة وقرطاس فأتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الأبيات :

حبيبى ما هذا التباعد والقلا ... فأين التغاضى بيننا والتعطف

ومالك بالهجران عنى معرضا ... فما وجهك الوجه الذى كنت أعرف

نعم نقل الواشون عنى باطلا ... فملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا

فإن تك قد صدقتهم فى حديثهم ... فحاشاك من هذا ورأيك أعرف

بعيشك قل لى ما الذى قد سمعته ... فإنك تدرى ما يقال وتنصف

فإن كان قولا صح إنى قلته ... فللقول تأويل وللقول مصرف

وهب أنه قول من الله منزل ... فقد بدل التوراة قوم وحرفوا

وبالزور كم قيل فى الناس قبلنا ... فها عند يعقوب تلوم يوسف

وها أنا والواشى وأنت جميعنا ... يكون لنا يومًا عظيمًا موقف

ثم بعد ذلك ختمت الكتاب وناولتنى إياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير بن عمير الشيبانى فوجدته فى الصيد فجلست أنتظر فبينما أنا جالس وإذا به قد أقبل من الصيد فلما رأيته ياأمير المؤمنين على فرسه ذهل عقلى من حسنه وجماله فالتفت فرآنى جالسا بباب داره فلما رآنى نزل عن جواده وأتى إلى واعتنقنى وسلم على فخيل لى إنى اعتنقت الدنيا ومافيها ثم دخل بى إلى داره وأجلسنى على فراشه وأمر بتقديم المائدة فقدموا مائدة من الخولنج الخرسانى وقوائمها من الذهب عليها جميع الأطعمة فلما جلست على . المائدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن على بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشيبانى قال مد يدك إلى طعامنا وأجبر خاطرنا بأكل زادنا فقلت والله ما آكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضى حاجتى قال فما حاجتك فأخرجت إليه الكتاب فلما قرأه وفهم ما فيه مزقه ورماه فى الأرض وقال لى ياابن منصور أنا أخبرك بالذى قالته لك وإن لم أكن حاضرًا معكما فقلت له ما الذى قالته لى قال أما قالت صاحبة هذا الكتاب أن أتيتنى بجوابه فلك عندى خمسمائة دينار وإن لم تأتنى بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار وقلت نعم قال اجلس عندى اليوم وكل واشرب وتلذذ واطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده وأكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته ثم قلت يا سيدى ما فى دارك سماع لى قال إن لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فأجابته جارية من مقصورتها ومعها عود من صنع الهنود ملفوف فى كيس من الإبرسيم ثم جاءت وجلست ووضعته فى حجرها وضربت عليه إحدى وعشرين طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأطربت بالنغمات وأنشدت هذه الأبيات :

من لم يذق حلو الهوى مع مره	لم يدر وصل حبيبه من هجره
وكذلك من قد حاد عن سنن الهوى	لم يدر سهل طريقه من وعره
مازلت معترضا على أهل الهوى	حتى بليت بحلوه من مره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فقالت الجارية لا آخذك الله أيها الشيخ إن لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن أذهب المقصورة ونم فيها فتوجهت إلى المقصورة التى أشارت إليها ونمت فيها إلى الصباح وإذا أنا بغلام أتانى ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذى وعدك به سيدى ولكنك لاتعد إلى هذه الجارية التى أرسلتك وكأنك ماسمعت بهذا الخبر ولاسمعا فقلت سمعًا وطاعة ثم أخذت الكيس ومضيت إلى حال سبيلى وقلت فى نفسى أن الجارية فى انتظارى من أمس والله لابد أن أرجع إليها وأخبرها بما جرى فمضيت إليها فوجدتها واقفة فلما رأتنى قالت



يا ابن منصور إنك ما قضيت لى حاجة فقلت لها من أعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور إنى مكاشفة وحكت لى جميع ماجرى فقلت لها يا أمير المؤمنين هل أنت كنت معنا فقالت لى ياابن منصور أما سمعت قول الشاعر :

قلوب العاشقين لها عيون   ترى ما لايراه الناظرونا

ولكن يا ابن منصور ماتعاقب الليل والنهار على شيء إلا وغيراه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت يا ابن منصور وما تعاقب الليل والنهار على شىء إلا وغيراه ثم إنها أعطتنى مائة دينار حق طريقى فأخذتها ومضيت إلى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فأخذت رسمى منه ورجعت إلى بغداد فلما أقبلت السنة الثانية توجهت إلى مدينة البصرة لا أطلب رسمى على عادتى ودفع السلطان إلى رسمى ولما أردت الرجوع إلى بغداد تفكرت فى نفسى أمر الجارية بدور وقلت والله لابد أن أذهب إليها وأنظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت إلى دارها فرأيت على بابها كنسا ورشا وخدما وحشما وغلمانًا فقلت لعل الجارية طفح الهم على قلبها فماتت ونزل فى دارها أمير من الأمراء فتركتها ورجعت إلى دار جبير بن عمير الشيبانى فوجدت مصاطبها قد هدمت ولم أجد على بابه غلمانًا مثل العادة فقلت فى نفسى لعله مات ثم وقفت على باب داره وجعلت أفيض العبرات وأندبه بهذه الأبيات :

يا سادة رحلوا والقلب يتبعهم   عودوا تعدلى أعيادى بعودكم
وقفت فى داركم أنعى مساكنكم   والدمع يدفق والأجفان تلتطم
أسائل الدار والأطلال باكية   أين الذى كان منه الجود والنعم
أقصد سبيلك فالأحباب قد رحلوا   من الربوع وتحت التراب قد ردموا
لا أوحش الله من رؤيا محاسنهم   طولا وعرضا ولاغابت لهم شيم

فبيما أنا أندب أهل هذه الدار بهذه الأبيات يا أمير المؤمنين وإذا بعبد أسود قد خرج على من الدار فقال ياشيخ اسكت ثكلتك أمك مالى أراك تندب هذه الدار بهذه الأبيات فقلت له إنى كنت أعهدها لصديق من أصدقائى فقال وما اسمه فقلت جبير بن عمير الشيبانى قال وأى شيء جرى له الحمد لله ها هو على حاله من الغنى والسعادة والملك لكن ابتلاه بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو فى محبتها مغمور من شدة الوجد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فقلت استأذن لى فى الدخول عليه فقال يا سيدى أتدخل على من يفهم أو على من لايفهم ،



(جبير بن عمير الشيبانى وهو يعطى أبا منصور الخطاب ليوصله إلى السيدة بدور)



فقلت لابد أن أدخل إليه على كل حال فدخل الدار مستأذنًا ثم عاد إلى آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لايفهم بإشارة ولا بصريح وكلمته فلم يكلمنى فقال لى بعض أتباعه ياسيدى إن كنت تحفظ شيئًا من الشعر فأنشده إياه وارفع صوتك به فإنه ينتبه لذلك ويخاطبك فأنشدت هذين البيتين :

أسلوت حب بدور أم تتجلد ... وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

إن كان دمعك سائلا مهمولة ... فاعلم بأنك فى الجنان مخلد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينيه وقال لى مرحبا يا ابن منصور قد صار الهزل جدًا فقلت له يا سيدى ألك بى حاجة قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها فإن أتيتنى بجوابها فلك على ألف دينا وإن لم تأتنى بجوابها فلك عندى حق مشيك مائة دينار فقلت له افعل ما بدا لك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدالك فنادى بعض جواريه وقال ائتينى بدواة وقرطاس فأتته بما طلبه فكتب هذه الأبيات :

سألتكم بالله يا سادتى مهلا ... على فإن الحب لم يبق لى عقلا

تمكن منى حبكم وهواكم ... فألبسنى سقما وأورثنى ذلا

لقد كنت قبل اليوم أستصغر الهوى ... وأحسبه يا سادتى هينا سهلا

فلما أرانى الحب أمواج بحره ... رجعت لحكم الله أعذر من يبلى

فإن شئتم أن ترحمونى بوصلكم ... وإن شئتم قتلى فلا تنسوا الفضلا

ثم ختم الكتاب وناولنى إياه فأخذته ومضيت به إلى دار بدور وجعلت أرفع الستر قليلا قليلا على العادة فبينما أنا أنظر إذ لاحت منها التفاتة لى فرأتنى واقفا بالباب فقالت لى أهلا

وسهلا ومرحبًا بك يا ابن منصور ادخل فدخلت وسلمت عليها وناولتها الورقة فلما قرأها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال :

فلا صبرنا على هواك تجلدا حتى يجيء إلى منك رسول

يا ابن منصور أنا أكتب لك جوابًا حتى يعطيك الذى وعدك به فقلت لها جزاك الله خيرًا فنادت بعض جواريها وقالت ائتينى بدواة وقرطاس فلما أتتها بما طلبت كتبت إليه هذه الأبيات :

إلى كم ذا الدلال وذا التجنى شفيت وحقك الحساد منى
لعلى قد أسأت ولست أدرى فقل لى ما الذى بلغت عنى
مرادى لو وضعتك يا حبيبى مكان النوم من عينى وجفنى
شربت كؤس حبك مترعات فإن ترنى سكرت فلا تلمنى

فلما فرغت من كتابة المكتوب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . .

***

الليلة (٣٧٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بدور لما فرغت من كتابه المكتوب ختمته وناولتنى إياه فقلت لها سيدتى أن هذه الرقعة تداوى العليل وتشفى الغليل ثم أخذت المكتوب وخرجت فنادتنى بعدما خرجت من عندها وقالت لى يا ابن منصور قل له إنها فى هذه الليلة ضيفتك ففرحت أنا بذلك فرحًا شديدًا ومضيت بالكتاب إلى جبير ابن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينيه شاخصة إلى الباب ينتظر الجواب فلما ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيًا عليه فلما أفاق قال ياابن منصور هل كتبت هذه الورقة بيدها ولمستها بأناملها قلت يا سيدى وهل الناس يكتبون بأرجلهم فوالله يا أمير المؤمنين ما استتم كلامى أنا وإياه وقد سمعنا شن خلاخلها فى الدهليز وهى داخلة فلما رآها قام على أقدامه كأنه لم يكن



به ألم قط وعانقها عناق اللام للألف وزالت عنه علته التى لاتتصرف ثم جلس ولم تجلس هى فقلت لها يا سيدتى لأى شىء لم تجلسى قالت يا ابن المنصور ولا أجلس إلا بالشرط الذى بيننا فقلت لها وما ذلك الشرط الذى بينكما قالت إن العشاق لايطلع أحد على أسرارهم ثم وضعت فمها على أذنه وقالت له كلامًا سرًا فقال سمعا وطاعة ثم قام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم أتى ومعه قاض وشاهدان فقام جبير وأتى بكيس فيه مائة ألف دينار وقال أيها القاضى اعقد عقدى على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضى قولى رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منه وأعطت القاضى والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضى والشهود وقعدت أنا وإياهما فى بسط وانشراح فهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذى أوله شرط آخره رضا فقال لى صدقت وقد وجب لك الإكرام ثم نادى خازنداره وقال له ائتنى بثلاثة آلاف دينار فأتاه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال لى تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا أقبله حتى تحكى لى ماسبب انتقال المحبة منها إليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعًا وطاعة اعلم أن عندنا عيدا يقال عيد النواريز يخرج الناس فيه وينزلون فى الزورق ويتفرجون فى البحر فخرجت أتفرج أنا وأصحابى فرأيت زورقًا فيه عشر جوار كأنهن الأقمار والسيدة بدور هذه فى وسطهن وعودها معها فضربت عليه إحدى عشرة طريقة ثم عادت إلى الطريقة الأولى وأنشدت هذين البيتين :

النار أبرد من نيران أحشائى	والصخر ألين من قلبى لمولائى
إنى لا أعجب من تأليف خلقته	قلب من الصخر فى جسم من الماء

فقلت لها أعيدى البيتين والطريقة فما رضيت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن جبير قال فقلت لها أعيدى البيتين فما رضيت فأمرت النوتية أن يرجموها بالنارنج حتى خشينا الغرق على الزورق الذى هى فيه ثم مضت

إلى حال سبيلها وهذا سبب انتقال المحبة من قلبها إلى قلبى فهنيتهما بجمع الشمل وأخذت الكيس بما فيه وتوجهت إلى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الأرق وضيق الصدر .

(حكاية الجوارى المختلفة الألوان وما وقع بينهن من المحاورة)

(ومما) يحكى أن أمير المؤمنين جلس يومًا من الأيام فى قصره وأحضر رؤساء دولته وأكابر مملكته جميعًا وكذلك أحضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصرى فالتفت إليه المأمون وقال له يامحمد أريد منك فى هذه الساعة أن تحدثنى بشىء ما سمعته قط قال له يا أمير المؤمنين تريد أن أحدثك بحديث سمعته بأذنى أو بأمر عاينته ببصرى فقال المأمون حدثنى يا محمد بالأغرب منهما فقال اعلم يا أمير المؤمنين إنه كان فى الأيام الماضية رجل من أرباب النعم وكان موطنه باليمن ثم إنه ارتحل من اليمن إلى مدينة بغداد هذه فطاب له مسكنها فنقل أهله وماله وعياله إليها وكان له ست جوار كأنهن الأقمار الأولى بيضاء والثانية سمراء والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الأدب عارفات بصناعة الغناء وآلات الطرب فاتفق أنه أحضر هؤلاء الجوارى بين يديه يومًا من الأيام فنظر مولاهن إلى حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال لهن ما منكن إلا وقد قرأت القرآن وتعلمت الألحان وعرفت أخبار المتقدمين واطلعت على سير الأمم الماضين وقد اشتهيت أن تقوم كل واحد منكن وتشير بيدها إلى ضرتها يعنى تشير البيضاء إلى السوداء والسمينة إلى الهزيلة والصفراء إلى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلك بدليل من القرآن الشريف وشىء من الأخبار والأشعار لننظر أدبكن وحسن ألفاظكن فقلن سمعًا وطاعة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٣٧٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الرجل اليمنى قالت له جواريه سمعًا وطاعة ثم أولاهن وهى البيضاء وأشارت إلى السوداء وقالت لها ويحك يا سوداء قد ورد أن البياض قال أنا النور اللامع أنا البدر الطالع لونى ظاهر وجبينى زاهر وفى حسنى قال الشاعر :

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة ... كأنهن لؤلؤة فى الحسن مكنون
فقدها ألف يزهو ومبسمها ... ميم وحاجبها من فوق نون
كأن ألحاظها نبل وحاجبها ... قوس على أنه بالموت مقرون
بالخد والقدان تبدو فوجنتها ... ورد وآس وريحان ونسرين
والغصن يعهد فى البستان مغرسه ... وغصن قدك كم فيه بساتين

فلونى مثل النهار الهنى والزهر الجنى والكوكب الدرى وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام : ﴿وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ وقال الله تعالى ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾ ؛ فلونى آية وجمالى غاية وحسنى نهاية فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فقد أسرفت ثم أشار إلى السوداء فقامت وأشارت بيدها إلى البيضاء وقالت أما علمت أنه ورد فى القرآن المنزل على نبى الله المرسل قوله تعالى ﴿والليل إذا يغشى والنهار اذا تجلى﴾ ، ولولا أن الليل أجل لما أقسم الله به وقدمه على النهار وقبلته أولوا البصائر والأبصار أما علمت أن السواد زينة الشباب فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت أوقات الممات ولو لم يكن أجل الأشياء ما جعله الله فى حبة القلب والناظر وما أحسن قول الشاعر :

لم أعشق السمر الأعن حيازتهم ... لون الشباب وحب القلب والحدق
ولا سلوت بياض البيض عن غلط ... إنى من الشيب والأكفان فى فرق

وقول الآخر :

السمر دون البيض هم ... أولى بعشق وأحق
السمر فى لون اللمى ... والبيض فى لون البهق

وأيضاً فلا يحسن اجتماع الأحباب إلا فى الليل فيكفيك الفضل والنبل فما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولا خوفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما أحسن قول الشاعر :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقول الآخر :

وكم ليلة بات الحبيب مؤانسنى ... وقد سترتنا من دجاه ذوائب
فلما بدا نور الصباح أخافنى ... فقلت له إن المجوس كواذب

ولو ذهبت أذكر فى السواد من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما أكثر وما وفى فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية ثم أشار إلى السمينة فقامت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن اليمنى سيد الجوارى أشار إلى الجارية السمينة فقامت وأشارت بيدها إلى الهزيلة وكشفت عن سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وشهر تدوير سرتها ثم لبست قميصاً رفيعًا فبان من تحته جميع بدنها وقالت الحمد لله الذى خلقنى فأحسن صورتى وسمننى فأحسن سمنتى وشبهنى بالأغصان وزاد فى حسنى وبهجتى فله الحمد على ما أولانى وشرفنى إذ ذكر فى كتابة العزيز فقال تعالى وجاء بعجل سمين وجعلنى كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وأهل المدن يشتهون الطير السمين فيأكلون منه لايحبون طيرًا هزيلاً بنو آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما أحسن قول الشاعر :

ودع حبيبك إن الركب مرتحل ... وهل تطيق وداعاً أيها الرجل
كان مشيتها فى بيت جارتها ... مشى السمينة لاعيب ولا ملل



وما رأيت أحداً يقف على الجزار إلا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة فى ثلاثة أشياء أكل اللحم وركوب اللحم ودخول اللحم فى اللحم فقال سيدها اجلسى ففى هذا القدركفاية ثم أشار إلى الهزيلة فقامت كأنها غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وقالت الحمد لله الذى خلقنى فأحسننى وجعل وصلى غاية المطلوب وشبهنى بالغصن الذى تميل إليه القلوب فإن قمت قمت خفيفة وإن جلست جلست ظريفة فأنا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح وما رأيت أحد يصف حبيبه فقال حبيبى قدر الفيل ولا مثل العريض الطويل وإنما حبيبى له قد أهيف وقوام مهفهف اليسير من الطعام يكفينى والقليل من الماء يروينى لعبى خفيف ومزاحى ظريف فأنا أنشط من العصفور وأخف حركة من الزرزور وصلى منية الراغب ونزهة الطالب أنا مليحة القوام حسنة الابتسام كأنى غصن بان أو قضيب خيزران أو عود ريحان وليس فى الجمال مماثل كما قال القائل :

شبهت قدك بالقضيب — وجعلت شكك من نصيبى
وغـــدوت خلفك هائمًا — خوفا عليك من الرقيب

وفى مثلى تهيم العشاق ويتوله المشتاق وإن جذبنى حبيبى انجذبت إليه وإن استمالنى ملت له لاعليه وها أنت ياسمينة البدن فإن أكلك أكل الفيل ولايشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لايستريح معك خليل ولايوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعن التمكين من فرجك يمنعه غلظ أفخاذك أى شىء فى غلظك من الملاحة أو فى فظاظتك من اللطف والسماحة ولايليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شىء من موجبات المدح أن مازحك أحد غضبت وأن لاعبك حزنت فإن غنجت شخرت وإن مشيت لهثت وإن أكلت ما شبعت وأنت أثقل من الجبال وأقبح من الخبال والوبال مالك حركة ولافيك بركة وليس لك شغل إلا الأكل والنوم وأن بلت شرشرت وأن تغوطت بطبطت كأنك زق منفوخ أو فيل ممسوخ إن دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعرك وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة ليس فيك شىء من المفاخر وقد قال الشاعر :

ثقيلـة مثـل زق البــول منتفخ — أوراكهـا كعــواميـد مــن الجبـل
إذا مشت فى بلاد الغرب وأخطرت — سرى إلى الشرق ما تبدى من الهبل

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى وأثنت عليه وأتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم أشارت بيدها إلى السوداء وقالت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٧٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى وأثنت عليه ثم أشارت بيدها إلى السمراء وقالت لها أنا المنعوتة فى القرآن ووصف لونى الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى فى كتابه المبين ﴿صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ فلونى آية وجمالى غاية وحسنى نهاية لأن لونى لون الدينار ولون النجوم والأقمار ولون التفاح وشكلى شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الألوان فشكلى غريب ولونى عجيب وأنا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت كل معنى حسن ولونى فى الوجود عزيز مثل الذهب الإبريز وكم من مآثر وفى مثلى قال الشاعر :

لها اصفرار كلون الشمس مبتهج وكالدنانير فى حسن من النظر
ما الزعفران تحاكي بعض بهجتها كلا ومنظرها يعلو عـن القمر

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم أشار إلى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد أسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل فقالت الحمد لله الذى خلقنى لاسمينة مذمومة ولاهزيلة مهضومة ولابيضاء كالبرق ولا صفراء كالمغص ولاسوداء بلون الهباب بل جعل لونى معشوقًا لأولى الألباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون ألوانهم على سائر الألوان فأسمر اللون حميد الخصال ولله در من قال :

وفى السمر معنى لو علمت بيانه لما نظرت عيناك بيض ولاحمـرا
لباقـة ألفـاظ وغنـج لـواحـظ يعلمن هاروت الكهانة والسحرا



فشكلى مليح وقدى رجيح ولونى ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غنى وصعلوك وأنا لطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت فى الملاحة والأدب والفصاحة مظاهرى ولسانى فصيح ومزاجى خفيف ولعبى ظريف فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٧٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية ثم إن بعد ذلك أصلح بينهن وألبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا أمير المؤمنين فى مكان ولازمان أحسن من هؤلاء الجوارى الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصرى أقبل عليه وقال له يامحمد هل تعرف لهؤلاء الجوارى وسيدهن محل وهل يمكنك أن تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا أمير المؤمنين قد بلغنى أن سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن فقال المأمون خد معك إلى سيدهن فى كل جارية عشرة آلاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين ألف دينار فاحملها صحبتك وتوجه إلى منزله واشترهن منه فأخذ محمد البصرى منه ذلك القدر وتوجه فلما وصل إلى سيد الجوارى أخبره بأن أمير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لأجل خاطر أمير المؤمنين أرسلهن إليه فلما وصلت الجوارى إلى أمير المؤمنين هيأ لهن مجلسًا لطيفًا وصار يجلس فيه معهن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف ألوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مدة من الزمان ثم إن سيدهن الأول الذى باعهن لما لم يكن له صبر فى فراقهن أرسل كتابًا إلى أمير المؤمنين المأمون يشكو إليه فيه ماعنده للجوارى من الصبابات ومن ضمنه هذه الأبيات :

سلبتنى ست ملاح حسان ... فعل الستة الملاح سلامى

هن سمعى وناظرى وحياتى ... وشرابى ونزهتى وطعامى

لست أسلو من حسنهن وصالاً ذاهب بعدهن طيب منامى
آه يا طول حسرتى وبكائى ليتنى ما خلقت بين الأنام
من عيون قد زانهن جفون كقسى رميننى بسهام

فلما وقع ذلك الكتاب فى يد الخليفة المأمون كسا الجوارى من الملابس الفاخرة وأعطاهن ستين ألف دينار وأرسلهن إلى سيدهن فوصلن إليه وفرح بهن غاية الفرح أكثر مما أتى إليه من المال وأقام معهن فى أطيب عيش وأهناه إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات .

(حكاية وردان الجزار)

(ومما) يحكى أنه كان فى زمن الحاكم بأمر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان جزار فى اللحم الضانى وكانت امرأة تأتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له أعطنى خروفاً وتحضر معها حمالاً بقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفاً فيحمله الحمال فتأخذه وتروح به إلى مكانها وفى ثانى يوم وقت الضحى تأتى وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم ديناراً وأقامت مدة طويلة على تلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم فى أمرها وقال فى نفسه هذه المرأة كل يوم تشترى منى بدينار ولم تغلط يوماً واحداً وتشترى منى بدراهم فهذا أمر عجيب ثم إن وردان سأل الحمال فقال له إنها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى حوائج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذاً وتعطيه ديناراً وتحملنى الجميع إلى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث إنى لا أنظر أين تذهب بى ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطينى الفارغ ثم تمسك يدى وتعود بى إلى الموضع الذى شدت عينى فيها بالعصابة فتحلها وتعطينى عشرة دراهم فقال له الجزار كان الله فى عونها ولكن ازداد فكرا فى أمرها وكثرت عنده الوساوس وبات فى قلق عظيم ثم قال وردان الجزار فلما أصبحت أتتنى على العادة وأعطتنى الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فأوصيت صبيى على الدكان وتبعتها بحيث لاترانى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٣٧٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن وردان الجزار قال فأوصيت صبى على الدكان وتبعتها بحيث لاترانى ولم أزل أعاينها إلى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها حتى وصلت إلى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عينى الحمال وتبعتها من مكان إلى مكان إلى أن أتت الجبل



(المرأة وهى تقدم اللحم إلى الدب ليأكله)

فوصلت إلى مكان فيه حجر كبير وحطت القفص عن الحمال فصبرت إلى أن عادت بالحمال ورجعت ونزعت جميع ما كان فى القفص وغابت ساعة فأتيت إلى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقًا من نحاس مفتوحًا ودرجا نازلة فنزلت فى تلك الدرج قليلا حتى وصلت إلى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئته باب قاعة فارتكنت فى زاوية الباب فوجدت صفة بها طاقة تشرف على قاعة فنظرت فى القاعة وجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملته فى قدور ورمت الباقى قدام دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ووضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لها نشوة السكر فنزعت لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهى تعاطيه أحسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب إليها وواقعها ولما فرغ جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهما مغشيًا عليه وصارا لايتحركان فقلت فى نفسى هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت معى سكين تبرى العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لايتحرك فيهما عرق لما حصل لهما من المشقة فجعلت السكين فى منحر الدب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل شخير الرعد فانتبهت المرأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحًا نزعت رأسه عن جثته ثم قالت يا وردان أى شىء أحب إليك أن تسمع الذى أقوله لك ويكون سببًا لسلامتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٨٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المرأة قالت يا وردان أى شىء أحب إليك أن تسمع الذى أقوله لك ويكون سببًا لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفنى ويكون سببا لهلاكك قلت أختار أن أسمع كلامك فحدثينى بما شئت فقالت اذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخد من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك فقلت أذبحك وتروحين إلى لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحتها إلى لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبعد ذلك نظرت فى المحل فوجدت فيه



من الذهب والفصوص واللؤلؤ مالا يقدر على جمعه أحد من الملوك فأخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما أطيق ثم سترته بقماشى الذى كان على وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم أزل سائراً إلى باب مصر وإذا بعشرة من جماعة الحاكم بأمر الله مقبلون والحاكم خلفهم فقال ياوردان قلت لبيك أيها الملك قال هل أنت قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب نفسًا فجميع مامعك من المال لك لاينازعك أحد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثنى بخبرهما وإن كنت أعرفه كأننى حاضر معكم فحدثته بجميع ماجرى وهو يقول صدقت فقال ياوردان قم سر بنا فتوجهت إليه معه وجدت الطابق مغلقًا فقال ارفعه ياوردان فإن هذا الكنز لايقدر أحد أن يفتحه غيرك فإنه مرصود باسمك وصفتك فقلت والله لا أطيق فتحه فقال تقدم أنت على بركة الله فتقدمت إليه وسميت اسم الله تعالى ومدت يدى إلى الطابق فارتفع كأنه أخف مايكون فقال الحاكم أنزل واطلع مافيه قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما فى الكنز ثم دعا بالدواب وحمله وأعطانى قفصى بمافيه فأخذته وعمدت إلى بيتى وفتحت لى دكانًا فى السوق وهذا السوق موجود إلى الآن ويعرف بسوق وردان .

(حكاية تتضمن داء غلبة الشهوة فى النساء ودواؤها)

(ومما) يحكى أيضًا أنه كان لبعض السلاطين ابنه وقد تعلق قلبها بحب عبد أسود فافتض بكارتها وأولعت بالنكاح فكانت لاتصبر عنه ساعة واحدة فكشفت أمرها إلى بعض القهرمانات فأخبرتها أنه لاشىء ينكح أكثر من القرد فاتفق أن قرداتيًا مر تحت طاقتها بقرد كبير فأسفرت عن وجهها النظر ونظرت إلى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع لها فخبأته فى مكان عندها وصار ليلا ونهار على أكل وشرب وجماع ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٨١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السلطان لما فطن بأمر ابنته وأراد قتلها شعرت بذلك فتزيت بزى المماليك وركبت فرسا وأخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن والقماش مالا

يوصف وحملت القرد معها وصارت حتى وصلت إلى مصر فنزلت فى بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشترى لحما من شاب جزار ولكن الا تأتيه إلا بعد الظهر وهى مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب فى نفسه لابد لهذا المملوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة وأخذت اللحم تبعها من حيث لاتراه قال ولم أزل خلفها من حيث لاتراني من محل إلى محل وصلت إلى مكانها الذى بالصحراء ودخلت هناك فنظرت إليها من بعض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها وأوقدت النار وطبخت اللحم وأكلت كفايتها وقدمت باقيه إلى القرد الذى معها فأكل كفايته ثم إنها نزعت ما عليها من الثياب ولبست أفخر ماعندها من ملابس النساء فعلمت أنها أنثى ثم إنها أحضرت خمراً وشربت وسقت القرد ثم إنه واقعها نحو عشر مرات حتى غشى عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح إلى محله فنزلت إلى وسط المكان فأحس بى القرد وأراد افتراسى فبادرته بسكين كانت معى ففريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت أن تزهق روحها ثم وقعت مغشيًا عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت لى ما الذى حملك على ذلك ولكن بالله عليك أن تلحقنى به فلا زلت ألاطفها وأضمن لى إنى أقوم بما قام القرد من كثرة النكاح إلى أن سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم أصبر عليها فشكوت حالى إلى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لى بتدبير هذا الأمر وقالت لى لابد أن تأتينى بقدرة وتملأها من الخل البكر وتأتينى بقدر رطل من العود القرح فأتيت لها بما طلبته فوضعته فى القدر ووضعت القدر على النار وغلت غليانًا قويا ثم أمرتنى بنكاح الصبية فنكحتها إلى أن غشى عليها فحملتها العجوز وهى لا تشعر وألقت فرجها على فم القدرة فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل منه شىء فإذا هو دودتان إحداهما سوداء والأخرى صفراء فقالت العجوز الأولى تربت من نكاح العبد والثانية من نكاح القرد فلما أفاقت من غشيتها استمرت معى مدة وهى لاتطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٣٨٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فأخبرتها بالقصة واستمرت معه فى أرغد عيش وأحسن لذة إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده الملك والملكوت .

(حكاية الحكماء أصحاب الطاووس والبوق والفرس)

(ومما) يحكى أنه كان فى قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البدور السافرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كأنه القمر فبينما الملك جالس على كرسى مملكته يومًا من الأيام إذ دخل عليه ثلاثة من الحكماء مع أحدهم طاووس من ذهب ومع الثانى بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وأبنوس فقال لهم الملك ماهذه الأشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس إن منفعة هذا الطاووس أنه كلما مضت ساعة من ليل أو نهار يصفق بأجنحته ويزعق وقال صاحب البوق إنه إذا وضع البوق عى باب المدينة يكون كالحافظ عليها فإذا دخل فى تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يامولاى إن منفعة هذا الفرس إنه إذا ركبها إنسان توصله إلى أى بلاد أراد فقال الملك لا أنعم عليك حتى أجرب منافع هذه الصورة ثم إنه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنيا على فقالا نتمنى عليك أن تزوج كل واحد بنتًا من بناتك ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس وقبل الأرض بين يدى الملك وقال يامك الزمان أنعم علىّ كما أنعمت على أصحابى فقال له الملك حتى أجرب ما أتيت به فعند ذلك تقدم ابن الملك وقال ياوالدى أنا أركب هذه الفرس وأجربها وأختبر منفعتها فقال الملك يا ولدى جربها كما تحب فقام أبن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم تتحرك من مكانها فقال يا حكيم أين الذى ادعيته من سيرها فعند ذلك جاء الحكيم إلى ابن الملك وأراه لولب الصعود . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٨٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحكيم عرف ابن الملك لولب الصعود وقال له افرك هذا اللولب ففركه ابن الملك وإذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك إلى عنان السماء ولم يزل طائرًا به حتى غاب عن الأعين فعند ذلك احتار ابن الملك وندم على ركوبه الفرس ثم قال إن الحكيم قد عمل حيلة على هلاكى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه جعل يتأمل فى جميع أعضاء الفرس فبينما هو يتأمل فيها إذ نظر لشىء مثل رأس الديك على كتف الفرس الأيمن وكذلك الأيسر فقال ابن الملك ما أرى فيه أثر غير هذين الزرين ففرك الذر الذى على الكتف الأيمن فازدادت به الفرس طيرا طالعة إلى الجو فتركه ثم نظر إلى الكتف فرأى ذلك الزر ففركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلا قليلا وهو محترس على نفسه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٣٨٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما فرك الزر الأيسر تناقصت حركات الفرس من الصعود إلى الهبوط ولم تزل هابطة به إلى الأرض قليلا قليلا وهو محترس على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحًا وسرورًا وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه حيث أنقذه من الهلاك ولم يزل هابطا به حتى نزل مستويًا على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول والله إن الذى عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فإن مد الله تعالى فى أجلى وردنى إلى بلادى سالم وجمع بينى وبين والدى لأحسنن إلى هذا الحكيم كل الإحسان ولانعمن عليه غاية الأنعام ثم جلس فوق سطح القصرحتى علم أن الناس قد ناموا وكان قد أضر به الجوع والعطش لأنه منذ فارق والده لم يأكل طعامًا فقال فى نفسه أن مثل هذا القصر لايخلو من الرزق فترك الفرس فى مكان ونزل يتمشى لينظر شىء يأكله فوجد سلما فنزل منه إلى أسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من



ذلك المكان ومن حسن بنيانه ولكنه لم يجد فى ذلك القصر حس حسيس ولا إنس أنيس فوقف متحيرًا وصار ينظر يمينًا وشمالا وهو لايعرف أين يتوجه ثم قال في نفسه ليس لى أحسن من أرجع إلى المكان الذى فيه فرسى وأبيت عندها فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٨٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك قال فى نفسه ليس لى أحسن من البيات عند فرسى فإذا أصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام إذا نظر إلى نور مقبل إلى ذلك المحل الذى هو فيه فتأمل من ذلك النور فوجده مع جماعة من الجوارى وبينهن صبية أليفة بهية تحاكى البدر الزاهر كما قال فيها الشاعر :

جاءت بلا موعد فى ظلمة الغسق	كأنها البدر فى داج من الأفق
هيفاء ما فى البرايا من يشابهها	فى بهجة الحسن أوفى رونق الخلق
ناديت لما رأت عينى محاسنها	سبحان من خلق الإنسان من علق
أعيذها من عيون الناس كلهم	بقل أعوذ برب الناس والفلق

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان أبوها يحبها حبا شديدًا ومن محبته إياها بنى لها هذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجيء إليه هى وجواريها تقيم فيه يومًا أو يومين أو أكثر ثم تعود إلى سرايتها فاتفق أنها أتت تلك الليلة من أجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجوارى ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر رشوا الفرش وطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينما هما فى لعب وانشراح إذ هجم ابن الملك على الخادم ولطمه فبطحه فلما نظرت ابنة الملك إلى حسنه وجماله قالت لعلك أنت الذى خطبتنى من والدى بالأمس وردك وزعم أنك قبيح المنظر والله لقد كذب أبى كيف قال ذلك الكلام فما أنت إلا مليح ثم أقبلت عليه وعانقته وقبلته ورقدت وإياه فقام ذلك الخادم وتوجه إلى الستر ورفعه فرأى ابنة الملك

جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك ياسيدى هل أنت إنسى أو جنى فقال له ابن الملك ويلك يا أنجس العبيد كيف تجعل أولاد الملوك الأكاسرة من الشياطين الكافرة ثم إنه أخذ السيف بيده وقال أنا صهر الملك وقد زوجنى بابنته وأمرنى بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه هذا الكلام قال له ياسيدى إن كنت من الأنس كما زعمت فإنها ماتصلح إلا لك وأنت أحق بها من غيرك ثم إن الخادم توجه إلى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثا التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذى دهاك فقد أرجفت فؤادى أخبرنى بسرعة وأوجز فى الكلام فقال له أيها الملك أدرك بنتك فإنها قد استولى عليها شيطان من الجن فى زى الأنس مصور بصورة أولاد الملوك فدونك وإياه فلما سمع الملك منه هذا الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتى حتى لحقها هذا العارض ثم إن الملك توجه إلى القصر الذى فيه ابنته فلما وصل إليها وجد الجوارى فقال لهن ما الذى جرى لابنتى قلن أيها الملك بينما نحن جالسات معها فلم نشعر إلا وقد هجم علينا هذا الغلام الذى كأنه بدر التمام أو أحسن منه وجهًا وبيده سيف مسلول فسألناه عن حالة فزعم إنك قد زوجته ابنتك ونحن لانعلم شيئًا غير هذا ولانعرف هو إنسى أو جنى ولكنه عفيف أديب لايتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن برد مابه ثم إنه رفع الستر قليلا قليلا ونظر فرأى ابن الملك جالسا مع ابنته يتحدثنان وهو فى أحسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقدر الملك أن يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وهجم عليهما كأنه غول فلما نظر ابن الملك قال لها أهذا أبوك قالت نعم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٨٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليهما كأنه الغول قال لها أهذا أبوك قالت نعم فعند ذلك وثب قائمًا وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فأدهشته وهم أن يحمل عليه بالسيف فعلم الملك أنه أوثب منه فأغمد



سيفه ثم وقف حتى انتهى إليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال يافتى هل أنت إنسى أم جنى فقال له ابن الملك لولا أنى أرعى ذمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك كيف تنسبنى إلى الشياطين وأنا من أولاد الملوك الأكاسرة قال له إن كنت من أولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصرى بغير إذنى وهتكت حرمتى ووصلت إلى بنتى وزعمت أنك بعلم أو ادعيت أنى قد زوجتك بها وأنا قد قتلت الملوك وأبناء الملوك حين خطبوها منى ومن ينجيك من سطوتى وأنا إن صحت على عبيدى وغلمانى وأمرتهم بقتلك قتلوك فى الحال فمن يخلصك من يدى فقال له ابن الملك لقد أحسنت فى قولك ولكن أيها الملك إذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك على وقتلونى كما زعمت فإنك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأى عندى أن ترجع أيها الملك إلى ما أشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذى أحدثك به أما أن تبارزنى أنا وأنت خاصة فمن قتل صاحبه كان أحق وأولى بالملك وإما أن تتركنى فى هذه الليلة وإذا كان الصباح فاخرج إلى عسكرك وجنودك وغلمانك وأخبرنى بعددهم فقال الملك إن عددهم أربعون ألف فارس من غير العبيد الذين لى وغير أتباعهم وهم مثلهم فى العدد فقال ابن الملك إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلى وقل لهم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٨٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن بن الملك قال له إذا كان طلوع النهار فأخرجهم إلى وقل لهم هذا خطب منى ابنتى على شرط أن يبارزكم جميعًا وأد[illegible] أنه يغلبكم ويقهركم وأنكم لا تقدرون عليه ثم اتركنى معهم أبارزهم فإذا قتلونى فذلك أخفى لسرك وأصون لعرضك وإن قتلتهم وغلبتهم فمثلى من يرغب الملك فى مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وبعد ذلك دعا الملك الخادم وأمره أن يخرج من وقته وساعته إلى وزيره ويأمره أن يجمع العساكر ويأمرهم بحمل أسلحتهم وأن يركبوا خيولهم فسار الخادم وأعلمه بما أمره به الملك هذا ما كان

من أمرهم (وأما) ما كان من أمرالملك فإنه مازال يتحدث مع الغلام حيث أعجبه حديثه وعقله وأدبه فبينما هما يتحدثان وإذا بالصباح قد أصبح فقام الملك وتوجه إلى تخته وأمر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرسا جيداً من خيار خيله فقال له لايعجبنى شىء من خيلك ولا أركب إلا الفرس التى جئت راكبًا عليها فقال له الملك وأين فرسك فقال على سطح القصر فلما سمع كلامه قال له هذا أول ماظهر من خيالك ياويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن فى هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم إن الملك التفت إلى بعض خواصه وقال له امضى إلى قصرى وأحضر الذى تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض أن هذا شىء ما سمعنا بمثله ثم إن الذى أرسله الملك إلى القصر صعدا إلى أعلاه فرأى الفرس قائماً ولم ير أحسن منه فتقدم إليه وتأمله فوجده من الأبنوس العاج وكان بعض خواص الملك طلع معه أيضًا فلما نظروا إلى الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ما ذكره الفتى فما نظنه إلا مجنوناً ولكن سوف يظهر لنا مراده . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٢٨٨)

- قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن خواص الملك لما نظروا الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ماذكره الفتى فما أظنه إلا مجنونًا لكن سوف يظهر لنا أمره وربما يكون له شأن عظيم ثم إنهم رفعوا الفرس على أيديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا إلى قدام الملك وأوقفوها بين يديه فاجتمع عليها الناس ينظرون إليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسنها الملك أيضًا وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يافتى أهذه فرسك فقال نعم أيها الملك هذه فرسى وسوف ترى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك واركبها قال لا أركبها إلا إذا بعد عنها العساكر فأمر الملك العسكر الذين حوله أن يبعدوا عنها مقدار رمية السهم فقال له أيها الملك ها أنا رائح أركب فرسى وأحمل على جيشك فأفرقهم



يمينًا وشمالاً وأصدع قلوبهم فقال له الملك افعل ماتريد ولاتبق عليهم فإنهم لا يبقون عليك ثم إن ابن الملك توجه إلى فرسه وركبها فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت إليه الأبصار لينظروا ماذا يريد أن يفعل فماجت فرسه واضطربت حتى عملت أغرب حركات الخيل وأمتلا جوفها بالهواء ثم ارتفعت وصعدت إلى الجو فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد إلى الجو ونادى على جيشه وقال ياويلكم خذوه قبل أن يفوتكم فعند ذلك قال له وزرائه ونوابه أيها الملك هل أحد يلحق الطير الطائر وما هذا إلا ساحر عظيم قد نجاك الله منه فاحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك إلى قصره بعدما رأى من ابن الملك ما رأى ولما وصل إلى قصره ذهب إلى ابنته وأخبرها بما جرى له مع ابن الملك في الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم إنها مرضت مرضًا شديد ولزمت الوساد ثم قالت في نفسها لا أكل طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى يجمع الله بيني وبينه فحصل لأبيها الملك هم عظيم وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد إلا شغفًا به . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٨٩)

قالت : بلغني أيها الملك السعيد إن الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لاتزداد إلا شغفًا به هذا ما كان من أمر الملك وابنته (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لما صعد في الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل أصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم ابنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم إنه جد في السير حتى أشرف على مدينة أبيه ودار حول المدينة ثم توجه إلى قصر أبيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل إلى والده ودخل عليه فوجده حزينًا كئيبًا لأجل فراقه فلما رآه والده قام إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وفرح به فرحًا شديداً ثم إنه لما اجتمع بوالده سأله عن الحكيم الذي عمل له الفرس وقال يا والدي مافعل الدهر به فقال له والده لابارك الله في الحكيم ولا في الساعة التي

رأيته فيها لأنه هو الذى كان سببًا لفراقك منا وهو مسجون يا ولدى من يوم غبت عنا فأمر ابن الملك بالإفراج عنه وإخراجه من السجن وإحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه وأحسن إليه غاية الإحسان إلا أنه لم يزوجه ابنته فغضب الحكيم من أجل ذلك غضبًا شديدًا وندم على مافعل وعلم أن ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم إن الملك قال لابنه الرأى عندى أنك لاتقرب هذا الفرس بعد ذلك ولاتركبها أبدًا بعد يومك هذا إنك لاتعرف أحوالها فأنت منها على غرور وكان ابن الملك حدث أباه بما جرى له مع ابنة الملك صاحب المدينة وما جرى له مع أبيها فقال له أبوه لو أراد الملك قتلك لقتلك ولكن فى أجلك تأخير ثم إن ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام إلى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به فى الهواء وعلت به إلى عنان السماء فلما أصبح الصباح افتقده أبوه فلم لم يجده فطلع إلى أعلى القصر وهو ملهوف فنظر إلى ابنه وهو صاعد فى الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى أمره ثم قال فى نفسه والله إن رجع إلى ولدى مابقيت أخلى هذا الفرس لأجل أن يطمئن قلبى على ولدى ثم إنه عاد إلى بكائه ونحيبه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عاد إلى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابنه فإنه لم يزل سائرًا فى الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل فى المكان الذى كان فيه أولا ومشى مستخفيًا حتى وصل إلى محل ابنه الملك فلم يجدها لا هى ولا جواريها ولا الخادم الذى كان محافظًا عليها فعظم ذلك عليه ثم إنه دار يفتش عليها فى القصر فوجدها فى مجلس آخر غير محلها الذى اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجوارى والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت إليه واعتنقته وجعلت تقبله بين عينيه وتضمه إلى صدرها فقال لها يا سيدتى أوحشتينى هذه المدة



فقالت له أنت الذى أوحشتنى ولو طالت غيبتك عنى لكنت هلكت فقال لها أتطيعينى وتصغى إلى قولى فقالت له قل ما شئت فإنى أجيبك إلى ما تدعونى إليه ولا أخالفك فى شيء فقال لها سيرى معى إلى بلادى وملكى فقالت له حبا وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها وفرح فرحًا وشديدًا وأخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم إن ابن الملك ركب فرسه وأردفها خلفه وأوثقها بالرباط خوفًا عليها وسار بها ولم يزل فى الهواء حتى وصل إلى مدينة أبيه فاشتد فرحه ثم أراد أن يظهر للجارية محل سلطانه وملك أبيه ويعرفها أن ملك أبيه أعظم من ملك أبيها فانزلق فى بعض البساتين التى يتفرج فيها والده وأدخلها فى المقصورة لأبيه وأوقف الفرس الأبنوس على باب تلك المقصورة وأوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال اقعدى ههنا حتى أرسل إليك رسولى فإنى متوجه إلى أبى لأجل يهيئ لك قصرًا وأظهر لك ملكى ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ماتريد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية فرحت عندما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ماتريد ثم خطر ببالها إنها لاتدخل إلا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لأمثالها ثم إن ابن الملك تركها وسار حتى وصل إلى المدينة ودخل على والده فلما رآه أبوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم إن ابن الملك قال لوالده على أنى قد أتيت ببنت الملك التى كنت أعلمتك بها وتركتها خارج المدينة فى بعض البساتين وجئت أعلمك بها لأجل أن تهيئ الموكب وتخرج لملاقاتها وتظهر لها ملكك وجنودك وأعوانك فقال له الملك حبا وكرامة ثم أمر من وقته وساعته أهل المدينة أن يزينوا المدينة أحسن زينة وأخرج ابن الملك من قصره الحلى والحلل وما تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الأخضر والأحمر والأصفر وأظهر من الذخائر شيئًا عجيبًا ثم إن ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق إلى البستان ودخل المقصورة التى تركها فيها وفتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف فى

البستان وهو مدهوش العقل وقال فى نفسه كيف علمت بسر هذا الفرس وأنا لم أعلمها بشىء من ذلك ولعل الحكيم الفارسى الذى عمل الفرس قد وقع عليها وأخذها جزءاً بما عمله والذى معه ثم إن ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عمن مر بهم وقال لهم هل نظرتم أحداً مر بكم ودخل هنا فقالوا مارأينا أحدا دخل البستان سوى الحكيم ا لفارسى فإنه دخل ليجمع الحشائش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده أن الذى أخذ الجارية هو ذلك الحكيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما سمع كلامهم صح عنده أن الذى أخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالأمر المقدر أن ابن الملك لما ترك الجارية فى المقصورة التى فى البستان ذهب إلى قصر أبيه ليهيئ أمره دخل الحكيم الفارسى البستان ليجمع شيئًا من الحشائش فشم رائحة المسك الطيب التى عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رائحة الملك فقصد الحكيم صوب تلك الرائحة حتى وصل إلى تلك المقصورة فرأى الفرس الذى صنعه بيده واقف على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلأ قلبه فرحًا وسرورًا فتقدم إلى الفرس وأفتقد جميع أجزائها فوجدها سالمة ولما أراد أن يركبها ويسير قال فى نفسه لابد أن أنظر ماجاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهى كالشمس الضاحية فى السماء الصافية فقالت له من أنت فقال لها ياسيدتى أنا رسول ابن الملك قد أرسلنى إليك وأمرنى أن أنقلك إلى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام دخل فى عقلها وصدقته وقامت معه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الحكيم الفارسى لما أخبر الجارية بأحوال ابن الملك صدقت كلامه ودخل فى عقلها وقامت معه ووضعت يدها فى يده ثم قالت له يا والدى ما



الذى جئت لى معك حتى أركبه فقال ياسيدتى الفرس التى جئت عليها تركبينها فقالت له أنا لا أقدر على ركوبها وحدى فتبسم الحكيم عندما سمع منها ذلك وعلم أنه قد ظفر بها فقال لها أنا أركب معك بنفسى وأركب الجارية خلفه وضمها إليه وشد وثاقها وهى لاتعلم مايريد بها ثم إنه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة إلى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا أين الذى قلته عن ابن الملك حيث زعمت أنه أرسلك إلىّ فقال لها الحكيم قبح الله ابن الملك فإنه قبيح لئيم فقالت له ياويلك كيف تخالف أمر مولاك فيما أمرك به فقال لها ليس هو مولاى فهل تعرفين من أنا فقالت له لا أعرفك إلا بما عرفتنى به عن نفسك فقال لها إنما كان إخبارى لك بهذا الخبر حيلة منى عليك وعلى ابن الملك ولقد كنت متأسفًا طول عمرى على هذه الفرس التى تحتك فإنها صناعتى وكان استولى عليها والآن قد ظفرت بها وبك أيضًا وقد أحرقت قلبه كما أحرق قلبى ولايتمكن منها بعد ذلك أبدا فطيبى قلبًا وقرى عينا فأنا لك أنفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا أسفاه لاحصلت حبيبى ولابقيت عند أبى وأمى وبكت بكاءً شديدًا على ماحل بها ولم يزل الحكيم سائرًا بها إلى بلاد الروم حتى نزل بها فى مرج أخضر ذى أنهار وأشجار وكان ذلك المرج بالقرب من مدينة وفى تلك المدينة ملك عظيم الشأن فاتفق فى ذلك اليوم أن ملك تلك المدينة خرج إلى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفًا والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم إلا وقد هجم عليه عبد الملك وأخذوه هو والجارية والفرس وأوقفوا الجميع بين يدى الملك فلما نظر إلى قبح منظره وبشاعته ونظر إلى حسن الجارية وجمالها قال لها ياسيدتى ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هى زوجتى وابنة عمى فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت أيها الملك والله لا أعرفه ولاهو بعلى بل أخذنى قهرًا بالحيلة فلما سمع الملك كلامها أمر بضربه فضربوه حتى كاد أن يموت ثم أمر الملك أن يحملوه إلى المدينة ويطرحوه فى السجن ففعلوا به ذلك ثم إن الملك أخذ الجارية والفرس منه هذا ما كان من أمر الحكيم والجارية (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه لبس ثياب السفر وأخذ ما يحتاج إليه من المال وسافر وهو فى أسوأ حال وسار مسرعًا يقتص

الأثر فى طلبهما من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ويسأل عن الفرس الأبنوس ومع كثرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم إنه سار إلى مدينة أبى الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر فرجع فقصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما ويسأل عنهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٣٩٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص أثرهما يسأل عنهما فاتفق أنه نزل فى خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريبا منهم فسمع أحدهم يقول يا أصحابى لقد رأيت عجبًا من العجائب فقالوا وما هو قال إنى كنت فى بعض الجهات فى مدينة كذا وذكر اسم المدينة التى فيها الجارية فسمعت أهلها يتحدثون بحديث غريب وهو أن ملك المدينة خرج يوما من الأيام إلى الصيد والقنص ومعه جماعة من أصحابه وأكابر دولته فلما طلعوا إلى البرية جازوا على مرج أخضر فوجد هناك رجلا واقفا إلى جانبه امرأة جالسة ومعه فرس من أبنوس فأما الرجل فإنه قبيح المنظر مهول الصورة جدًا وأما المرأة فإنها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وأما الفرس الأبنوس فإنها من العجائب فإنها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال وأما الفرس الأبنوس فإنهأ من العجائب التى لم ير الراؤن أحسن منها ولا أجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال أما الرجل فإنه أخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى أنها زوجته وابنة عمه ، وأما الجارية فإنها كذبته فى قوله فأخذها الملك وأمر بضربه وطرحه فى السجن فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى أخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسرورًا فلما أصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافرًا حتى وصل إلى تلك المدينة فلما أراد أن يدخلها أخذه البوابون وأتوا به إلى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون إلى حسنه وجما له



لم يهن عليهم أن يدخلوه السجن بل أجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام أكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الأكل وجعلوا يتحدثون ثم أقبلوا على ابن الملك وقالوا له من أى البلاد أنت فقال أنا من بلاد فارس بلاد الأكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال بعضهم ياكسروى لقد سمعت حديث الناس وأخبارهم وشاهدت أحوالهم فما رأيت ولاسمعت أكذب من الكسروى ولا أبشع من صورته فقال لهم ما الذى بان لكم من كذبة فقالوا يزعم أنه حكيم وكان الملك قد رآه فى طريقة وهو ذاهب إلى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه أيضًا فرس من الأبنوس الأسود ما رأينا قط أحسن منها ؛ فأما الجارية فهى عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة وأما الرجل القبيح المنظر الذى كان معها فإنه عندنا فى السجن فإذا جن عليه الليل يبكى وينتحب آسفا على نفسه ولايدعنا ننام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الموكلين بالسجن لما أخبروه بخبر الحكيم الفارسى الذى عندهم فى السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله أن يدبر تدبير ليبلغ غرضه فلما أراد البوابون النوم أدخلوه السجن وأغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكى وينوح على نفسه بالفارسية ويقول فى نفسه الويل لى بما جنيت على نفسى وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية وذلك كله من سوء تدبيرى فإنى طلبت لنفسى ما لا أستحقه ومالا يصلح لمثلى ومن طلب مالا يصلح له وقع فى مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمة بالفارسية وقال له إلى كم هذا البكاء والعويل هل ترى أنه أصابك مالم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه أنس به وشكا إليه حاله وما يجده من المشقة فلما أصبح الصباح أخذ البوابون ابن الملك وأتوا به إلى ملكهم وأعلموه أنه وصل إلى المدينة بالأمس فى وقت لايمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من أى البلاد أنت وما اسمك وما صنعتك وماسبب مجيئك إلى هذه المدينة فقال ابن الملك ما اسمى فإنه بالفارسية حرجة وأما بلادى فهى بلاد فارس وأنا من أهل العلم وخصوصًا علم الطب فإنى

أداوى المرضى والمجانين فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحا شديدًا وقال له أيها الحكيم الفاضل لقد وصلت إلينا فى وقت الحاجة إليك ثم أخبره بخبر الجارية وقال له إن داويتها وإبرائها من جنونها فلك عندى جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له اعز الله الملك صف لى كل شىء رأيته من جنونها وأخبرنى منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف أخذتها هى والفرس والحكيم فأخبره بالخبر من أوله إلى اخره قال أعز الله الملك إنى أريد الدخول على الجارية حتى انظر مايكون منها وأرجو الله أن يكون برؤها على يدى بسبب الفرس إن شاء الله تعالى فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تتخبط وتتصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وإنما تفعل ذلك حتى لايقر بها أحد فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لابأس عليك يافتنة العالمين ثم إنه جعل يرفق بها ويلاطفها إلى أن عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشى عليها من شدة ماحصل لها من الفرح فظن الملك أن هذه الصرعة من فزعها منه ثم إن ابن الملك وضع فمه على أذنها وقال لها يافتنة العالمين احقنى دمى ودمك واصبرى وتجلدى فقالت له سمعًا وطاعة ثم إنه خرج من عندها وتوجه إلى الملك فرحًا مسرورًا وقال أيها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك داءها ودواءها وقد داويتها لك فقم الآن وادخل إليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما جعل نفسه حكيمًا ودخل على الجارية وأعلمها بنفسه وأخبرها بالتدبير الذى يدبره فقالت له سمعًا وطاعة خرج من عندها وتوجه إلى الملك وقال له قم ادخل عليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فإنه يتم لك كل ماتريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قامت إليه وقبلت الأرض بين يديه ورحبت به فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركتك زادنا الله من نفحاتك فقال له ابن الملك إن تمام برئها وكمال أمرها أنك تخرج أنت وكل من معك من أعوانك وعسكرك إلى المحل الذى كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الأبنوس التى كانت معها لأجل أن أعقد عنها



العارض هناك واسجنه وأقتله فلا يعود إليها أبداً فقال له الملك حبًا وكرامة ثم أخرج الفرس الأبنوس إلى المرج الذى وجدها فيه هى والجارية والحكيم الفارسى وركب الملك مع جيشه وأخذ



(بنت ملك صنعاء اليمن وهى فى الحمام
وحواليها جوارى ملك الروم)

الجارية صحبته وهم لايدرون ما يريد أن يفعل فلما وصلوا إلى تلك المرج أمر ابن الملك الذى جعل نفسه حكيمًا أن توضع الجارية والفرس بعيداً عن الملك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك دستور عن إذنك أنا أريد أن أطلق البخور وأتلو العزيمة وأسجن العارض هنا حتى لايعود



(بنت ملك صنعاء اليمن
وهى راكبة الفرس
الأبنوس
مع ابن الملك عندما
حرك لولب الصعود
وطارت بهما من وسط
المرج)

إليها أبدا ثم بعد ذلك أركب الفرس الأبنوس وأركب الجارية خلفى فإذا فعلت ذلك الفرس تضطرب وتمشى حتى تصل إليك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك لما قال الملك الروم حتى تصل إليك فعند ذلك يتم الأمر فافعل بها بعد ذلك ماتريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحا شديدا ثم إن ابن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون إليه ثم إنه ضمها إليه وشد وثاقها وبعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس فى الهواء والعساكر تنظر إليه حتى غاب عن أعينهم ومكث الملك نصف يوم ينتظر عودته إليه فلم يعد ، فيئس منه وندم هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر ابن الملك فإنه قصد مدينة أبيه فرحًا مسرورًا ولم يزل سائر إلى أن نزل على قصره وأنزل الجارية فى القصر وأمن عليها ثم ذهب إلى أبيه وأمه فسلم عليهما وأعلمهما بقدوم الجارية ففرحا بذلك فرحًا شديدًا هذا ماكان من أمر ابن الملك والفرس والجارية (وأما) ما كان من أمر ملك الروم فإنه لما عاد إلى مدينته احتجب فى قصره حزينًا كئيبًا فدخل عليه وزرائه وجعلوا يسلونه ويقولون له إن الذى أخذ الجارية ساحر والحمد الله الذى أنجاك من سحره ومكره ومازالوا به حتى تسلى عنها وأما ابن الملك فإنه عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٣٩٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك عمل الولائم العظيمة لأهل المدينة هذا ما كان أمره (وأما) ما كان من أمر والده فإنه كسر الفرس والأبنوس وأبطل حركاتها ثم إن ابن الملك كتب كتابًا إلى أبى الجارية وأخبره أنه تزوج بها وهى عنده فى أحسن حال وأرسل إليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفا نفيسة فلما وصل الرسول إلى مدينة أبى الجارية وهى صنعاء اليمن أوصل الكتاب والهدايا إلى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحًا شديدًا وقبل الهدايا وأكرم



الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وأرسلها إليه مع ذلك الرسول فرجع بها إلى ابن الملك وصار ابن الملك فى كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفى الملك أبو الغلام وتولى هو بعده فى المملكة فعدل فى الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده الملك والملكوت .

(حكاية أنس الوجود مع محبوبته الورد فى الأكمام)

(ومما) يحكى أيضًا أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك عظيم الشأن ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى إبراهيم وكانت له ابنة بديعة فى الحسن والجمال فائقة فى البهجة والكمال . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٣٩٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد بأن بنت الملك كانت فائقة فى البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب باهر إلا أنها تهوى المنادمة والراحة والوجوه الملاح ورقائق الأشعار ونوادر الأخبار تدعو العقول إلى الهوى رقة معانيها وكان اسمها الورد فى الأكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتها وكان الملك محبًا لمنادمتها لكمال أدبها ومن عادة الملك أنه فى كل عام يجمع أعيان مملكته ويلعب بالكرة فلما كان ذلك اليوم الذى يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير فى الشباك لتتفرج فبينما هم فى اللعب إذ لاحت منها التفاتة فرأت بين العسكر شابًا لم يكن أحسن منه منظرًا ولا أبهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل الباع واسع المنكب فكررت فيه النظر مرارًا فلم تشبع منه النظر فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليح الشمائل الذى بين العسكر فقالت لها يابنتى الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها اصبرى حتى أشير لك عليه ثم أخذت تفاحة ورمتها عليه فرفع رأسه فرأى ابنه الوزير فى الشباك كأنها البدر فى الأفلاك فلم يرد إليه طرفه ألا وهو بعشقها مشغول الخاطر فأنشد قول الشاعر :

أرمانى القواس أم جفناك	فتكا بقلب الصب حين رآك
وأتانى السهم المفوق برهة	من جحفل أم جاء من شباك

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذى وريته لك قالت اسمه أنس الوجود فهزت رأسها ونامت فى مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وأنشدت هذه الأبيات :



(الورد فى الأكمام بنت الوزير وفى يدها تفاحة وهى ترميها على أنس الوجود)

ماخاب من سماك أنس الوجود   يا جامعا بين أنس وجود
يا طلعة البدر الذى وجهه   قد نور الكون وعم الوجود
ما أنت إلا مفرد فى الورى   سلطان ذى حسن وعنده شهود
حاجبك النون التى حررت   ومقلتاك الصاد صنع الودود
وقدك الغصن الرطيب الذى   إذا دعى فى كل شىء يجود
قد فقت فرسان الورى سطوة   ولم تزل بفرط حسنك تسود

فلما فرغت من شعرها كتبته فى قرطاس ولفته فى خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحت المخدة وكانت واحدة من داياتها تنظر إليها فجاءتها وصارت تؤانسها حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت انها حصل لها وجد بأنس الوجود وبعد أن قرأت الورقة وضعتها فى مكانها فلما استفاقت سيدتها الورد فى الأكمام من نومها وقالت لها يا سيدتى أنى



لك من الناصحات وعليك من الشفيقات اعلمى أن الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الأمراض والأسقام فقالت لها الورد فى الأكمام يا دايتى وما دواء الغرام؟ قالت دواؤه الوصال ، قالت وكيف يوجد الوصال؟ قالت يا سيدتى يوجد بالمراسلة ولين الكلام وإن كان ذلك أمر يا مولاتى فأنا أولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسالتك فلما سمعت منها الورد فى الأكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن أمسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة أمرها فقالت المرأة ياسيدتى إنى رأيت فى منامى كأن رجلا جاءنى وقال لى إن سيدتك وأنس الوجود متحابان فمارسى أمرهما واحملى رسائلهما واقض حوائجهما وهاأنا وقد قصصت عليك والأمر إليك فقالت الورد فى الأكمام لدايتها لما أخبرتها بالمنام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح :

***

الليلة (٤٠٠)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الورد فى الأكمام قالت لدايتها لما أخبرتها بالمنام الذى رأته هل تكتمين الأسرار يادايتى فقالت كيف لا أكتم الأسرار وأنا من خلاصة الأحرار فأخرجت لها الورقة التى كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبى برسالتى هذه إلى أنس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بألف سلام ثم أعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب فى ظهر هذه الأبيات :

اعلل قلبى فى الغرام واكتم ... ولكن حالى عن هواى يترجم

وإن فاض دمعى قلت جرح بمقلتى ... لئلا يرى حال العذول فيفهم

وكنت خليا لست أعرف ما الهوى ... فأصبحت صبا والفؤاد متيم

رفعت إليكم قصتى أشتكى بها ... غرامى ووجدى كى ترقوا وترحموا

واسألكم من غير حمل مشقة ... زيارتنا أن الوصال معظم

ثم طوى الكتاب وقبله وأعطاه لها وقال لها يادادية استعطفى بخاطر سيدتك فقالت له سمعا وطاعة ثم أخذت منه المكتوب ورجعت إلى سيدتها وأعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق رأسها ثم فتحته وقرأته وفهمت معناه وكتبت فى أسفله هذه الأبيات :

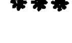
يـا مــن تــولـع قلـبه بجمالنا ... اصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
لمـا علمـنا أن حـبك صـــادق ... وأصاب قلبك ما أصاب فؤادنا
زدناك فوق الوصول وصلا مثله ... لكن منع الوصول مـن حجـابنا
وإذا تجلى الليل من فرط الهوى ... تتـوقـد النيـران فــى أحشـائنا

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس وأعطته للداية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٠١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الورد فى الأكمام طوت القرطاس وأعطته للداية فأخذته وخرجت من عند الورد فى الأكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها أين تذهبين فقالت إلى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الورقة فإن بعض الخدم رآها مرمية فى الطريق فأخذها فبينما الوزير جالس على سريره وإذا بذلك الخادم تقدم إليه وفى يده الورقة وقال يا مولاى إنى وجدت هذه الورقة مرمية فى الدار فأخذتها فتناولها الوزير من يده وهى مطوية ففتحها فرأى مكتوباً فيها الأشعار التى تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرآها بخط ابنته فدخل على أمها وهو يبكى بكاء شديداً حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته يا مولاى ان البكاء لا فائدة فيه وإنما الرأى الصواب أن تتبصر فى أمر يكون فيه صون عرضك وكتمان أمر بنتك وصارت تسليه وتخفف عنه الأحزان فقال لها أنى خائف على ابنتى من العشق أما تعلمين أن السلطان يحب أنس الوجود محبة عظيمة وأن أنس الوجود محظى عند السلطان وربما يحدث من هذا أمر عظيم الشأن فما رأيك فى ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٤٠٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك فى ذلك قالت له اصبر على حتى أصلى صلاة الاستخارة ثم إنها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها وقالت لزوجها أن فى وسط بحر الكنوز جبلاً يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتى وذلك الجبل لايقدر على الوصول إليه أحد إلا بالمشقة فاجعل لها موضعًا هناك فاتفق الوزير مع زوجته على أنه يبنى فيه قصرًا منيعًا ويجعلها فيه ويضع عندها مؤونتها عامًا بعد عام ويجعل عندها من يؤنسها ويخدمها ثم جمع النجارين والبنائين والمهندسين وأرسلهم إلى ذلك الجبل فبنوا لها قصرًا منيعًا لم ير مثله الراؤن ثم هيأ الزاد والراحلة ودخل على ابنته فى الليل وأمرها بالسير فأحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الأسفار بكت بكاء شديدًا وكتبت على الباب تعرف أنس الوجود بما جرى لها من الوجد الذى تقشعر منه الجلود ويذيب الجلمود ويجرى العبرات والذى كتبته هذه الأبيات :

بالله يا دار إن مر الحبيب ضحى	مسلمًا بإشارات يحيينا
أهديه منا سلاما زاكيًا معطرًا	لأنه ليس يدرى أين أمسينا
ولست أدرى إلى أين الرحيل بنا	لما مضوا بى سريعًا مستخفينا
فى جنح ليل وطير الأيك قد عكفت	على الغصون تبكينا وتنعينا
وقال عنها لسان الحال واحرباه	من التفرق ما بين المحبينا
لما رأيت كئوس البعد قد ملئت	والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذرًا	وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البرارى والقفاز والسهول والأوعار حتى وصلوا إلى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطئ البحر ومدوا لها مركبا عظيمة وأنزلوها فيها هى وعائلتها هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإنه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه إلى خدمة السلطان فمر فى طريقه على باب الوزير على جرى العادة لعله يرى أحدًا من أتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر إلى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوبا

عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار فى أحشائه ورجع إلى داره ولم يقر له قرار ولم يزل فى قلق ووجد إلى أن دخل فكتم أمره وتنكر وخرج فى جوف الليل هائمًا على غير طريق وهو لايدرى أين يسير فسار الليل كله وثانى يوم إلى أن اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر فى البرارى والقفاز إذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه أوسع من الباب وأنيابه مثل أنياب الفيل فلما رآه أنس الوجود أيقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد للموت وكان قد قرأ فى الكتب أن من خادع السبع انخدع له فشرع يقول له ياأسد الغابة ياليث الفضاء يا ضرغام يا أبا الفتيان ياسلطان الوحوش إننى عاشق مشتاق وقد أتلفنى العشق والفراق وحين فارقت الأحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامى وارحم لوعتى وغرامى فلما سمع الأسد مقالته تأخر عنه وجلس مقعدًا على ذنبه ورفع رأسه إليه وصار يلعب له ذنبه ويديه فلما رأى أنس الوجود هذه الحركات أنشد هذه الأبيات :

أسد البيداء هل تقتلنى	قبلى ما ألقى الذى تيمنى
لست صيدًا لا ولا بى سمن	فقد من أهواه قد أسقمنى
يا أبا الحرث يا ليث الوغى	لأتشمت عاذلى فى شجنى
واشتغالى فى دجى الليل بها	عن وجودى فى الهوى غيبنى

فلما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أنس الوجود لما فرغ من شعره قام الأسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرغرتان بالدموع ولما وصل إليه لحسه بلسانه ومشى قدامه وأشار إليه أن اتبعنى فتبعه ولم يزل سائرًا وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك



الجبل فرأى أثر المشى فى البرارى فعرف أن ذلك أثر مشى القوم بالورد فى الأكمام فتتبع الأثر ومشى فيه فلما رآه الأسد تتبع الأثر وعرف أنه أثر مشى بمحبوبته رجع الأسد إلى حال سبيله وأما أنس الوجود فإنه لم يزل ماشيًا فى الأثر أيامًا وليالى حتى أقبل على بحر عجاج متلاطم بالأمواج ووصل الأثر إلى شاطئ البحر وانقطع فعلم أنهم ركبوا البحر وساروا فيها وانقطع رجاؤه منهم والتفت يمينًا وشمالاً فلم ير أحدًا فى البرية فخشى على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو فى الجبل إذ سمع صوت آدمى يتكلم فى مغارة فصغى إليه وإذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج إليه فصعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

كيف السبيل إلى أن أبلغ الإربا ... وأترك الهم والتكدر والتعبا
وكل هول من الأهوال شيبنى ... قلبا ورأسًا مشيبا فى زمان صبا
ولم أجد لى معينا فى الغرام ولا ... خلا يخفف عنى الوجد والنصبا
وكم أكابد فى الأشواق من وله ... كان دهرى على الآن قد قلبا
وارحمتاه لصب عاشق قلق ... كأس التفرق والهجران قد شربا
وبعد هذا وهذا كله فإذا ... بلغت قصدى فلا هما ولاتعبا

فلما فرغ من شعره وإذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلا يقول وا رحمتاه فدخل الباب وسلم على العابد فرد عليه السلام وقال ما أسمك قال اسمى أنس الوجود فقال له ماسبب مجيئك إلى هذا المكان فقص عليه قصته من أولها إلى آخرها وأخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا أنس الوجود إن لى فى هذا المكان عشرين عامًا ما رأيت فيه أحد إلا بالأمس فإنى سمعت بكاء وغواشا فنظرت إلى جهة الصوت فرأيت ناسا كثيرين وخيامًا منصوبة على شاطئ البحر وأقاموا مركبًا ونزل فيها قوم منهم وساروا بها فى البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا إلى حال سبيلهم وأظن أن الذين ساروا على ظهر البحر ولم يرجعوا هم الذين أنت فى طلبهم يا أنس الوجود وحينئذ همك عظيم وأنت معذور ولكن لا يوجد محب إلا وقد قاسى الحسرات ثم أنشد العابد هذه الأبيات :

أنـس الوجـود خلـى البـال تحسبنـى ... والشوق والوجـد يطوينـى وينشرنى
إنى عرفت الهوى والعشق من صغرى ... مـن حيـن كنت صبيا راضـع اللبن
مـارسـتـه زمـنـا حتـى عرفـت بـه ... إن كنـت تـسأل عنـى فهـو يعرفنى
قـد كنت ذا قـوة ولكـن وهى جلدى ... وجيش صبرى بأسياف اللحاظ فنى
قضى الغـرام على العشاق أجمعهم ... أن الـسـلو حـرام بـدعـة الفـتن

فلما فرغ العابد من إنشاد شعره قام إلى أنس الوجود وعانقه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن العابد لما فرغ من إنشاد شعره قام إلى أنس الوجود عانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ثم قال العابد لأنس الوجود أنا فى هذه الليلة أصلى واستخير الله لك على شىء هذا ما كان من أمر أنس الوجود (وأما) ما كان من أمر الورد فى الأكمام فإنها لما وصلوا بها إلى الجبل وأدخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت إنك مكان مليح غير أنك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت فى تلك الجزيرة أطيارًا فأمرت بعض أتباعها أن ينصب لها فخا ويصطاد به منها وكل ما اصطاده يضعه فى أقفاص من داخل القصر ففعل ما أمرته به ثم إنها قعدت فى شباك القصر وتذكرت ما جرى لها وزاد بها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وأنشد هذه الأبيات :

يـا لمن أشتكى الغـرام الذى بى ... وشجونى وفرقتنى عن حبيبى
ولهيبًا بيـن الضلـوع ولكـن ... لست أبديه خيفة من رقيب
ثـم أصبحت رق عـود خـلال ... مـن بعاد وحـرقة ونحيب
قـد تعدوا على إذ حجبونـى ... فـى مكان لم يستطعه حبيبى
أسأل الشمس حمل ألف سلام ... عنـد وقت الشروق ثم الغروب
كيف أسلوه وهو قلبى وروحـى ... مسقمى ممرضى حبيبى طبيبى



هذا ما كان من أمر الورد فى الأكمام (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإن العابد قال له انزل إلى الوادي وائتني من النخيل بليف فنزل وجاء له بليف فأخذه العابد وفتله وجعله شنقا مثل أشناف التبن وقال له يا أنس الوجود وفى جوف الوادى فرعًا يطلع وينشف على أصوله فأنزل إليه واملأ هذا الشنف منه واربطه وارمه في البحر واركب عليه توجه إلى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فقال سمعا وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده إلى ما أمره به بعد أن دعا له العابد ولم يزل أنس الوجود سائر إلى جوف الوادى وفعل كما قال العابد ولما وصل بالشنف إلى وسط البحر هبت عليه ريح قذفه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحًا فى لجة البحر إلى أن رمته المقادير على جبل الثكلى بعد ثلاثة أيام فنزل إلى البر مثل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد فى ذلك المكان أنهارًا جارية وأطيارا مغردة على الأغصان وأشجارًا مثمرة صنوانا وغير صنوان فأكل من الأثمار وشرب من الأنهار وقام يمشى فرأى بياضًا على بعد فمشى جهته حتى وصل إليه فوجده قصرًا منيعًا مقفولا فجلس عنده ثلاثة أيام فبينما هو جالس وإذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى أنس الوجود قاعدًا فقال له من أين أنت أتيت ومن أوصلك إلى هنا فقال من أصبهان وكنت مسافرًا فى البحر بتجارة فانكسرت المركب التى كنت فيها فرمتنى الأمواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حياك الله يا وجه الأحباب أن أصبهان بلادى ولى فيها بنت عم كنت أحبها وأنا صغير وكنت مولعًا بها فغزى بلادى قوم أقوى منا وأخذونى فى جملة الغنائم وكنت صغيرًا فقطعوا إحليلى ثم باعونى خادمًا وها أنا فى تلك الحال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم الذى خرج من قصر الورد فى الأكمام حدث أنس الوجود بجميع ما حصل له وقال له إن القوم الذين أخذونى قطعوا إحليلى وباعونى خادمًا وهاأنا فى تلك الحالة وبعدما سلم عليه وحياه أدخله ساحة القصر فلما دخل رأى بحيرة عظيمة وحولها أشجار وأغصان وفيها أطيار تسبح الملك الديان فلما وصل إلى أولها تأمله فإذا هو قمرى

فلما رآه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشى على أنس الوجود فلما أفاق من غشيته صعد الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

أيها القمرى هل بمثلى تهيم   فاسأل المولى وغردك يا كريم
يا طرى نوحك هـذا طرب   أو غرام منك فى القلب مقيم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيًا عليه وحين أفاق من غشيته مشى حتى وصل إلى ثانى قفص فوجده فاختا فلما رآه الفاخت غرد وقال ياداثم أشكرك فصعد أنس الوجود الزفرات وأنشد هذه الأبيات :

وفاخت قد طال فى نوحه   يا دائمًا شكرًا على بلوتى
عسى لعل الله من فضله   يقضى بوصل الحب فى سفرتى
بقدرة الله متى لمنى   وقت الصفا يوما على سادتى
جعلت للعشاق ما لى قرى   لأنهم قوم على سنتى
وأطلق الأطيار من سجنها   وأطلق الأحزان من فرحتى

فلما فرغ من شعره وتمشى إلى ثالث قفص فوجده هزارًا فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه أنشد هذه الأبيات :

إن الهزار لطيف الصوت يعجبنى   كأنه صوت صب فى الغرام فنى
وارحمتاه على العشاق كم قلقوا   من ليلة بالهوى والشوق والمحن
إن كان الدهر أنصاف ويجمعنى   بمن أحب وستر الله يشملنى
قلعت ثوبى لحبى كى يرى جسدى   بالصد والبعد والهجران كيف ضنى

فلما فرغ من شعره وتمشى إلى رابع قفص فرآه بلبلا فناح وغرد عند رؤية أنس الوجود فلما سمع تغريده سكب العبرات وأنشد هذه الأبيات :

إن للبلبل صوتًا فى السحر   شغل العاشق من حسن الوتر
فى الهوى أنس الوجود لمشتـ   كى من غرام قد محا منه الأثر



فطــــربـنا بســـماع وشــــذا　　من نسيم وطيور فى السحر
متـــع الله محبـاً عـاشـقاً　　مـن حبيب بـوصـال ونظـر
إن للعشـاق عــذرا واضــحًا　　ليس يدرى العذر إلا ذو النظر

فلما فرغ من شعره مشى قليلا فرأى قفصا حسنًا لم يكن هناك أحسن منه فلما قرب منه وجده حمام الأيك وهو اليمام المشهور من بين الطيور بنوح الغرام وفى عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجده ذاهلا باطلا باهتًا فى قفصه فلما رآه بهذا الحال أفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

يا حمـام الأيك أقريك السلام　　يا أخـا العشاق من أهل الغـرام
إننـــى أهـــوى غـــزالاً أهيفا　　لحظة أقطع مـن حـد الحســـام
فى الهوى أحرق قلبى والحشـى　　وعـلا جسمـى نحـول وسـقام
ولـذيـذ الـزاد قـد أحرمته　　مثل ما أحرمت مـن طيب المنام
كيف يهن العيش لى من بعدهم　　وهمـوا روحـى وقصدى والمـرام

فلما فرغ أنس الوجود من شعره . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلــة (٤٠٦)

قـالت : بلغنى أيهـا الملك السـعيـد أن أنس الوجود لما فـرغ من شـعره التـفت إلى صـاحبـه الأصبهانى وقال له ما هذا القصر ومن هو بناه قال له بناه وزير الملك الفلانى لابنته خوفًا عليها من عوارض الزمان وطوارق الحدثان فقال فى نفسه قد حصل المقصود لكن المدة طويلة هذا ما كان من أمر أنس الوجود (وأما) ما كان من أمر الورد فى الأكمام فإنها لم يهنأ لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت فى أركان القصر فلم تجد لها مصرفًا فسكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات :

حبسونى عـن حبيبى قـوة　　وأذاقـونـى بسجنى لـوعتـى
أحرقوا قلبى بنيران الهـوى　　حيث ردوا عن حبيبى نظرتى
حبسونى فى قصور شيدت　　فــى جبال خلقت فـى لجة

أن يكونوا قد أرادوا سلوتى لم تزد فى الحب إلا محنتى
كيف أسلو والذى بى كله أصله فى وجه حبى نظرتى
يا ترى هل بعد هذا كله يسمح الدهر بلقيا منيتى

فلما فرغت من شعرها طلعت إلى سطح القصر وأخذت أثوابًا بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت إلى الأرض وقد كانت لابسة أفخر ما عندها من اللبس وفى عنقها عقد من الجواهر وسارت فى تلك البرارى والقفار حتى وصلت إلى شاطئ البحر فرأت صيادًا فى مركب دائر فى البحر يصطاد فرماه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد فى الأكمام فى تلك الجزيرة فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هاربًا فنادته وأكثرت إليه الإشارات وأنشدت هذه الأبيات :

يا أيها الصياد لاتخشى الكدر إننى إنسية مثل البشر
أريد منك أن تجيب دعوتى وتسمعن قولى بإسناد الخبر
فارحم وقاك الله حر صبوتى إن أبصرت عيناك محبوبًا نفر
فإننى أهوى مليحًا وجهه فاق وجه الشمس نور القمر
عسى حبيبى أن يوفى بالمنى فإن قلبى ذاب شوقًا وانفطر

فلما سمع الصياد كلامها أرسى مركبه على البر وقال لها انزلى فى المركب حتى أعود بك إلى أى موضع تريدين فنزلت فى المركب وعوم بها فسارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن أعينهما وصار الصياد مدة ثلاثة أيام ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت إلى مدينة على شاطئ البحر . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المركب لما وصلت بالصياد والورد فى الأكمام إلى مدينة على شاطئ البحر أراد الصياد أن يرسى مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له درباس وكان فى ذلك الوقت جالسًا هو وابنه فى قصر مملكته وصارا ينظران من شباك القصر



فالتفتا إلى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كانها البدر فى أفق السماء وفى أذنيها حلق من البلخش الغالى وفى عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك إنها من بنات الأكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأى المركب قد رست على الشاطئ وكانت البنت نائمة والصياد مشغولاً يربط المركب فأيقظها الملك من منامها فاستيقظت وهى تبكى فقال لها الملك من أين أنت وابنه من أنت وما سبب مجيئك هنا؟ ، فقالت له الورد فى الأكمام أنا ابنة إبراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيئى هنا أمر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من أولها إلى آخرها فقال لها لاخوف عليك ولافزع قد وصلت إلى مرادك فلابد أن أبلغك ماتريدينه وأوصل إليك ما تطلبينه فاسمعى منى هذه الكلمات ثم أنشد هذه الأبيات :

بنت الكرام بلغت القصد والأربا	لك البشارات لاتخشى هنا نصبا
اليوم أجمع أموالا وأرسلها	لشامخ صحبة الفرسان والنجبا
نوافح المسك والديباج أرسلها	وأرسل الفضة البيضاء والذهبا
نعم وتخبره عنى مكاتبتى	إنى مريدا له صهرًا ومنتسبا
وأبذل اليوم جهدى فى معاونة	حتى يكون الذى تهوين مقتربا
قد ذقت طعم الهوى دهرًا وأعرفه	واعذر اليوم من كأس الهوى شربا

فلما فرغ من شعره خرج إلى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالاً لايحصى وأمره أن يذهب بذلك إلى الملك شامخ وقال له لابد أن تأتينى بشخص من عنده اسمه أنس الوجود وقال له إن لم تأتنى به تكون معزولا عن مرتبتك فقال له سمعًا وطاعة ثم توجه بالهدية إلى الملك شامخ فلما وصل إليه بلغة السلام عن الملك درباس وأعطاه المكاتبة والهدية التى معه فلما رآه الملك شامخ وقرأ المكاتبة ونظر اسم أنس الوجود بكى بكاء شديدًا وقال للوزير المرسل إليه وأين أنس الوجود فإنه ذهب ولانعلم مكانه فأتنى به وأنا أعطيك أضعاف ما جئت به من الهدية ثم بكى وأن اشتكى وأفاض العبرات وأنشد هذه الأبيات :

ردوا على حبيبى * لاحاجة لى بمال * ولا أريد هدايا * من جوهر ولآلى

قد كان عندى بدرا * سما بأفق جمال * وفاق حسنا ومعنى * ولم يقس بغزال

وقـد غصـن بـــان * أثمـاره مــن دلال * وليـس فى الغصن طبع * يسبى عقول الرجال
ربيتـه وهـــو طفـل * على مهاد الدلال * وإننــــى لحـــزيـــن * عليه مشغـول البال

ثم التفت إلى الوزير الذى جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب إلى سيدك وأخبره أن أنس الوجود مضى عام وهو غائب عن سيده ولم يدر أين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاى إن سيدى قال لى إن لم تأتنى به تكن معزولا عن الوزارة ولاتدخل مدينتى فكيف اذهب إليه بغيرخ فقال الملك شامخ لوزيره إبراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على أنس الوجود ثم أخذ جماعة من أتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب أنس الوجود . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٠٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن إبراهيم وزير الملك شامخ أخذ جماعة من أتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب أنس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب أو قوم يسألونهم عن أنس الوجود ومازالوا يسألون فى المدائن والقرى ويفتشون فى السهول والأوعار والبرارى والقفار حتى وصلوا إلى شاطىء البحر وطلعوا فى مركبا ونزلوا فيها وساروا بها حتى أقبلوا على جبل الثكلى فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شامخ لأى شىء سمى هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لأنه نزلت به جنية فى قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد أحبت إنساناً ووقع له معها غرام وخافت على نفسها من أهلها فزاد بها الغرام فتشت فى الأرض عن مكان تخفيه فيه عن أهلها فوجدت هذا الجبل منقطعًا عن الأنس والجن بحيث لايهتدى إلى طريقه أحد من الأنس والجن اختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب إلى أهلها وتأتيه فى خفية ولم تزل على ذلك زمنا طويلا ثم إنهم ساروا حتى وصلوا إلى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف إبراهيم وزير الملك شامخ فقبل يده ثم دخل القصر فوجد فى فسحته رجلا فقيراً بين الخدامين وهو أنس الوجود فقال لهم من أين هذا فقالوا أنه رجل تاجر غرق ماله ونجا بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى إلى داخل القصر فلم يجد



لابنته أثر فسأل الجوارى اللاتى هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحت ولا أقامت معنا سوى مدة يسيرة ففتش عليها القصر من أوله إلى آخره ولم يجدها فقال لاحيلة فى قضاء الله ولامفر مما قدره الله وقضاء ثم طلع إلى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة فى شراريف القصر واصلة إلى الأرض فعرف أنها نزلت من المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غراباً وبومة فتشاءم من ذلك ثم نزل إلى القصر وهو يبكى وقد أمر الخدام أن يخرجوا إلى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها وهذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر أنس الوجود فإنه لما تحقق أن الورد فى الأكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته فظنوا أنه أخذته جذبة من الرحمن واستغرق فى جمال هيبة الملك الديان ولما يئسوا من وجود أنس الوجود واشتغل قلب الوزير إبراهيم بفقد بنته الورد فى الأكمام أراد وزير الملك درباس أن يتوجه إلى بلاده فقال له وزير الملك درباس إنى أريد أن آخذ هذا الفقير معى عسى الله أن يعطف على الملك ببركته فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجهاً إلى بلاده وقد أخذ وزير الملك درباس أنس الوجود معه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٠٩)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن وزير الملك درباس أخذ أنس الوجود وهو مغشى عليه وسار ثلاثة أيام وهو فى غشيته فلما رأى الوزير أن أنس الوجود قد استفاق قال له إن الملك قد أرسلنى فى حاجة وهى لم تقض ولما علم بقدومى أرسل إلى مكتوبًا يقول فيه إن لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتى فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له أنس الوجود لا تخف واذهب إلى الملك وخذنى معك وأنا أضمن مجىء أنس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له أحق ماتقول فقال نعم فركب وأخذه معه وسار به إلى الملك فلما وصلا إلى الملك قال له أين أنس الوجود فقال له أنس الوجود أيها الملك أنا أعرف مكان أنس الوجود فقربه إليه وقال له فى أى مكان هو؟ قال فى مكان قريب جداً ولكن هذا الأمر يحتاج إلى خلوة ثم أمر

الناس بالانصراف ودخل معه خلوة وأخبره الملك بالقصة من أولها إلى آخرها فقال له أنس الوجود ائتنى بثياب فاخرة وألبسنى إياها وأنا آتيك بأنس الوجود سريعًا فأتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال أنا أنس الوجود وكمد الحسود ثم رمى القلوب باللحظات وأنشد هذه الأبيات :

يؤانسني ذكر الحبيب بخلوتي	ويطرد عنى فى التباعد وحشتي
ومالي غير الدمع عين وإنما	إذا فاض من عينى يخفف زفرتي
وشوقى شديد ليس يوجد مثله	وأمرى عجيب فى الهوى والمحبة
وقد رق جسمى من أليم بعادهم	وغيرت الأشواق وصفى وصورتي
وقد قل حيلى والفؤاد عدمته	وكم ذا الأقى لوعة بعد لوعة
على زعمهم كان التفرق بيننا	وما قصدهم ألا لقائى ووصلتى
فياهل ترى بعد التقاطع والنوى	يمتعنى دهرى بوصل أحبتى
فيطوى كتاب البعد من بعد نشره	وتمحى براحات الوصال مشقتى
ويبقى حبيبى فى الدر منادمى	وتبدل أحزانى بصفو سريرتى

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله أنكما لمحبان صادقان فى سماء الحسن كوكبان نيران وأمركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى حكاية الورد فى الأكمام إلى آخرها فقال له وأين هى يا ملك الزمان قال عندى الآن ثم أحضر الملك القاضى والشهود وعقد عقدها عليه وأكرمه وأحسن إليه ثم أرسل الملك درباس إلى الملك شامخ وأخبره بجميع ما اتفق له من أمر أنس الوجود والورد فى الأكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وأرسل إليه مكتوبًا مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغى أن يكون الفرح والدخول عندى ثم جهز الجمال والخيل والرجال وأرسل فى طلبهما فلما وصلت الرسالة إلى الملك درباس أمدهما بمال عظيم وأرسلهما مع جملة عسكره فساروا بهم حتى دخلوا مدينتهم وكان يومًا مشهود لم ير أعظم منه وجمع الملك الشامخ سائر المطربات من آلات المغانى وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة أيام وفى كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن إليهم ثم إن أنس الوجود دخل على الورد فى الأكمام فعانقها ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيًا عليهما . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٤١٠)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أنس الوجود والورد فى الأكمام لما اجتمعا تعانقًا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيًا عليهما من لذة الاجتماع فلما أفاقا من غشيتهما أنشد أنس الوجود هذه الأبيات :

ما أحلاها ليلات الوفا   حيث أمسى لى حبيبى منصفا
وتوالى الوصل فيما بيننا   وانفصال الهجر عنا قد وفى
واجتمعنا وتشاكينا الأسى   وليلات نفت بالجفا
ونسينا ما مضى ياسادتى   وعفا الرحمن عما سلفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا فى خلوتهما ولم يزالا فى منادمة وأشعار ولطف حكايات وأخبار حتى غرقا فى بحر الغرام ومضى عليهما سبعة أيام وهما لا يدريان ليلاً من نهار لفرط ما هما فيه من لذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة أيام يوم واحد ليس له ثانٍ وما عرفا يوم الأسبوع إلا بمجئ آلات المعانى فأكثرت الورد فى الأكمام التعجبات وأنشدت هذه الأبيات :

على غيظ الحواسد والرقيب   بلغنا ما نريد من الحبيب
وفرش من أديم قد حشونا   بريش الطير من شكل غريب
ومن طيب الوصال فليس ندرى   بأوقات البعيد من القريب
ليالى سبعة مرت علينا   ولم نشعر بها كم من عجيب
فهنونى بأسبوع وقولوا   أدم الله وصلك بالحبيب

فلما فرغت من شعرها قبلها أنس الوجود ما ينوف عن المئات ثم أنشد هذه الأبيات :

أتى يوم السرور مع التهانى   وجاء الحب من صد وفانى
فآنسنى بطيب الوصل منه   ونادمنى بألطاف المعانى
وأشقانى شراب الأنس حتى   ذهلت عن الوجود بما سقانى

طربنا وانشرحنا واضطجعنا ... وصرنا فى شراب مع أغانى
ومن فرط السرور فليس ندرى ... من الأيام أولها وثانى
ولا ندرى لمر الصد طعما ... وربى قد حباه كما حبانى

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وأنعما على الناس بالخلع وأعطيا ووهبا إلى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لايحول ولايزول وإليه كل الأمور تؤول .

(ومما يحكى) أن الملك العادل كسرى أنوشروان ركب يومًا إلى الصيد فأنفرد عن عسكره خلف ظبى فبينما هو ساع خلف الظبى إذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشًا شديدًا فتوجه إلى تلك الضيعة وقصد باب دار قوم فى طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فأبصرته ثم عادت إلى البيت وعصرت له عودًا واحد من قصب السكر ومزجت ماعصرته منه بالماء وضعته فى قدح ووضعت عليه شيئًا من الطيب يشبه التراب ثم سلمته إلى أنوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه شيئًا يشبه التراب فجعل يشرب منه قليلا حتى انتهى إلى آخره ثم قال للصبية نعم الماء ما أحلاه لولا ذلك القذى الذى فيه فإنه كدره فقالت الصبية أيها الضيف أنا عمد ألقيت فيه ذلك القذى الذى كدره فقال الملك ولم فعلت ذلك فقالت لأنى رأيتك شديد العطش وخفت أن تشربه نهلة واحدة فيضرك فلو لم يكن فيه قذى لكنت شربته بسرعة نهلة واحدة وكان يضرك شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل أنوشروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم أن ما قالته ناشئ عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من كم عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب أنوشروان وطلب جريدة الخراج الذى يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلا فأضمر فى نفسه أنه إذا عاد إلى تخته يزيد فى خراج تلك القرية وقال قرية يكون فى عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل ثم انصرف عن تلك القرية إلى الصيد وفى آخر النهار رجع إليها واجتاز على ذلك الباب منفردًا وطلب الماء ليشرب فخرجت تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج له الماء فأبطأت عليه فاستعجلها أنوشروان وقال لأى شىء أبطأت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٤١١)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أنوشروان لما استعجل الصبية قال لها لأى شىء أبطأت فقالت له لأنه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة أعواد ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك أنوشروان ما سبب ذلك فقالت سببه أن نية السلطان قد تغيرت فقال لها من أين جاءك قالت سمعنا من العقلاء أنه إذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك أنوشروان وأزال من نفسه ما كان أضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالاً حيث أعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها .

(ومما يحكى) أنه كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل الماء إلى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة ثلاثون سنة وكان لذلك الصائغ زوجة فى غاية الحسن والجمال والبهاء والكمال موصوفة بالديانة والحفظ والصيانة فجاء السقا على عادته يومًا وصب الماء فى الحباب وكانت قائمة فى وسط الدار فدنا منها السقا وأخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له إنى أريدك أن تعرفنى أى شىء صنعت هذا اليوم فى السوق ما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيئًا يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله إنك فعلت شيئًا يغضب الله تعالى وإن لم تحدثنى بما صنعت وتصدقنى فى حديثك لا أقعد فى بيتك ولا ترانى ولا أراك فقال أخبرك بما فعلته فى يومى هذا على وجه الصدق اتفق لى أننى جالس فى الدكان على عادتى إذ جاءت امرأة إلى دكانى وأمرتنى أن أصوغ لها سوارًا وانصرفت فصغت لها سوارًا من ذهب ورفعته فلما حضرت أتيتها به فأخرجت يدها ووضعت السوار فى ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذى يسبى الناظر فأخذت يدها وعصرتها ولويتها ، فقالت له المرأة الله أكبر لم فعلت هذا اليوم إن ذلك الرجل السقا الذى كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة أخذ اليوم يدى وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الأمان أيتها المرأة إنى تائب مما كان منى فاستغفرى الله لى فقالت المرأة غفر الله لى ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان الغد جاء الرجل السقا وألقى نفسه بين يدى المرأة وتمرغ على التراب

واعتذر إليها وقال يا سيدتى اجعلينى فى حل مما أغرانى به الشيطان حيث أضلنى وأغوانى فقالت له المرأة امض إلى حال سبيلك فإن ذلك الخطأ لم يكن منك وإنما كان سببه من زوجى حيث فعل ما فعل فى الدكان فاقتص الله منه فى الدنيا وقيل إن الرجل الصائغ لما أخبرته زوجته بما فعل السقا معها فقال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقا فصار هذا الكلام مثلا سائرا بين الناس فينبغى للمرأة أن تكون مع زوجها ظاهراً وباطنا وتقنع منه بالقليل إن لم يقدر على الكثير وتقتدى بعائشة الصديقة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما لتكون مع حواشى السلف.

(ومما يحكى) أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان امرأة صالحة من بنى إسرائيل وكانت تلك المرأة متدينة عابدة تخرج كل يوم إلى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فإذا خرجت إلى المصلى تدخل ذلك البستان وكان فى البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فأبت فقالا لها إن لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهم الجارية الله يكفينى شركما ففتحا باب البستان وصاحا فأقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا إنا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من بين أيدينا وكان الناس فى ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزانى ثلاثة أيام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلاثة أيام من الفضيحة وكان الشيخان فى كل يوم يدنوان منها ويضعان أيديهما على رأسها ويقولان لها الحمد لله الذى أنزل بك نقمته فلما أرادوا رجمها اتبعهم دنيال وهو ابن اثنتى عشرة سنة وهذه أول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعًا لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى اقضى بينهم فوضعوا له كرسيًا ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو أول من فرق بين الشهود فقال لأحدهما ما رأيت فذكر له ما جرى فقال له حصل ذلك فى أى مكان فى البستان فقال فى الجانب الشرقى تحت شجرة كمثرى ثم سأل الثانى عما رأى فأخبره بما جرى فقال له فى أى مكان فى البستان فقال فى الجانب الغربى تحت شجرة تفاح هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها إلى السماء وهى تدعو الله بالخلاص فأنزل الله تعالى صاعقة من العذاب فأحرقت الشيخين وأظهر الله تعالى براءة الجارية . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***



الليلة (٤١٢)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصاعقة نزلت على الشيخين فأحرقتهما وأظهر الله براءة الجارية وهذا أول ما جرى من المعجزات لنبى الله دانيال عليه السلام (وحكى) الشريف حسين ابن ريال أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالسًا فى بعض الأيام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده أكابر وأصحابه من أهل الرأى والإصابة فبينما هو جالس إذ أقبل عليه شاب من أحسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من أحسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقة وأوقفاه بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر أمير المؤمنين إليهما وإليه فأمرهما بالكف عنه وأدناه منه وقال للشابان ما قصتكما معه فقال يا أمير المؤمنين نحن إخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم من القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل ربانا صغارًا وأولانا كبار . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤١٣)

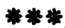
قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشابين قالا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب إن أبانا كان معظمًا فى القبائل منزه عن الرذائل معروفًا بالفضائل ربانا صغارًا وأولانا كبارًا جم المناقب والمفاخر حقيقًا بقول الشاعر :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمرى ولكن منه شيبان

فكم أب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان

فخرج يومًا إلى حديقة له ليتنزه فى أشجارها ويقطف يانع أثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما أمرك الله فنظر عمر إلى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول أنت فى الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جرى اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بأفصح لسان وحيا أمير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا أمير المؤمنين لقد وعيت ما أدعوا وصدقا

فيما قالا حيث أخبرا بما جرى وكان أمر الله مقدوراً ولكن سأذكر قصتى بين يديك والأمر فيها إليك اعلم يا أمير المؤمنين إنى من صميم العرب العرباء الذين هم أشرف من تحت الجرباء نشأت فى منازل البادية فأصابت قومى سود السنين العادية فأقبلت إلى ظاهر هذا البلد بالأهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها إلى المسير بين حدائقها بنياق كريمة لدى عزيزات على بينهن فحل كريم الأصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشى بينهن كأنه ملك عليه تاج فندت بعض النياق إلى حديقة أبيهم وقد ظهر من الحائط أشجارها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة وإذا بشيخ من الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمى الشرر وفى يده حجر وهو يتهادى كالليث إذا حضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لأنه أصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبى آنست أن قلبى قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت تلك الحجر بعينه وضربته به فكان سبباً لحينه ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما يقتل به وعندما أصابه الحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة أليمة فأسرعت بالسير من مكانى فأسرع هذان الشابان وأمسكانى وإليك أحضرانى وبين يديك أوقفانى فقال عمر رضى الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعًا وطاعة لما حكم به الإمام ورضيت بما اقتضته شريعة الإسلام ولكن لى أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم أمره لى وأشهد الله على وقال هذا لأخيك عندك فاحفظه جهدك فأخذت ذلك المال منه ودفنته ولا أحد يعلم به إلا أنا فإن حكمت الآن بقتلى ذهب المال وكنت أنت السبب فى ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضى الله بين خلقه وإن أنت أنظرتنى ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافيًا بالذمام ولى من يضمننى على هذا الكلام فأطرق أمير المؤمنين رأسه ثم نظر إلى من حضر وقال من يقوم بضمانه والعود إلى مكانه فنظر الغلام إلى وجوه من كان فى المجلس وأشار إلى أبى ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلنى ويضمننى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .





الليلة (٤١٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما أشار إلى أبى ذر وقال هذا يكفلنى ويضمننى قال عمر رضى الله تعالى عنه يا أبا ذر أسمعت هذا الكلام وتضمن لى حضور هذا الغلام قال يا أمير المؤمنين اضمنه إلى ثلاثة أيام فرضى بذلك وأذن للغلام فى الانصراف فلما انقضت مدة الامهال وكان وقتها أن يزول أو زال ولم يحضر الشاب إلى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وأبوذر قد حضر والخصمان ينتظران فقالا أين الغريم يا أبا ذر كيف رجوع من فر ولكن نحن لانبرح من مكاننا حتى تأتينا به للأخذ بثارنا فقال أبو ذر وحق الملك العلام إن انقضت الثلاثة ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلمت نفسى للإمام فقال عمر رضى الله عنه والله إن تأخر الغلام لأقضين فى أبى ذر ما اقتضته شريعة الإسلام فهملت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض أكابر الصحابة على الشابين أخذ الدية واغتنام الأثنية فأبيا ولم يقبلا شيئًا إلا الأخذ بالثأر فبينما الناس يموجون ويضجون تأسفا على أبى ذر قبل الغلام ووقف بين يدى الإمام وسلم عليه بأحسن سلام ووجهه مشرق يتهلل وبالعرق يتكلل وقال له قد أسلمت الصبى إلى أخواله وعرفتهم بجميع أحواله وأطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرة الحر ووفيت وفاء الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه وإقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضهم ما أكرمك من غلام وأوفاك بالعهد والذمام فقال الغلام أما تحققتم أن الموت إذا حضر لا ينجو منه أحد وإنما وفيت كيلا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبو ذر يا أمير المؤمنين لقد ضمنت لهذا الغلام ولم أعرفه من أى قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما أعرض عمن حضر وقصدنى وقال هذا يضمننى ويكفلنى لم أستحسن رده وأبت المروءة أن تخيب قصده إذ ليس فى إجابة القصد من بأس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس فعند ذلك قال الشابان يا أمير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم أبينا حيث بدل الوحشة بالأيناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الإمام بالعفو وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة أبى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين فى اصطناع المعروف وأثنى عليهما إثناء الشاكر وتمثل بقول الشاعر :

من يصنع الخير بين الورى يجز به   لايذهب الخير بين الله والناس

ثم عرض عليهما أن يصرف إليهما دية أبيهما من بيت المال فقالا إنما عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعال ومن نيته كذا لا يتبع إحسانه منا ولا أذى .

(ومما يحكى) أن أمير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عامًا كان معرضًا عن الدنيا وسالكًا طريقة الزهاد والعباد فكان يخرج إلى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلكم بمجيئكم وقد صرتم إلى قبوركم فياليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم ويبكى بكاء الخائف الوجل وينشد قول القائل :

تروعنى الجنائز فى كل وقت ويحزننى بكاء النائحات

فاتفق أن أباه مر عليه فى بعض الأيام وهو فى موكبه وحوله وزراؤه وكبراء دولته وأهل مملكته فرأوا ولد أمير المؤمنين على جسده جبة من صوف وعلى رأسه مترز من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع أمير المؤمنين كلامهم فكلمه فى ذلك وقال له لقد فضحتنى بما أنت عليه فنظر إليه ولم يجبه ثم نظر إلى طائر على شرفة من شرفات القصر فقال له أيها الطائر بحق الذى خلقك أن تسقط على يدى فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع إلى موضعك فرجع إلى موضعه ثم قال له اسقط على يد أمير المؤمنين فأبى أن يسقط على يده فقال الغلام لأبيه أمير المؤمنين أنت الذى فضحتنى بين الأولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا أعود إليك بعدها إلا فى الآخرة ثم انحدر إلى البصرة فكان يعمل مع الفعلة فى الطين وكان لايعمل فى كل يوم إلا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال أبو عامر البصرى وكان قد وقع فى دارى حائط فخرجت إلى موقف الفعلة لأنظر رجلا يعمل لى فيه فوقعت عينى على شاب مليح ذى وجه صبيح فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له حبيبى أتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معى إلى بناء حائط فقال لى بشروط اشترطها عليك قلت ياحبيبى ماهى قال الأجرة درهم ودانق وإذا أذن المؤذن تتركنى حتى أصلى مع الجماعة قلت نعم ثم أخذته وذهبت به إلى المنزل فخدم خدمة لم أر مثلها وذكرت له الغذاء فقال لا فعلمت أنه صائم فلما سمع الأذان قال لى قد علمت الشرط فقلت نعم فحل



حزامه وتفرغ للوضوء وتوضأ وضوءاً لم أر أحسن منه ثم خرج إلى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع إلى خدمته فلما أذن العصر توضأ وذهب إلى الصلاة ثم عاد إلى الخدمة فقلت له ياحبيبى قد انتهى وقت الخدمة فإن خدمة الفعلة إلى العصر فقال سبحان الله إنماخدمتى إلى الليل ولم يزل يخدمنى إلى الليل فأعطيته درهمين فلما رآهما قال ماهذا قلت والله إن هذا بعض أجرتك لاجتهادك فى خدمتى فرمى بها إلى وقال لا أريد زيادة ما كان بينى وبينك فرغبته فلم أقدر عليه فأعطيته درهمًا ودانقا وسار فلما أصبح الصباح بكرت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى إنه لايأتى ههنا إلا فى يوم السبت فقط فلما جاء يوم السبت أتيت إلى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى هو مريض وراقد فى خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوز مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب فى الجبانة فسرت إلى الخيمة ودخلتها فإذا هو مضطجع على الأرض وليس تحته شىء وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نوراً فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه أبكى على صغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له ألك حاجة قال نعم قلت وماهى قال إذا كان الغد تجىء إلىّ وقت الضحى فتجدنى ميتًا فتغسلنى وتحفر قبرى ولاتعلم بذلك أحدًا وتكفننى فى هذه الجبة التى علىّ بعد أن تفتقها وتفتش جيبها وتخرج ما فيها وتحفظه عندك فإذا صليت علىّ وواريتنى فى التراب فاذهب إلى بغداد وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما تجده فى جيبى وأقرئه منى السلام ثم تشهد وأثنى على ربه ثم إن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤١٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الأبرار وتلاوة بعض الآيات ثم أنشد هذه الأبيات :

يا والدى لا تغتر بتنعم	فالعمر ينفد والنعيم يزول
وإذا علمت بحال قوم ساءهم	فاعلم بأنك عنهم مسئول
وإذا حملت إلى القبور جنازة	فاعلم بأنك بعدها محمول

قال أبو عامر البصرى فلما فرغ الغلام من وصيته وإنشاده ذهبت عنه وتوجهت إلى بيتى فلما أصبح الصباح ذهبت إليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جبته فوجدت فى جيبه ياقوتة تساوى آلافًا من الدنانير فقلت فى نفسى والله إن هذا الفتى قد زهد فى الدنيا غاية الزهد ثم بعد أن دفنته وتوجهت إلى بغداد وصلت إلى دار الخلافة وصرت أترقب خروج هارون الرشيد إلى أن خرج فتعرضت له فى بعض الطرق ودفعت إليه الياقوتة فلما رآها عرفها فخر مغشيًا عليه فقبض على الخدمة فلما أفاق قال للخدمة أفرجوا عنه وأرسلوه برفق إلى القصر ففعلوا ما أمرهم به فلما دخل قصره طلبنى وأدخلنى محله وقال لى ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت قد مات ووصفت له حاله فجعل يبكى ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يافلانة فخرجت امرأة فلما رأتنى أرادت أن ترجع فقال لها تعالى وما عليك منه فدخلت وسلمت عليه فرمى إليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيًا عليها فلما أفاقت من غشيتها قالت يا أمير المؤمنين ما فعل الله بولدى فقال أخبرها بشأنه وأخذته العبرة فأخبرتها بشأنه فجعلت تبكى وتقول بصوت ضعيف ما أشوقنى إلى لقائك ياقرة عينى ليتنى كنت أسقيك إذا لم تجد ماءً ليتنى كنت أؤانسك إذا لم تجد مؤانسًا ثم سكبت العبرات وأنشدت هذه الأبيات :

أبكى غريبًا أتاه الموت منفردًا	لم يلق الفاله يشكو الذى وجدا
من بعد عز وشمل كان مجتمعًا	أضحى فريدًا وحيدًا لايرى أحدا
يبين للناس ما الأيام تضمره	لم يترك الموت منا واحدًا أبدا
يا غائبًا قد قضى ربى بغربته	وصار منى القرب مبتعدا
أن أيأس من الموت لقياك يا ولدى	فإننا نلتقى يوم الحساب غدا

فقلت يا أمير المؤمنين أهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتى هذا الأمر يزور العلماء ويجالس الصالحين فلما رأيت هذا الأمر نفر منى وباعد نفسه عنى فقلت لأمه إن هذا الولد منقطع إلى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد الامتحان فادفعى إليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتياج إليها فدفعتها إليه وعزمت إليه يمسكها فامتثل أمرها وأخذها ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا ولم يزل غائبًا عنا حتى لقى الله عز وجل تقيا ثم قال قم فأرنى قبره فخرجت معه



وجعلت أسير إلى أن رأيته إياه فجعل يبكى وينتحب حتى وقع مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته استغفر الله وقال (إنا لله وإنا إليه راجعون) ودعا له بخير ثم سألنى الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين إن لى فى ولدك أعظم العظمات ثم أنشدت هذه الأبيات :

أنا الغريب فلا آوى إلى أحـد	أنا الغريب وإن أمسيت فى بلدى
أنا الغـريب فـلا أهـل ولا ولـد	وليس لى أحد يأوى إلـى أحـد
إلى المساجد آوى بل وأعمرهـا	فـما يفارقها قلبـى مـدى الأبـد
فالحـمـد لله رب العالمين علـى	أفضاله ببـقاء الـروح فـى الجسد

ومما يحكى عن بعض الفضلاء أنه قال مررت بفقيه فى كتاب وهو يقرئ الصبيان فوجدته فى هيئة حسنة وقماش مليح فأقبلت عليه فقام لى وأجلسنى معه فمارسته فى القراءات والنحو والشعر واللغة فإذا هو كامل فى كل مايراد منه فقلت له قوى الله عزمك وأنك عارف بكل مايراد منك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر فيه حسن فقلت فى نفسى إن هذا شىء عجيب من فقيه يعلم الصبيان أن العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل أيام قلائل أتفقده وأزوره فأتيت إليه فى بعض الأيام على عادتى من زيارته فوجدت الكتاب مغلقًا فسألت جيرانه فقالوا إنه مات عنده ميت فقلت فى نفسى وجب علينا أن نعزيه فجئت إلى بابه وطرقته فخرجت لى جارية وقالت ماتريد فقلت أريد مولاك فقالت أن مولاى قاعد فى العزاء فقلت لها قولى له إن صديقك فلانًا يطلب أن يعزيك فراحت وأخبرته فقال لها دعيه يدخل فأذنت له فى الدخول فدخلت إليه فرأيته جالسًا وحده ومعصبًا رأسه فقلت له عظم الله أجرك وهذا سبيل لابد لكل أحد منه فعليك بالصبر ثم قلت له من الذى مات لك فقال أعز الناس على وأحبهم إلى فقلت لعله والدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت أخوك قال لا قلت أحد من أقاربك قال لا قلت فما نسبته إليك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذا أول المباحث فى قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو أحسن منها فقال أنا ما رأيتها حتى أعرف إن كان غيرها أحسن منها أو لا فقلت فى نفسى وهذا مبحث ثان فقلت له وكيف عشقت من لاتراها فقال اعلم أنى كنت جالسًا فى الطاقة وإذا برجل عابر طريق يغنى هذا البيت :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى على فؤادى أينما كانا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤١٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفقيه لما غنى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذى سمعته منه فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذين البيتين :

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولارجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها ومضى لى ثلاثة أيام وأنا فى العزاء فتركته وانصرفت بعدما تحققت قلة عقله .

(وحكى) أيضًا عن بعض المجاورين كان لايعرف الخط ولا القراءة وإنما يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يومًا من الأيام أنه يفتح له مكتبًا ويقرئ فيه الصبيان فجمع ألواحًا وأوراقًا مكتوبة وعلقها فى مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون إلى عمامته وإلى الألواح والأوراق فيظنون أنه فقيه جيد فيأتون إليه بأولادهم وصار يقول لهذا اكتب ولهذا أقرأ فصار الأولاد يعلم بعضهم بعضًا فبينما هو ذات يوم جالس على باب المكتب على عادته وإذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال فى باله لابد أن هذه المرأة تقصدنى لأجل أن أقرأ لها المكتوب الذى معها فكيف يكون حالى معها وأنا لا أعرف قراءة الخط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل أن ينزل وقالت له إلى أين فقال لها أريد أن أصلى الظهر وأعود فقالت له الظهر بعيد فاقرأ لى هذا الكتاب فأخذه منها وجعل أعلاه أسفله وصار ينظر إليه ويهز عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة أخرى ويظهرغيظًا وكان زوج المرأة غائبًا والكتاب مرسل إليها من عنده فلما رأت الفقيه على تلك الحالة قالت فى نفسها لاشك أن زوجى مات وهذا الفقيه يستحى أن يقول لى إنه مات فقالت له ياسيدى إن كان مات فقل لى فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل



أشق ثيابى فقال لها شقى فقالت له هل ألطم على وجهى فقال لها الطمى فأخذت الكتاب من يده وعادت إلى منزلها وصارت تبكى هى وأولادها فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم إنه جاءها كتاب بموت زوجها فقال رجل إن هذا كلام كذب لأن زوجها أرسل مكتوبًا بالأمس يخبرنى فيه أنه طيب بخير وعافية وأنه بعد عشرة أيام يكون عندها فقام من ساعته وجاء إلى المرأة وقال لها أين الكتاب الذى جاء فجاءت به إليه وأخذه منها وقرأه وإذا فيه أما بعد فإنى طيب بخير وعافية وبعد عشرة أيام أكون عندكم وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكمرة فأخذت الكتاب وعادت به إلى الفقيه وقالت ما حملك على الذى فعلته معى وأخبرته بما قال جارها من سلامة زوجها وإنه أرسل إليها ملحفة ومكمرة فقال لها قد صدقت ولكن ياحرمة اعذرينى فإنى كنت فى تلك الساعة مغتاظ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤١٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المرأة قالت للفقيه ماحملك على الذى فعلته معى فقال لها إنى كنت فى تلك الساعة مغتاظ مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة فى الملحفة فظننت أنه مات وكفنوه وكانت المرأة لاتعرف الحيلة فقالت له أنت معذور وأخذت منه الكتاب وانصرفت (وحكى) أن ملكًا من الملوك خرج مستخفيًا ليطلع على أحوال رعيته فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردًا وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء فناولته إياه فشرب فلما نظر إليها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها وأجلسته وأخرجت له كتابًا وقالت له انظر فى هذا الكتاب إلى أن أصلح أمرى وأرجع إليك فجلس يطالع فى الكتاب وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعده الله لأهله من العذاب فاقشعر جلده وتاب إلى الله وصاح بالمرأة وأعطاها هذا الكتاب وذهب وكان زوج المرأة غائبًا فلماحضر أخبرته بالخبر فتحير وقال فى نفسه أخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بما حصل لها مع زوجها فعرفوه إلى الملك فلما مثل بين يديه قال أقارب المرأة أعز الله الملك إن هذا الرجل

استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤجرها لمن يزرعه ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للأرض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذى يمنعك من زرع أرضك فقال أعز الله الملك إنه قد بلغنى أن الأسد قد دخل الأرض فهبته ولم أقدر الدنو منها لعلمى أنه لاطاقة لى بالأسد وأخاف منه ففهم الملك القصة وقال يا هذا إن أرضك لم يطأها الأسد وأرضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لا يعدو عليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم .

(مما) يحكى أن إسحق بن إبراهيم الموصلى قال اتفق أننى ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت بكرة النهار وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى إذا جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أننى بكرت فى بعض مهماتى وأنكم لاتعرفون أنى ذهبت ثم مضيت وحدى وطفت المدينة وقد حمى النهار فوقفت فى شارع يعرف بالحرم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـــة (٤١٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن إسحق بن إبراهيم الموصلى قال لما حمى النهار وقفت فى شارع يعرف بالحرم لأستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلم ألبث حتى جاء خادم أسود يقود حمارا فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية بعده ورأيت لها قوامًا حسنًا وطرفًا فاترًا وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لى إنها مغنية وقد تعلق بحبها قلبى عند نظرى إليها وما قدرت حتى رأيت أن أستقر على ظهر دابتى ثم إنها دخلت الدار التى كنت واقفًا على بابها فجعلت أتفكر فى حيلة أتوصل بها إليها فبينما أنا واقف إذ أقبل رجلان شابان جميلان فاستأذنا فأذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظنا أن صاحب الدار دعانى فجلسنا ساعة فأتى بالطعام فأكلنا ثم وضع الشراب بين أيدينا ثم خرجت الجارية وفى يدها عود فغنت وشربنا وقمت لأقضى حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عنى فأخبراه أنهما لايعرفانى فقال



هذا طفيلى ولكنه ظريف فأجملوا عشرته ثم جئت فجلست فى مكانى فغنت الجارية بلحن لطيف وأنشدت هذين البيتين :

قل للغزالة وهى غير غزالة والجؤذر المكحول غير الجؤذر
لمذكر الخلوات غير مؤنث ومؤنث الخطوات غير مذكر

فأدته أداء حسناً وشرب القوم وأعجبهم ذلك ثم غنت طرقا شتى بألحان غريبة من القديم وغنت من جملتها طريقة هى لى وأنشدت تقول :

الطلول الدوارس فارقتها الأوانس أوحشت بعد أنسها فهى قفراء طامس

فكان أمرها أصلح فيها من الأولى ثم غنت طرقا شتى بألحان غريبة من القديم والحديث وغنت فى أثنائها طريقة هى لى وأنشدت تقول :

قل لمن صد عاتبا ونأى عنى جانبًا قد بلغت الذى بلغت وإن كنت لاعبا

فاستعدته منها لأصححه فأقبل على أحد الرجلين وقال ما رأينا طفيليًا أصفق وجها منك أما ترضى بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلى ومقترح فأطرقت حياء ولم أجبه فجعل صاحبه يكفه عنى فلا ينكف ثم قاموا إلى الصلاة فتأخرت قليلا وأخذت العود وشددت طرفيه وأصلحته إصلاحًا محكمًا وعدت إلى موضعى فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل إلى اللوم على والتعنيف ولج فى عربدته وأنا صامت فأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من جس عودى فقالوا ما جسه أحد منا قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم فى الصناعة لأنه أحكم أوتاره وأصلحه إصلاح حاذق فى صنعته فقلت لها أنا الذى أصلحته فقالت بالله عليك أن تأخذه وتضرب عليه فأخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكاد أن تميت الأحياء وتحيى الأموات وأنشدت عليه هذه الأبيات :

وكان لى قلب أعيش به فاكتوى بالنار واحترقا أنا لم أرزق محبتها
وإنما للعبد ما رزقا إن يكن ماذقت طعم هوى ذاقة لاشك من عشقا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

الليلة (٤١٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن إسحق بن إبراهيم الموصلى قال لما فرغت من شعرى لم يبق أحد من الجماعة إلا وثب من موضعه وجلسوا بين يدى فقالوا بالله عليك ياسيدى أن تغنى لنا صوتًا آخر فقلت حبًا وكرامة ثم أحكمت الضربات وغنيت بهذه الأبيات :

ألا من لقلب ذوائب بنوائب	أناخت به الأحزان من كل جانب
حرام على رامى فؤادى بسهمه	دم صبه بين الحشا والترائب
تبين بين البين ان اقترابه	على البين من ضمن الظنون الكواذب
أراق ما لولا الهوى ما أراقه	فهل لدمى من ثائر ومطالب

فلما فرغ من شعره ولم يبق أحد منهم إلا وقام على قدميه ثم رمى بنفسه على الأرض من شدة ما أصابه من الطرب وقال فرميت العود من يدى فقالوا بالله عليك أن لاتفعل بنا هذا وزدنا صوتًا آخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم ياقوم أزيدكم صوتًا آخر وآخر وآخر وأعرفكم من أنا ، أنا إسحق بن إبراهيم الموصلى والله إنى لآتى على الخليفة إذا طلبنى وأنتم قد أسمعتمونى غليظ ما أكره فى هذا اليوم فوالله لانطقت بحرف ولاجلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثم أخذوا بيده وأخرجوه فأخذت العود وغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى ثم أسررت إلى صاحب الدار أن الجارية قد وقعت محبتها فى قلبى ولاصبر لى عنها فقال الرجل هى لك بشرط فقلت وماهو قال أن تقيم عندى شهرًا فأقمت عنده شهرًا ولايعرف أحد أين أنا والخليفة يفتش على فى كل موضع ولايعرف لى خبرًا فلما انقضى الشهر سلم لى الجارية وما يتعلق بها من الأمتعة النفيسة وأعطانى خادمًا آخر فجئت بذلك إلى منزلى كأنى قد حزت الدنيا بأسرها من شدة فرحى بالجارية ثم ركبت إلى المأمون من وقتى فلما حضرت بين يديه قال ويحك ياأبا إسحق وأين كنت فأخبرته بخبرى فقال على بذلك الرجل فى هذه الساعة فدللتهم على داره فأرسل إليه الخليفة فلما حضر سأله عن القصة فأخبره بها فقال له أنت رجل دو مروءة والرأى أن تعان على مروءتك فأمر له بمائة ألف درهم وقال لى يا إسحق أحضر الجارية فأحضرتها وغنت له وأطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة فى كل يوم خميس فتحضر وتغنى من



وراء الستار ثم أمر لها بخمسين ألف درهم فوالله لقد ربحت فى تلك الركبة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنه (مما يحكى) أن أبا بكر محمد الأنبارى قال خرجت من الأنبار فى بعض الأسفار إلى عمورية من بلاد الروم فنزلت فى أثناء الطريق بدير الأنوار فى قرية من قرى عمورية فخرج إلى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فأدخلنى الدير فوجدت فيه أربعون راهبًا فأكرمونى فى تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم فى الغد وقد رأيت من كثرة اجتهادهم وعبادتهم ما لم أره من غيرهم فقضيت أربى من عمورية ثم رجعت إلى الأنبار فلما كان للعام المقبل حججت إلى مكة فبينما أنا أطوف حول البيت إذ رأيت عبدالمسيح الراهب يطوف أيضًا ومعه خمسة أنفار من أصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت إليه وقلت له هل أنت عبد المسيح الراهب قال بل أنا عبدالله الراغب فجعلت أقبل شيبته وأبكى ثم أخذت بيده وملت إلى جانب الحرم وقلت له أخبرنى عن سبب إسلامك فقال إنه من أعجب العجائب وذلك أن جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التى فيها ديرنا فأرسلوا شابا يشترى لهم طعامًا فرأى فى السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهى من أحسن النساء صورة فلما نظر إليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشيًا عليه فلما أفاقت رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما أصابه وقال امضوا إلى شأنكم فلست بذاهب معكم فعزلوه ووعظوه فلم يلتفت إليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فأخبرها أنه عاشق لها فأعرضت عنه فمكث فى موضعه ثلاثة أيام ولم يطعم طعامًا بل صار شاخصًا إلى وجهها فلما رأته لاينصرف عنها ذهبت إلى أهلها وأخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا أضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لاينصرف فعزم أهل القرية على قتله فجاءنى رجل منهم وأخبرنى بحالة فخرجت إليه فرأيته طريحًا فمسحت الدم عن وجهه وحملته إلى الدير وداويت جراحاته وأقام عندى أربعة عشر يومًا فلما قدر على المشى خرج من الدير . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

الليلة (٤٢١)

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الراهب عبدالله قال فحملته إلى الدير وداويت جراحاته وأقام عندى أربعة عشر يومًا فلما قدر على المشى خرج من الدير إلى باب حانوت الجارية وجلس ينظر إليها فلما أبصرته قامت إليه وقالت له والله لقد رحمتك فهل لك أن تدخل فى دينى وأنا أتزوجك فقال معاذ الله أن أنسلخ من دين التوحيد وأدخل فى دين الشرك فقالت قم وادخل معى دارى واقض منى إربك وانصرف راشداً فقال لا ما كنت لأذهب عبادة اثنتى عشرة سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عنى حينئذ قال لايطاوعنى قلبى فأعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فأقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول أن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الأرض فسمعته يقول اللهم اجمع بينى وبينها فى الجنة فحملته إلى الدير فمات قبل أن أصل به إليه فخرجت به عن القرية وحفرت له قبراً ودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهى فى فراشها صرخة فاجتمع إليها أهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما أنا نائمة إذ دخل على هذا الرجل المسلم فأخذ بيدى وانطلق بى إلى الجنة فلما صار بى إلى بابها منعنى خازنها من دخولها وقال إنها محرمة على الكافرين فأسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والأشجار مالم يكن أن أصفه لكم ثم إنه أخذنى إلى قصر من الجوهر وقال لى إن هذا القصر لى ولك وأنا لا أدخله إلا بك وبعد خمس ليالى تكونين عندى فيه إن شاء الله ثم مد يده إلى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين وأعطانيهما وقال كلى هذه وأخفى الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لما قطف التفاحتين أعطانيهما وقال كلى هذه وأخفى الأخرى حتى يراها الرهبان فأكلت واحدة فما رأيت أطيب منها ثم أخذ بيدى



وخرج بى حتى أوصلنى إلى دارى فلما استيقظت من منامى وجدت طعم التفاح فى فمى والتفاحة الثانية عندى ثم أخرجت التفاحة فأشرقت فى ظلام الليل كأنها كوكب درى فجاءوا بالمرأة إلى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا الرؤيا وأخرجت لنا التفاحة فلم نر شيئًا مثلها فى سائر فواكه الدنيا فأخذت سكينًا وشققتها على عدد أصحابى فما رأينا ألذ من طعمها ولا أطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل إليها ليغويها عن دينها فأخذها أهلها وانصرفوا ثم إنها امتنعت عن الأكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت إلى قبر ذلك المسلم وألقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها أهلها فلما كان وقت الصباح أقبل على القرية شيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما امرأتان كذلك فقالا ياأهل القرية إن لله تعالى عندكم ولية من أوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب أهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبر ميتة فقالوا هذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان إنها ماتت مسلمة ونحن نتولاها واشتد الخصام والنزاع بينهما فقال أحد الشيخين إن علامة إسلامها أن يجتمع رهبان الدير الأربعون ويجذبوها عن القبر فإن قدروا على حملها من الأرض فهى نصرانية وإن لم يقدروا على ذلك يتقدم واحد منا ويجذبها فإن جاءت معه فهى مسلمة فرضى أهل القرية بذلك واجتمع الأربعون راهبًا وقوى بعضهم بعضًا وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الراهب عبدالله قال وأتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنا فى وسطها حبلا عظيمًا وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك فتقدم أهل الربقة وفعلوا كذلك فلم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لأحد الشيخين تقدم أنت واحملها فتقدم إليها أحدهما ولفها فى ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملة رسول الله ﷺ ثم حملها فى حضنه وانصرف بها المسلمون إلى غار هناك فوضعوها فيه

وجاءت المرأتان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصلبا عليها ودفناها إلى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا إن الحق أن يتبع وقد وضح الحق بنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الإسلام أوضح لنا مما رأينا بأعيننا ثم أسلمت وأسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك أهل القرية ثم إنا بعثنا إلى أهل الجزيرة نستدعى فقيها يعلمنا شرائع الإسلام وأحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة وأحكام الإسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنة .

(ومما) يحكى أن بعض الفضلاء قال مارأيت فى النساء أذكى خاطرًا وأحسن فطنة وأعوز علما وأجود قريحة وأظرف أخلاقًا من امرأة واعظة من أهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق أنها جاءت إلى مدينة حماة سنة إحدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسى وعظًا شافيا وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوى المعارف والآداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها فى الخلاف فمضيت إليها ومعى رفيق من أهل الأدب فلما جلسنا عندها وضعت بين أيدينا طبقًا من الفاكهة وجلست هى خلف ستر وكان لها أخا حسن الصورة قائمًا على رؤوسنا فى الخدمة فلما أكلنا شرعنا فى مطارحة الفقه فسألتها مسألة فقهية مشتملة على خلاف بين الأئمة فشرعت تتكلم فى جوابها وأنا أصغى إليها وجعل رفيقى ينظر إلى وجه أخيها ويتأمل فى محاسنه ولايصغى إليها وهى تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفتت إليه وقالت أظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال أجل قالت ولم ذلك قال لأن الله فضل الذكر على الأنثى . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ أجابها بقوله لأن الله فضل الذكر على الأنثى وأنا أحب الفاضل وأكره المفضول فضحكت ثم قالت أتنصفنى فى المناظرة إن ناظرتك فى هذا المبحث قال نعم قالت فما الدليل على تفضيل الذكر على الأنثى قال المنقول والمعقول أما المنقول فالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم



على بعض وقوله تعالى ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ ، وقوله تعالى فى الميراث : ﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللرجل مثل حظ الانثيين﴾ فالله سبحانه وتعالى فضل الذكر على الأنثى فى هذه المواضع وأخبر أن الأنثى على النصف من الذكر لأنه أفضل منها ، وأما السنة فما روى عن النبى ﷺ أنه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل ، وأما المعقول فإن الذكر فاعل والأنثى مفعول بها والفاعل أفضل من المفعول بها فقالت له أحسن ياسيدى ولكنك والله أظهرت حجتى عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك أن الله سبحانه وتعالى إنما فضل الذكر على الأنثى بمجرد وصف الذكورية وهذا لا نزاع فيه بينى وبينك وقد يستوى فى هذا الوصف الطفل والغلام والشاب والكهل والشيخ لافرق بينهم فى ذلك وإذا كانت الفضيلة إنما حصلت له بوصف الذكورية فينبغى أن يميل طبعك وترتاح نفسك إلى الشيخ كما ترتاح إلى الغلام إذ لافرق بينهما فى الذكورية وإنما وقع الخلاف بينى وبينك فى الجهات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وأنت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الأنثى فى ذلك فقال لها ياسيدتى أما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتوريد الخد وملاحة الابتسام وعذوبة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار أفضل من النساء والدليل على ذلك ماروى عن النبى ﷺ أنه قال : لاتدعو النظر إلى المرد فإن فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على أحد من الناس وما أحسن قول أبى نواس :

أقل ما فيه من فضائله ... أمنك من طمثه ومن حبله

وقول الشاعر :

قال الإمام أبونواس وهو فى ... شرع الخلاعة والمجون يقلد
يا أمة تهوى العذار تمتعوا ... من لذة فى الخلد ليست توجد

ولأن الجارية إذا بالغ الواصف فى وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٢٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ قال ولأن الجارية إذا بالغ الواصف فى وصفها وأراد تزويجها بذكر محاسن أوصافها شبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر :

غلامية الأرداف تهتز فى الصبا كما أهتز فى ريح الشمال قضيب

فلولا أن الغلام أفضل وأحسن لما شبهت به الجارية واعلمى صانك الله تعالى أن الغلام سهل القياد موافق على المراد حسن العشرة والأخلاق مائل عن الخلاف للوفاق فهذه فضيلة فى الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخراً ومزية فقالت له عافاك الله تعالى إنك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الأدلة على ماذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وإن لم تقنع بإجمال الدليل فإنى آتيك بتفضيل الله عليك ابن الغلام من الفتاة من يقيس السخلة على المهاة إنما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهى كقضيب الريحان بثغر كأقحوان وشعر كالأرسوان وخد كشقائق النعمان ووجه كتفاح وشفة كالراح وثدى كالرمان ومعاطف كالأغصان وهى ذات قد معتدل وجسم متجدل وخد كحد السيف اللائح وجبين واضح وحاجبين مقرونين وعينين كحلاوين إن نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وإن تبسمت ظننت البدر يتلألأ من بين شفتيها وأن رنت فالسيوف تسل من مقلتيها إليها تنتهى المحاسن وعليها مدار الظاعن والقاطن ولها شفتان حمراوان ألين من الزبد وأحلى مذاقًا من الشهد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلـة (٤٢٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان ألين من الزبد وأحلى مذاقا من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كأنهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض قد انعطفت وانطوى بعضها على



بعض وفخذان ملتفان كأنهما من الدر عموداني وأرداف تموج كأنها بحر من بلور أو جبال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كأنهما سباءك العقبان فيا مسكين أين الإنس من الجان ومن قال الدنيا عبارة عن النساء كان صادقًا ، وأما ما ذكرت من الحديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لأن النبى ﷺ قال لاتدعو النظر إلى المردفان فإن فيهم لمحة من الحور العين ولاشك أن المشبه به أفضل من المشبه فلولا أن النساء أفضل وأحسن لما شبه بهن غيرهن وأما قولك أن الجارية تشبه الغلام فليس الأمر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية حتى قالوا إنها تصلح للأمرين جميعًا عدولا منهم عن سلوك طريق الحق كما قال كبيرهم أبونواس :

ممشوقة القصر غلامية	تصلح للوطى والزانى

وأما ما ذكرته من حسن إنبات العذار وخضار الشارب وأن الغلام يزداد به حسنًا وجمالاً فوالله لقد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لأن العذار يبذل حسنات الجمال بالسيئات ثم أنشدت هذه الأبيات :

بدا الشعر فى وجهه فانتقم	لعاشقه منه لما ظلم
ولم أر فى وجهه كالدخا	ن إلا وسالفه كالحمم
إذا اسود فاضل قرطاسه	فما ظنكم بمكان القلم
فإن فضلوه على غيره	فما ذاك إلا لجهل الحكم

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم كيف يخفى عليك أن كمال اللذة فى النساء وأن النعيم المقيم لايكون إلا بهن وذلك أن الله سبحانه وتعالى وعد الأنبياء والأولياء فى الجنة بالحور العين وجعلهن جزاء

لأعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى فى غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعد إياه وقال ﷺ حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة ، وإنما جعل الله الولدان خدما للأنبياء والأولياء فى الجنة لأن الجنة دار النعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك إلا بخدمة الولدان وأما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وأنا استغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين إنه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شىء بعد ذلك فخرجنا من عندها مسرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها .

(ومما) يحكى أن أبا سويد قال اتفق أننى أنا وجماعة من أصحابى دخلنا بستانًا يومًا من الأيام لنشترى شيئًا الفاكهة فرأينا فى جانب ذلك البستان عجوزًا صبيحة الوجه غير أن شعر رأسها أبيض وهى تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تحفل منا ولم تغط رأسها فقلت لها ياعجوز لو صبغت شعرك أسود لكنت أحسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها إلى وحملقت العينين وأنشدت هذين البيتين :

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم	صبغ ودامت صبغة الأيام
أيام الرفل لى ثياب شيبتنى	وأناك من خلفى ومن قدامى

فقلت لها لله درك من عجوز ما أصدقك فى اللهج بالحرام أأكذبك فى دعوى التوبة من الأثام .

(حكاية تودد الجارية)

(ومما) يحكى أنه كان ببغداد رجل مقدار وكان موسر بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقد سهل الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق باناث ولا ذكور فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه فخاف من ذهاب ماله ونسبه إذا



لم يكن له ولد يرثه ويذكر به فتضرع إلى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحى القيوم وزار الصالحين وأكثر التضرع إلى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاءه ورحم تضرعه وشكواه فيما كان إلا قليل من الأيام حتى جامع إحدى نسائه فحملت منه فى ليلتها ووقتها وساعتها وأتمت أشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كأنه فلقة قمر فأوفى بالنذر وشكر الله عز وجل وصدق وكما الأرامل والأيتام وليلة سابع الولادة سماه بأبى الحسن فرضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم إلى أن كبر ونشأ وترعرع وانتشى وتعلم القرآن العظيم وفرائض الإسلام وأمور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمى بالنشاب فكان فريد دهره وأحسن أهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلا واعتدالا ويترامى تدللا واختيالا بخد أحمر وجبين أزهر وعذار أخضر كما قال فيه بعض واصفيه :

بدا رفيع العذار للحدق والورد بعد الربيع كيف بقى

أما ترى النبت فوق عارضه بنفسجا طالعا من الورق

فأقام مع أبيه برهة من الزمن فى أحسن حال وأبوه به فرح مسرور إلى أن بلغ مبلغ الرجال فأجلسه أبوه بين يديه يومًا من الأيام وقال له ياولدى إنه قد قرب الأجل وحانت وفاتى ولم يبق غير لقاء الله عز وجل وقد خلفت لك مايكفيك إلى ولد الولد من المال المتين والضياع والأملاك والبساتين فاتق الله تعالى ياولدى فيما خلفته لك ولا تتبع إلا من وفدك فلم يكن إلا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده أحسن تجهيز ودفنه ورجع إلى منزله وقعد للعزاء أيامًا وليالى وإذا بأصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل مافات قد فات وما يصلح العزاء إلا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٩)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن بن الخواجا لما دخل أصحابه بالحمام وفكوا حزنه نسى وصية أبيه وذهل لكثرة المال وظن أن الدهر يبقى معه على حال وأن المال ليس له زوال فأكل

وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاء بالذهب ولازم أكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهة القنانى واستماع الأغانى ولم يزل على هذا الحال إلى أن نفد المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط فى يديه ولم يبق بعد أن أتلف ما أتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير فى الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال فصيحة الكلام حسنة النظام فلما نفد جميع ماله وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية أقام ثلاثة أيام وهو لم يذق طعام ولم يسترح فى منام فقالت الجارية ياسيدى احملنى إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٠)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لسيدها يا سيدى احملنى إلى هارون الرشيد الخامس من بنى العباس واطلب ثمنى منه عشرة آلاف دينار فإن استغلانى فقل له يا أمير المؤمنين وصيفتى أكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها فى عينك لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولاتصلح إلا لمثلك ثم قالت له إياك أن تبيعنى بدون ما قلت لك من الثمن فإنه قليل فى مثلى وكان سيد الجارية لايعلم قدرها ولايعرف أنها ليس لها نظير فى زمانها ثم إنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما أسمك قالت اسمى تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت يا سيدى إنى أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين وأعرف القرآن العظيم وقد قرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد حرفه وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية وأسباب التنزيل وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت فى علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعانى والبيان وحفظت كثيراً من العلم وتعلقت بالشعر وضربت العود وعرفت مواضع النعم فيه ومواقع حركات أوتاره وسكناتها فإن غنيت ورقصت فتنت وإن تزينت وتطيبت قتلت بالجملة فإنى وصلت إلى شىء لم يعرفه إلا الراسخون فى العلم فلما سمع الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من



فصاحة لسانها والتفت إلى مولاها وقال إنى أحضر من يناظرها فى جميع ما ادعته فإن أجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وإن لم تجب فأنت أولى بها فقال مولاها يا أمير المؤمنين حبا وكرامة فكتب أمير المؤمنين إلى عامل البصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيار النظام وكان أعظم أهل زمانه فى الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وأمره أن يحضر القراء والعلماء والأطباء والمنجمين والحكام والمهندسين والفلاسفة وكان إبراهيم أعلم من الجميع فما كان إلا قليل حتى حضر وأدار الخلافة وهم لايعلمون الخبر فدعاهم أمير المؤمنين إلى مجلسه وأمرهم بالجلوس فجلسوا ثم أمر أن تحضر الجارية تودد فحضرت وأظهرت نفسها وهى كأنها كوكب درى فوضع لها كرسى من ذهب فسلمت ونطقت بفصاحة لسان وقالت يا أمير المومنين مر من حضر من العلماء والقراء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة أن يناظرونى فقال لهم أمير المؤمنين أريد منكم أن تناظروا هذه الجارية فى أمر دينها وأن تدحضوا حجتها فى كل ما ادعته فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فعند ذلك أطرقت الجارية برأسها إلى الأرض وقالت أيكم الفقيه العالم المقرى المحدث فقال أحدهم أنا ذلك الرجل الذى طلبت قالت له اسأل عما شئت قال لها أنت قرأت فى كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه فقالت نعم فقال لها أسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فأخبرينى أيتها الجارية عن ذلك ومن ربك ومن نبيك ومن أمامك وما قبلتك وما إخوانك وماطريقتك وما منهاجك قالت الله ربى ومحمد ﷺ نبى والقرآن أمامى والكعبة قبلتى والمؤمنون إخوانى والخير طريقتى والسنة منهاجى فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها أيتها الجارية أخبرينى بما عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣١)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هو الذى خلقه لله عز وجل يهدى به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذى يكسبه المرء بتأدبه وحسن معرفته فقال لها أحسنت ثم قال أين يكون العقل قالت يقذفه الله

تعالى فى القلب فيصعد شعاعه فى الدماغ حتى يستقر قال لها أحسنت ثم قال أخبرينى بم عرفت النبى ﷺ قالت بقراءة كتاب الله وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات قال أحسنت فأخبرينى عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة ، قالت أما الفرائض الواجبة فخمس شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأن محمد عبده ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا ، وأما السنن القائمة فهى أربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يدنين العمر والأمل وليس يعلم ابن آدم أنهن يهدمن الأجل قال أحسنت فأخبرينى ما شعائر الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام وقال أحسنت فأخبرينى بأى شىء تقومين إلى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فأخبرينى كم فرض الله عليك قبل قيامك إلى الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الإحرام قال أحسنت فأخبرينى بم تخرجين بأى نية من بيتك إلى الصلاة قالت بنية العبادة فبأى نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فيما تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة وقال أحسنت فأخبرينى ما مبدأ الصلاة وما تحليلها وماتحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمها تكبيرة الإحرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روى فى الصحيح من ترك الصلاة عامداً متعمداً من غير عذر فلاحظ له فى الإسلام . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٢)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه أحسنت فأخبرينى عن الصلاة ما هى قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضىء الوجه وترضى الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفى شر الأعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهى عن الفحشاء والمنكر وهى من الواجبات المفروضة المكتوبات وهى عماد الدين قال أحسنت فأخبرنى ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء؟ قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية؟ قالت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل



قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعات قالت الاعتراف اللهَ تعالى بالوحدانية والإقرار له بالربوبية قال أحسنت فأخبرينى عن فروض الوضوء قالت ستة أشياء على مذهب الإمام الشافعى محمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه النية عند غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وسننه وعشرة أشياء التسمية وغسل الكفين قبل ادخالهما الإناء والمضمضة والاستنشاق ومسح بعض الرأس ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثا والموالاة فإذا فرغ من الوضوء قال أشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت إنى أستغفرك وأتوب إليك فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ إنه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء قال أحسنت فإذا أراد الإنسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة والشياطين قالت إذا تهيأ الإنسان للوضوء أتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فإذا ذكر الله تعالى فى ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها أربعة أطناب مع كل طنب ملك يسبح الله تعالى ويستغفر له مادام فى انصات أو ذكر فإن لم يذكر الله عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وأنصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك والنقص فى وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن من جور السلطان وقال أيضًا من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن إلا نفسه قال أحسنت فأخبرينى عما يفعل الشخص إذا استيقظ من منامه قالت إذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثا قبل إدخالهما الإناء قال أحسنت فأخبرينى عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء أى ايصال الماء إلى جميع الشعر والبشرة وأما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الرجلين فى قول إلى آخر الغسل قال أحسنت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٣)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسنته قال أحسنت فأخبرينى عن أسباب التيمم وفروضه وسننه وقالت أما أسبابه فسبعه فقد الماء والخوف والحاجة إليه وإضلاله فى رحلة والمرض والجبيرة والجراح وأما فروضه فأربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين وأما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال أحسنت فأخبرينى عن شروط الصلاة وعن أركانها وعن سننها قالت أما شروطها فخمسة أشياء طهارة الأعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقينا أو ظنا واستقبال القبلة والوقوف على مكان طاهر وأما أركانها فالنية وتكبيرة الإحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الريحم آيه منها على مذهب الإمام الشافعى والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الأخير والجلوس له والصلاة على النبى ﷺ فيه والتسليمة الأولى ونية الخروج من الصلاة فى قول وأما سننها فالأذان والإقامة ورفع اليدين عند الإحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السور بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانقلاب وقوله سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والجهر فى موضعه والإسرار فى موضعه والتشهد الأول والجلوس له والصلاة على النبى ﷺ فيه والصلاة على الآل فى التشهد الأخير والتسليمة الثانية قال أحسنت فأخبرينى فيما ذا تجب الزكاة قالت تجب فى الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص والأرز والزبيب والتمر قال أحسنت فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالا فإذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال ومازاد فبحسابه قال فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الورق قالت ليس فيما دون مائتى درهم زكاة فإذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قال أحسنت فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الإبل قالت فى كل خمس شاه إلى خمسة و عشرين ففيها بنت مخاض قال أحسنت فأخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الشاه قالت إذا بلغت أربعين ففيها شاه وقال أحسنت فأخبرينى عن الصوم وفروضه وقالت أما فروض الصوم فالنية والإمساك عن الأكل والشرب والجماع وتعمد القئ وهو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب على رؤية الهلال أو بأخبار عدل يقع فى قلب المخبر وصدقه ومن واجباته تبييت النية وأما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام إلا فى الخير والذكر وتلاوة القرآن قال أحسنت فأخبرينى عن شىء لا يفسد الصوم قالت الأدهان والاكتحال غبار الطريق وابتلاع الريق وخروج المنى بالاحتلام



والنظر لامرأة أجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لايفسد الصوم قال أحسنت فأخبرنى عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهما سنة من غير آذان وإقامة ولكن يقول الصلاة جامعة ويكبر فى الأولى سبعا سوى تكبيرة الإحرام وفى الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام على مذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى .
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٢٤)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما أخبرت الفقيه عن صلاة العيدين قال لها أحسنت فأخبرينى عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير أذان ولا إقامة يأتى فى ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس ويتشهد ويسلم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير فى خطبتى العيدين ويحول رداءه بأن يجعل أعلاه أسفله ويدعو أو يتضرع قال أحسنت فأخبرينى عن صلاة الوتر قالت أقله ركعة واحدة وأكثره إحدى عشرة قال أحسنت فأخبرينى عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى أقلها ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة قال أحسنت فأخبرينى عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فيما شروطه قالت النية وأن لايخرج من المسجد إلا لحاجة ولايباشر النساء وأن يصوم ويترك الكلام قال أحسنت فأخبرينى بما يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والإسلام والاستطاعة وهو واجب فى العمر مرة واحدة قبل الموت قال فما فروض الحج قالت الإحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى والحلق والتقصير قال فما فروض العمرة قالت الإحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الإحرام التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حلق الرأس وتقليم الأظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم الوداع والمبيت بالمزدلفة وبمنى ورمى الجمر قال أحسنت فما الجهاد وما أركانه قالت أما أركانه فخروج الكفار علينا ووجود الأمام والعدة والثبات عند لقاء العدو وأما سننته فهو التحريض على القتال لقوله تعالى ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ قال أحسنت فأخبرينى عن فروض البيع وسنته قالت أما فروض البيع فالإيجاب والقبول وأن يكون المبيع مملوكًا منتفعًا به مقدورًا على تسليمه وترك الربا وأما سننته فالإقالة والخيار قبل التفرق لقوله ﷺ : «البيعان بالخيار مالم يتفرقا» قال أحسنت فأخبرينى عن شيء لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت

حفظت فى ذلك حديثًا صحيحًا عن نافع عن رسوله الله ﷺ إنه نهى عن بيع التمر بالرطب والتين باليابس والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحدا مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف إنها زكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال فى نفسه لابد من أن أتحيل عليها حتى أغلبها فى مجلس أمير المؤمنين فقال لها ياجارية مامعنى الوضوء فى اللغة قالت النظافة والخلوص من الأدناس قال فما معنى الصلاة فى اللغة قالت الدعاء بخير قال فما معنى الغسل فى اللغة قالت التطهير قال فما معنى الصوم فى اللغة قالت الإمساك قال فما معنى الزكاة فى اللغة قالت الزيادة قال فما معنى الحج فى اللغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد فى اللغة قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٥)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الفقيه لما انقطعت حجته قام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين إن الجارية أعلم منى فى الفقه فقالت له الجارية أسألك عن شيء فأتنى بجوابه سريعًا إن كنت عارفًا قال اسألى قالت فى سهام الدين قال هى عشرة : الأولى الشهادة وهى الملة ، الثانى الصلاة وهى الفطرة ، الثالث الزكاة وهى الطهارة ، الرابع والصوم وهى الجنة ، الخامس الحج وهى الشريعة ، السادس للجهاد وهى الكفاية ، السابع والثامن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما الغير ، التاسع الجماعة وهى الألفة ، العاشر طلب العلم وهى الطريق الجيدة ، قالت أحسنت وقد بقيت عليك مسئلة فما أصول الإسلام.قال هى أربعة صحة العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقى مسئلة أخرى فإن أجبت وإلا أخذت ثيابك قال قولى ياجارية فما فروع الإسلام فسكت ساعة ولم يجب بشيء فقالت انزع ثيابك وأنا أفسرها لك قال أمير المؤمنين فسر بها وأنا أنزع لك ما عليه من الثياب قالت هى اثنى وعشرين فرعًا . . التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء برسوله ﷺ وكف الأذى وأكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم إلى أهلها والتوبة الفقه فى الدين وحب الجليل واتباع التنزيل وتصديق المرسلين وخوف التبديل والتأهب للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى ومعرفة ما جاء به نبيه ﷺ ومخالفة اللعين إبليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والإخلاص لله



فلما سمع أ مير المؤمنين ذلك منها أمر أن تنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعها ذلك الفقيه وخرج مقهورًا منها خجلاً من بين يدى أمير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال ياجارية اسمعنى منى مسائل قليلة قالت له قل قال فما فروض صحة المسلم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والأجل المعلوم قال أحسنت فما فروض الأكل وسننه قالت فروض الأكل الاعتراف بأن الله تعالى رزقه وأطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد لجميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله قال فما سنن الأكل قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الأيسر والأكل بثلاث أصابع والأكل مما يليك قال أحسنت فأخبرنى ما آداب الأكل قالت أن تصغر اللقمة وتقل النظر إلى جليسك قال أحسنت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٦)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما سئلت عن آداب الأكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه المسائل أحسنت فاخبرنى عن عقائد القلب واضدادها قالت هن ثلاث وأضدادها ثلاث الأولى اعتقاد الإيمان وضدها مجانية الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانية البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها مجانية المعصية قال أحسنت فأخبرينى عن شروط الوضوء قالت الإسلام والتميز وطهور الماء وعدم المانع الحسى وعدم المانع الشرعى قال أحسنت فأخبرينى عن الإيمان قالت الإيمان ينقسم إلى تسعة أقسام إيمان المعبود وإيمان العبودية وإيمان الخصوصية وإيمان بالقبضتين وإيمان بالناسخ وإيمان المنسوخ وأن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن من القضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال أحسنت فأخبرينى عن ثلاث تمنع ثلاثا قالت نعم روى عن سفيان الثورى إنه قال ثلاث تذهب ثلاثًا الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب المال أحسنت فأخبرينى عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابًا وقال عليه الصلاة والسلام وليس يعلم عدد أبواب السماء إلا الذى خلق السماء ومامن أحد من بنى آدم إلا وله بابا ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولايغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله ولايغلق باب عمله حتى تصعد روحه وقال أحسنت فأخبرينى عن شيء وعن نصف الشيء وعن لا شيء قالت الشيء هو المؤمن ونصف الشيء هو المنافق وأن لا شيء هو الكافر قال أحسنت فأخبرينى

عن القلوب قالت قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو القلب الخليل والقلب السليم هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد ﷺ والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالآخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل أن القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هى ثلاثة قلب مشروح بالنور والإيمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال أحسنت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

الليلة (٤٣٧)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها الفقيه الثانى وأجابته وقال لها أحسنت قالت يا أمير المؤمنين إنه قد سألنى حتى عيى وأنا أسأله مسئلتين فإن أتى بجوابهما فذاك وإلا أخذ ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سلينى عما شئت قالت فما تقول فى الإيمان قال الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء فى الإيمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله وأن تكون أموره لله فإنه من أحب أحب الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان قالت فأخبرنى عن فرض الفروض وعن فرض فى ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج إليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة فى الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فأمرها أمير المؤمنين بأن تفسرها وأمره بأن ينزع ثيابه ويعطيها إياها فعند ذلك قالت يافقيه أما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى وأما الفرض الذى فى ابتداء كل فرض فهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأما الفرض الذى يحتاج إليه كل فرض فهو الوضوء وأما الفرض المستغرق فى كل فرض فهو الغسل من الجنابة وأما السنة الداخلة فى الفرض فهى تخليل الأصابع وتخليل اللحية الكثيفة وأما السنة التى يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية أعلم منى بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهوراً (وأما) حكايتها مع المقرئ فإنها التفتت إلى من بقى من العلماء الحاضرين وقالت أيكم الأستاذ المقرئ العالم بالقرآن السبع والنحو واللغة فقام إليها

المقرئ وجلس بين يديها وقال لها هل قرأت كتاب الله تعالى وأحكمت معرفة آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكيه ومدنيه وفهمت تفسيره وعرفتيه على الروايات والأصول فى القران قالت نعم قال أخبرينى عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبى مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت ياسيدى أما سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة المكى منها سبعون سورة والمدنى أربع وأربعون سورة ، وأما أعشاره فستمائة عشر وواحد وعشرون عشرًا وأما الآيات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وأما كلماته فتسعة وسبعون ألف كلمة وأما حروفه فثلثمائة ألف وثلاثة و عشرون ألفًا وستمائة وسبعون حرفًا وللقارئ بكل حرف عشر حسنات وأما السجدات فأربع عشرة سجدة . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***

الليلة (٤٣٨)

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما سألها المقرئ عن القرآن أجابته وقالت له وأما الأنبياء الذين ذكرت أسماؤهم فى القرآن فخمسة وعشرون نبيًا وهم آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان وذو الكفل وإدريس وإلياس ويحيى وزكريا وأيوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأما الطير فهن تسع قال ما اسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد والأبابيل وطير عيسى عليه السلام وهو الخفاش قال أحسنت فأخبرينى أى سورة فى القرآن أفضل قالت سورة البقرة وقال فأى آية أعظم قالت آية الكرسى وهى خمسون كلمة مع كل كلمة خمسون بركة قال فأى آية فيها تسع آيات قالت قوله تعالى ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس .﴾ إلى آخر الآية قال أحسنت فأخبرينى أى آية أعدل قالت قوله تعالى ، إلى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ قال فأى آية أطمع قالت قوله تعالى ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

***